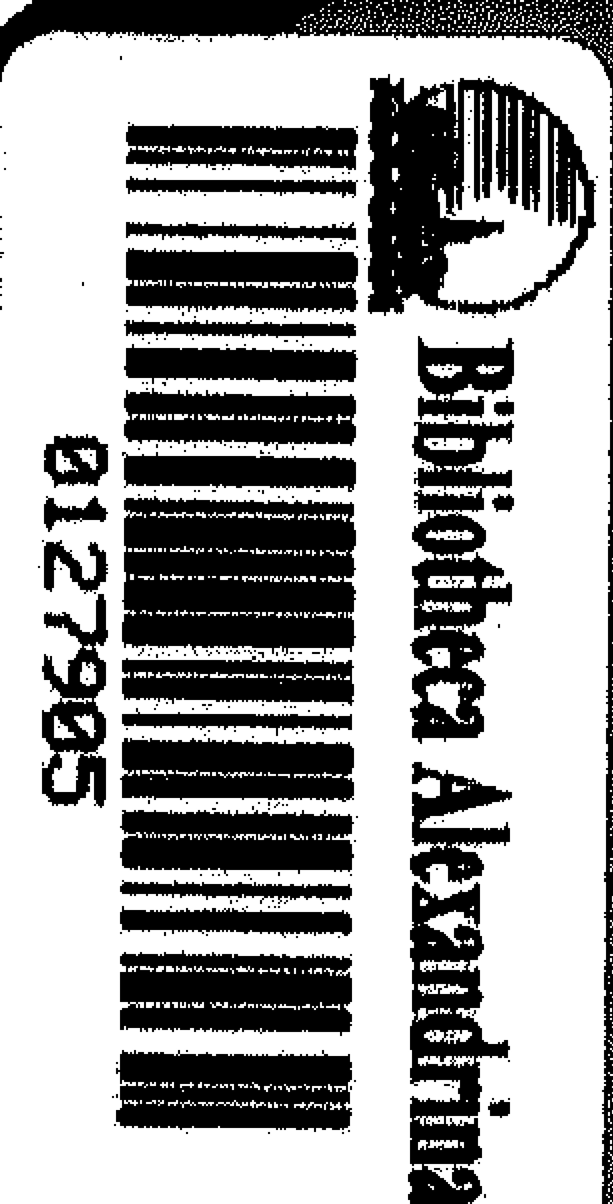
مالاتعرفه عن ثورة يوليو

لطفي عبد القادر
وكيل أول وزارة الإعلام



مكتبة مدبولي

مالا تعرفه عن ثورة يوليو

تاليف
لطفى عبد القادر
وكيل أول وزارة الاعلام

١٩٨٧م

الناشر
مكتبة مدبولى

ما لا تعرفه عن ثورة يوليو

الفصل الأول

* صورة لقصر عابدين وهو محاصر بالدبابات والشعب ملتف حوله (انتهى عهد الملكية وبدأ عهد الجمهورية) .

* صورة لمبنى القيادة فى القبة
(من هنا انطلقت بشائر الثورة المصرية)

* صورة لمحطة ارسال أبو زعبل
(حاول الملك فك محطة الارسال وضباط الثورة أحبطوا مؤامرته)

* صورة لاستوديو الاذاعة فى شارع علوى
(أنور السادات يذيع بيان قيام الثورة) .

الفصل الثانى

* صورة لمجلس قيادة الثورة كاملا بما فيهم محمد نجيب
(حاول نجيب أن يحتوى الثورة ولكن مجلس الثورة تخلص منه)

* صورة لعلى ماهر
(ساعد الثورة على خلع الملك ليعين رئيسا للجمهورية)

* صورة للسفارة الأمريكية والسفارة البريطانية فى القاهرة

(حاول الملك الاتصال بأسياده ولكنه لم يجد جوابا)
(خدع الأمريكان الانجليز والثورة خدعتهما معا) •

* صورة لقصر رأس التين فى الاسكندرية عند رحيل الملك فاروق
(القصر الذى شهد رحيل سيده) •

* صورة لعبد الناصر بملابسه العسكرية وهو يخطب فى الجماهير
(فى بادىء الأمر لم تتقبل الجماهير عبد الناصر وفيما بعد
أصبح معبودها) •

الفصل الثالث

* صورة لمحمد نجيب وهو فى وداع الملك
(لم يصدق الشعب أن الملك رحل)
(آخر ما قاله الملك ، ليس من السهل حكم مصر)

* صورة لمحمد صلاح الدين الذى كان وزيرا للخارجية فى عهد
حزب الوفد •

(أول مدنى استدعته الثورة لمهمة فى السودان)
(وفيما بعد منعه صلاح سالم من التحدث فى الاذاعة) •

* صورة للقاء عبد الناصر بزعماء الأحزاب (الوفد ـ
الدستوريون ـ الاخوان المسلمين) •
(واجهت الثورة المؤامرات من اليمين واليسار ومن الجيش
أيضا) •

الفصل الرابع

* صورة لصـــلاح سالم
(سئل جمال سالم عن أسباب استقالة صلاح سالم فأجاب من عين صلاح سالم ليقدم له استقالته) .

* صورة لصلاح سالم وهو يرقص فى السودان .

(فشل فى السودان فأمر عبد الناصر بقطع الاذاعة عنه وهو يخطب فى الفيوم) .

* صورة لجمال سالم .
(لحق جمال بشقيقه صلاح عندما اعترض على تمويل السد العـــالى) .

* صورة لفؤاد سراج الدين وابراهيم فرج وابراهيم عبد الهادى
(كيف أفرجت الثورة عنهم بعد اعتقالهم ؟)

الفصل الخامس

* صورة لصلاح سالم وهو يعلن اقالة محمد نجيب
(لم يكن يدرى أنه سيلحق بنجيب بعد أيام) .

* صورة لمجلس قيادة الثورة بدون نجيب وصلاح سالم وخالد محيى الدين ويوسف صديق) .

(أقيل ثلاثة من أعضاء المجلس وتحول الجميع الى وزراء وتم الخلاص منهم واحدا بعد الآخر) ٠

* صورة لمحمد نجيب
(عبده الشعب ولكنه لم يستطع حمايته) ٠

الفصل السادس

* صورة لعبد الناصر وهو يخطب فى حادث الاسكندرية فى يوم ٢٦ يوليو من كل عام ٠

(الاسكندرية أول من أيد الثورة وأول من عارضها)

* صورة لجماهير الاسكندرية وهى ملتفة حول عبد الناصر

(طلبت جماهير الاسكندرية من عبد الناصر الرأفة بنجيب)

* صورة لمجلس الوزراء مع سهم يشير على المدنيين منهم

(فقد عبد الناصر الثقة بضباط الثورة واعتمد على المدنيين) ٠

الفصل السابع

صورة للعدوان على عبد الناصر فى المنشية
(الحادث الذى أنهى عزلة عبد الناصر شعبيا) ٠

صورة لحسين الشافعى وأخرى لخالد محيى الدين
(الشافعى أول من أيد عزل نجيب وخالد محيى الدين الوحيد الذى عارض العزل) ٠

* صورة لعبد الناصر وهو يوقع اتفاق الجلاء ٠
(غطى عبد الناصر الفشل فى السودان بتوقيعه اتفاق جلاء الانجليز) ٠

* صورة للعلم المصرى وهو يرفع على معسكر الشلوفة
(العلم المصرى يرتفع بعد جلاء الانجليز) ٠

* صورة للشعب عند جلاء الانجليز
(رحيل المستعمر) ٠

الفصل الثامن

* صورة لاضراب عمال هيئة النقل العام
(نظم عبد الناصر اضراب هيئة النقل العام ليمتص الانقسام فى الجيش) ٠

* صورة لمحمد نجيب
(تحرك الشعب يهتف لنجيب ويطالب بسجن عبد الناصر)

* صورة لخالد محيى الدين

(رشحه عبد الناصر لرئاسة الوزراء وهو يعلم أنه مرفوض شعبيا وعسكريا) ٠

* صورة لمجلس قيادة الثورة ٠
(وافق على اقالة نجيب وبعد ٢٤ ساعة وافق على عودته) ٠

الفصل التاسع

* صورة لعبد اللطيف بغدادى
(أكد فى مذكراته أن عبد الناصر هو الذى وضع المتفجرات فى دور السينما والمسارح) .

* صورة للهضيبى زعيم الاخوان المسلمين
(أعفى نجيب لاتهامه بالاتصال بالاخوان المسلمين) .

* صورة لمحمد نجيب وهو يغادر مقر مجلس الثورة فى الجزيرة
(كان يحضر اجتماعات مجلس الثورة فى بدايتها ولا يحضر نهايتها) .

الفصل العاشر

* صورة لعبد الناصر فى باب الحديد بعد عودته من المنشية بعد العدوان عليه
(اطمأن عبدالناصر لتأييد الشعب له وتخلص من كل معارضيه)

* صورة لنورى السعيد
(خـــرج على اجماع العرب وأيد الأحلاف الأجنبية فأسقطه عبد الناصر) .

* صورة لعبد القادر حاتم
(كيف عين رئيسا للهيئة العامة للاستعلامات ؟) .

الفصل الحادى عشر

* صورة لعبد الناصر ومن حوله مندوبو الصحف والاذاعة

(من حوار مع الصحفيين أصبح عبد الناصر يحرص على الاستماع للاذاعات الأجنبية) .

* صورة لبيع تحف القصور فى المزاد

(نهب ضباط الثورة معظم تحف القصور وما تبقى منها بيع بالمـــزاد) .

* صورة لعبد الناصر وهو يتحدث الى مندوب الاذاعة

(أدلى عبد الناصر بأخطر التصريحات ونفتها الرقابة) .

الفصل الثانى عشر

* صورة لمحمد حسنين هيكل

(أنذر عبد الناصر رئيس تحرير الأهرام وعزله وعين هيكل رئيسا لتحرير الأهرام) .

* صورة لاجتماع رؤساء الدول العربية فى القاهرة عام ١٩٥٥

(الرؤساء العرب يرفضون الأحلاف العسكرية) .

* صورة لعبد الناصر وتيتو ونهرو فى مؤتمر بريونى عام ١٩٥٦ (اجماع على رفض سياسة الأحلاف وميلاد حركة عدم الانحياز)

الفصل الثالث عشر

* صورة للسد العالى (اشترط الغرب لتمويل السد الصلح مع اسرائيل وانهاء الخلاف مع الغرب) ٠

* صورة لكمال الدين حسين (خرج عبد الناصر على تعهد مجلس الثورة واعتقله هو وزوجته وأولاده) ٠

* صورة لجمال سالم (أقيل بسبب رفضه تمويل السد من السوفييت ٠

الفصل الرابع عشر

* صورة لعبد الناصر وهو يعلن تأميم قناة السويس فى المنشية (أغضب عبد الناصر العالم كله وقرر الغرب الاجهاز عليه)٠

* صورة لمبنى قناة السويس

(المبنى الذى ظل يمثل دولة داخل الدولة وأممه عبد الناصر)

* صورة لقوافل السفن تمر فى قناة السويس عام ١٩٥٦

(استطاع المرشدون المصريون ادارة القناة بعد اضراب المرشدين الأجانب) ٠

* صورة لعبد الناصر وهو يخطب من منبر الأزهر

(فرضوا علينا القتال ولكنهم لن يفرضوا علينا الاستسلام) .

الفصل الخامس عشر

* صورة للدكتور محمود فوزى

(فوزى غير قرارا لمجلس الثورة) .

* صورة لمدن السويس وبورسعيد خلال العدوان

(بور سعيد هدمت تخطيط اسـرائيل والانجليز والفرنسيين للالتقاء فى بور سعيد) .

* صورة للملك فاروق

(فى كل محنة كان يتجدد أمل فاروق فى العودة) .

الفصل السادس عشر

* صورة لايزنهاور

(اتفق عبد الناصر مع ايزنهاور على الجلاء مقابل فتح خليج العقبة أمام اسرائيل) .

* صورة لخروشوف

(هاجمه عبد الناصر واحبط مشروع ايزنهاور لسد فراغ الشرق الأوسط) .

* صورة لنهرو

(قال بان عبد الناصر فى حاجة الى بعض الشعر الأبيض) .

الفصل السابع عشر

* صورة للاستقبالات الشعبية التى لقيها عبد الناصر فى سوريا (يظن عبد الناصر أن الوحدة تحققت ولكن الضربة جاءت لثورته من سوريا) .

* صورة لعبد الناصر وهيكل وحدهما على يخت الحرية (اصطحاب عبد الناصر لهيكل وحده أثار حفيظة رؤساء التحرير) .

الفصل الثامن عشر

* صورة لعبد الناصر وهو يخطب من قصر الضيافة فى دمشق (هاجم الحكم الملكى فى العراق وبعد أيام سقط) .

* صورة لعبد الحميد السراج وعبد الحكيم عامر .

(كيف انتهى الصراع بين السراج وعامر) .

الفصل التاسع عشر

* صورة ليخت الحرية وهى تغادر الاسكندرية
(كانت رحلات عبد الناصر سرية الى سوريا خوفا من اسرائيل)

* صورة لعبد الناصر يبدو فيها المرض
(تسرب المرض لعبد الناصر بعد انفصال الوحدة بين مصر وســوريا) ٠

الفصل العشرون

* صورة لعبد الناصر وهو يعلن انفصال سوريا من قصر القبة
(سقطت الوحدة بين مصر وســوريا بأموال عربية وتواطؤ غربى) ٠

« تقــديم »

يتضمن هذا الكتاب صـــورا ومواقف وحقائق وآراء لجمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة الذين شاركوه فى المسئولية تنشر لأول مرة ، خطها شاهد عيان ، وعرضها خلوا من التعليق أو التحليل أو الاجتهاد فى الاستنتاج والاستنباط ، وتركها تتحدث عن نفسها ، فاذا كانت تختلف عما تعارفنا عليه أو تتوافق معه فى بعض الأحيان ، واذا كانت تكشف مبالغة الذين كتبوا مذكراتهم عن هذه الفترة الدسمة من تاريخ مصر أخيرا ، فحسبى أننى لم أزد حرفا عما سمعته ، ولم ألون صورة رأيتها بغير لونها ، وحسبى أننى لست يســـاريا متطرفا فأثنى حيث لا يكون الثناء مطلوبا ، وأهاجم فى مواضـــع قد لا يكون الهجـــوم مناسبا ، دفاعا عن عبد الناصر ، وأنا لســـت يمينيا متطرفا أركـــب موجة العداء لعبد الناصر ، أكيل له كيلا ، وأشكك فى منجزاته التى لا يمكـــن التشكيك فيها ، وأحمل هناته وأخطاءه أوزار الدنيا كلها ، مهملا الظروف المخففة لها ، مسقطا من حسابى الأسباب والملابسات التى دفعته دفعا للوقوع فى هذه الأخطاء والأوزار ، والتى ربما لم يكن له من سبيل غير هذا السبيل ، وانما أنا مصرى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى سام يصل الى حد التقديس والاجلال ٠

لقد ساقنى قدرى الى أن أرقب الأحداث عن كثب قبل ثورة يوليو لفترة قصيرة ، كنت أعمل خلالها فى المجال الاذاعى السياسى ، الأمر الذى أتاح لى أن ألمس الكثير من خفايا العهد ، وأن أقرأ أكثر عن هـــذه الخفايا ٠٠ ولكننى على كثرة ما قـــرأت ، وعلى كثرة ما اتصلت ، لم أصل الى حقيقة ما كان يجرى فى مصر فى هذه الفترة ، وما زلت أرقب ما يكتب عنها ، علنى أصحح ما تكون لدى من صورة قاتمة عنها ٠

وقد قضيت عمرى كله وما زلت أقضى ما تبقى منه فى خضم أحداث ما بعد ثورة يوليو ، وخلال هذه الحقبة الطويلة ، كنت أقترب من الأحداث الى حد المشاركة فيها ، وكنت فى أحيان أخـــرى أبتعد عنها ، مكتفيا برصدها بشرها وخيرها وحلوها ومرها ، وسيتبين القارىء حتما من سياق كتاباتى الفترات التى كنت فيها قريبا من الأحـــداث ، والفترات التى ابتعدت فيها ٠٠ الا أننى فى الحالتين حاولت جهد استطاعتى أن أتبين صدق المواقف وحقيقتها ، لأنه كثيراً ما كان الذى يمثل أمامنا آنذاك يخالف تماما ما يجرى خلف الكواليس وفى دهاليز السلطة ، خاصة وأن مناخ الحرية والديمقراطية لم يكن متاحا تماما فى هذه الفترة ، وانما السرية والكتمان كانتا تحيطان بكل ما يجرى من أحداث ، كأنه أسرار حربية أو ألغاز من الصعب حل عقدتها ٠

فى هذا الجو المشبع بالخوف والاضطراب ، كثرت الشائعات والأقاويل ٠ واليوم تتملكنى الدهشة ، بعد أن تبين لى أن كل ما سمعته من روايات وحكايات وقتذاك ، معظمه أو بعضه كان حقيقة ٠

ومثل هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر الحديث ، المغنية بتياراتها التحتية والسطحية لا يقوى على رصدها شخص واحد ، مهما أوتى من قدرة حتى ولو كان من الذين صنعوا احداث هذه الفترة أو شاركوا فيها أو اؤتمن على كل الأسرار التى حفلت بها ، لأنه مهما كان الأمر — سواء اراد أو لم يرد — فان رؤيته للأحداث ستتلون بمشاعره وأحاسيسه ، وصلات الصداقة والعداوة التى ربطته بالأشخاص والقادة والأبطال ، وانما الأمر يتطلب حشد جهد عشرات ومئات الشخصيات ، من الذين تحملوا المسئولية مع الحاكم ، وشاركوا فى اتخاذ القرار ، وممن كانوا بعيدين عن تحمل المسئولية ، ولكنهم يتصفون بالحيدة التامة ، لا ينتمون لمذهب من المذاهب أو لجماعة من الجماعات ، استفادت من الحكم القائم ، ويهمها تبرئته من كل ما هو منسوب اليه من اخطاء أو هنات أو زلات .

لذلك كله رأيت أن أسهم بهذا الجهد المتواضع ، علّه يساعد على استجلاء هذه الحقبة الهامة من تاريخنا المعاصر ، ويساعد على كتابة التاريخ الدقيق لهذه الفترة الهامة ، حتى لا تطمس الحقائق ، فتضيع أجيالنا من الشباب فى متاهات لا حدود لها . وهذا أمر جلل وخطير .

وقد قسمنا مسار ثورة يوليو الى ثلاث مراحل ، الأولى :
— موضوع هذا الكتاب — وتبدأ منذ قيام الثورة فى فجر ٢٣ يوليو

سنة ١٩٥٢ حتى ٢٣ يوليـــو ١٩٦١ موعد صـــــدور القرارات الاشتراكية ، والثانية من يوليو ١٩٦١ حتى سبتمبر سنة ١٩٧٠ يوم وفاة جمال عبد الناصر ثم المرحلة الثالثة والأخيرة من ١٧ أكتوبر سنة ١٩٧٠ ، يوم أن آلت مقاليد السلطة دستوريا الى الرئيس محمد أنور السادات ٠

لطفى عبد القادر

مقدمة

ثارت قضايا عديدة حول ثورة يوليو وعبد الناصر ، واستمر الجدل حولها من لحظة قيام الثورة وتولى عبد الناصر قيادتها الى أن توفاه الله ، وزاد الجدل واحتدم واشتد لما منيت الثورة بالهزيمة الشنعاء فى حرب ١٩٦٧ التى خلفت احتلال حوالى ½ الأراضى المصرية والعربية فى فلسطين وسوريا والأردن ، وبات من المستحيل تحرير الأرض ، لأن المنطقة دخلت بعدها فى دوامة صراع الجبابرة بين الشرق والغرب فى جلاء ووضوح ، بعد أن كان هذا الصراع خافيا على العيان ، وما زالت القضايا المثارة لم تجد لها جوابا شافيا حتى الآن ، فهل كانت سياسة عبد الناصر تعتمد على الفعل ورد الفعل كما قرر توفيق الحكيم فى كتابه عودة الوعى وأن عبد الناصر فى أوائل عهده ، كان قد أعد خطبه يلقيها ، ويعلن فيها خطه أو رؤيته للسلام فى المنطقة ، غير أنه سمع من السفير الأمريكى وقتئذ ، كلمة استقبله بها فى زيارة فلم تعجبه الكلمة ، وانفعل وغير خطبته واتجاهه فى الحال ، وكان لهذا المسلك الانفعالى تأثيره على مصير الوطن كله ، كما سارت الأمور كلها بعد ذلك فى شئون الدولة خارجها وداخلها على هذا المسلك وبهذا المحرك « انفعال ورد الفعل » .

هل أخل عبد الناصر بتعهداته للغرب بعد قيام الثورة ؟ وهل حقيقة أن الثورة ما كان لها أن تنجح لولا تأييد الأمريكان لها ؟ فلولا هذا التأييد لتحركت القوات البريطانية المرابطة فى منطقة القناة وقتذاك ، والتى لا تبعد عن القاهـــرة أكثر من مائة كيلو ، ودكت القاهرة دكا ، خاصة وأن القوات المسلحة المصرية لم تكن تملك من السلاح ما يقاوم هذا العدوان ، واذا كان هذا حقيقة ، وهى قريب للتصديق ، لو علمنا أن سياسة الولايات المتحدة الأمريكية كانت قائمة على أن تحل أمريكا محل بريطانيا فى المناطق التى تطرد منها أو تجلو عنها ، فما الذى فعله عبد الناصر حتى جعل الغرب يعلن عليه الحرب الاقتصادية والحرب المسلحة ، ويستخدم كل نفـــوذه للاجهاض عليه وعلى ثورته ؟ فالمعركة بين عبد الناصر وجون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية وسياسة حافة الهاوية ، كلنا يعلم تفاصيلها ، وحرب التجويع التى فرضـــها الغرب عليه معروفة ، واشتراك بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل فى العدوان الثلاثى عـــام ١٩٥٦ كان بالتواطؤ مع الولايات المتحدة ، بعد أن كسر عبد الناصر احتكار السلاح ، وعقد صفقة السلاح التشيكية فى سبتمبر عـــام ١٩٥٥ ، ومسألة تمويل السد العالى وسحب الغرب لعروضه ، ورسو المزاد على الاتحاد السوفيتى ٠٠٠٠ الخ ٠

هل حادث المنشية من صنع عبد الناصر نفسه كما قرر محمد نجيب فى مذكراته ؟ لقد كنت واحدا ممن حضروا هذا الاحتفال ، وشـــهد اطلاق الرصـــاص على عبد الناصـــر ، وســـــمع اعلان

عبد الناصر بعد ثوان ، بأنه قد تم القبض على المجرم ، وطلب من الحاضرين أن يلزم كل منهم مكانه ، وأشهد أننى كنت مرافقا لركب عبد الناصر منذ دخوله مدينة الاسكندرية بسيارته قبل وقوع الحادث بيوم أو أقل قليلا ، وأعترف أن الركب دخل المدينة وكأنه ركب غريب على أهل المدينة ، لا شأن لهم به ، فلم أشهد صريخ بن يومين يستقبله ، على طول المسافة التى قطعها منذ دخوله الاسكندرية حتى قصر الصفا الذى كان ينزل فيه عبد الناصر خلال كل زيارة له للاسكندرية ، وكان هذا الموقف مثار تعليقات شتى عن مدى تعلق الجماهير بعبد الناصر ، الا أن الموقف تحول الى النقيض ، فقد غير عبد الناصر وسيلة عودته الى القاهرة من السيارة الى القطار ، واستقبل القطار الذل لعبد الناصر استقبالا شعبيا رائعا لا مثيل له فى معاثر المحطات التى توقف بها ، وفى باب الحديد أستقبل استقبال الأبطال أو الغزاة والفاتحين ، فهل هذه الصورة يمكن أن تأتى دليلا يؤيد هذه الحادثة ؟ خاصة وأن حسن التهامى — أحد الضباط الأحرار — قرر أن خبيرا أمريكيا رسم ما تم فى المنشية ، بقصد تحويل حالة الامتعاض التى كان يقابل بها عبد الناصر من الشعب الى حالة استقبال الأبطال .

والقضية الأخرى الغريبة المثيرة حقا للدهشة والذهول ما جاء فى مذكرات عبد اللطيف بغدادى من أن أحداث التخريب والحرائق فى السينمات والمسارح فى الخمسينات كانت من صنع عبد الناصر بقصد الاثارة واشعار الجماهير أنهم بحاجة لمن يحميهم .

والقضايا الأخرى المثارة عديدة ومتنوعة لا يمكن حصـــرها فحقيقة ما تم فى أزمة مارس بين عبد الناصر ومحمد نجيب لم تعرف تماما ، وحقيقة أسباب الخلاف بين عبد الناصر وكل من استقالوا أو اقيلوا من مجلس الثورة ما زالت خافية كل وقائعها وملابساتها ، فكيف يمكن تفسير ظاهرة أن مجلس الثورة الذى كان يتكون من عشرة نجوم ، لم يبق منه مع عبد الناصر فى الســلطة فى خلال سنوات قليلة سوى نجم أو نجمين من المذنب ومن المصيب ؟ أمر يحتاج الى بحث وتدقيق ، لا دفاعا عمن خرجوا وادانة لعبد الناصر أو العكس ، وانما رغبة فى معرفة ما كان يدور على مسرح السياسة المصرية ، حتى يمكن تقييم الفــترة التقييم الصحيح الدقيق حتى لا يزيف التاريخ ، ويوضع كل حاكم فى موضعه الصحيح ٠

وأيا كان الأمر سواء صدقت هــذه الروايات أو لم تصـــدق فعلينا أن نتركها للزمن فهو كفيل بتوضيح كل لبس بها ، خاصة بعد أن تعلن لجنة التاريخ تقريرها ، وهى اللجنة التى استدعت كل من شارك فى هذه الفترة ليدلى بشهادته ، بشأن كل هذه الاستفسارات وعلامات الاستفهام ، ذلك لأن كتابة التاريخ والأحداث ساخنة ، لا يفى بالغرض المطلوب ، وانما كثيرا ما يشوه الحقائق أو يبترها أو يقدمها ناقصة ، وانما بمرور الأيام وربما السنين وبمجـــهود المتخصصين تظهر الحقائق ، ويتبين المخطىء والمصيب ، والفاعل الحقيقى والمخطط والمدبر ، بل وتتكشف نواياه وأهدافه ، وليس أدل على ذلك من أن أحداث العدوان الثلاثى التى مر عليها ما يقرب

من ثلاثين عاما أو يزيد ، ما زالت تحمل الأنباء الينا أسرارا ما كنا نعرفها او أعلنت غداة حرب بورسعيد ٠

ولكن ينبغى الا يلهينا هذا كله عن منجزات ثورة يوليو ، التى يحلو للبعض أن يطلق عليها لفظ انقلاب ، بحجة أن عناصر الثورة لم تكتمل لها ، ينبغى ألا يلهينا هــذا كله عن حقائق لا مراء فيها فثورة يوليو قامت تلبية لنداء التطور واستجابة لصوت التاريخ ، لذلك صمدت لسائر المؤامرات التى حيكت لها ، ووقفت فى وجه العواصف التى أرادت أن تقتلعها نهائيا ، فهى لا تعتبر حدثا مجيدا فى تاريخ مصر وحدها وانما هى ظاهرة فذة فى تاريخ الثورات كلها ، فاذا كان قد انتابها بعض القصور والعجز فى وقت ما ، فقد صححها ابن من أبنائها هو الرئيس محمد أنور السادات ، يوم أن فجر ثورة التصحيح فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ٠

وينبغى ألا ننسى أن ثورة يوليو قضـــت على عهـــد بأكمله بفلسفته ونظرياته ، وأسقطت عرشا لا بل عروشا ، وكان عبد الناصر قائدها عندما ينادى بمبدأ فى مصر ، اهتزت له دول فى أقاصى الأرض ورددته الملايين من البشر على بعد آلاف الأميال ، وكانت كلمة منه تسقط حاكما بل نظاما ، وقد سمعته من شــرفة قصــر المهاجرين فى دمشق يهاجم مرجان وكان رئيسا لوزراء العراق ، ويقول له أنزل يا مرجان ، وفى اليوم التالى مباشرة سقط مرجان ، ومن بعده سقطت الملكية فى العراق وقامت ثورة عبد السلام عارف٠

لقد أسقطت ثورة يوليو بريطانيا العظمى وحفرت قبرا لها فى القاهرة ، وأسقطت فرنسا فى الجزائر وبلجيكا فى الكونغو ، وأقامت أول وحدة عربية فى التاريخ الحديث بين مصر وسوريا ، وقادت المواجهة الحاسمة للاستعمار ، وأصبحت المثل والرمز لسائر الثورات التى تفجرت بعدها فى سائر الدول النامية أو دول العالم الثالث ، وكانت رائدة فى ارساء أسس الاشتراكية ، على أنها الطريق الأمثل والوحيد لحل مشاكل التخلف الحضارى التى تعانى منها سائر دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ولذلك أعلن الغرب الحرب العنيفة ضدها ٠

ويكفى ثورة يوليو فخرا انها أستطاعت أن تكسر محاولات استقطابها للشرق أو للغرب سنوات طويلة ، واستطاعت والغرب يدير لها ظهرها ويهدم كافة الجسور بينها وبينه ، والاتحاد السوفييتى لا يقدم لها العون والسند الكافيين ، أستطاعت أن تصمد وتؤسس مبدأ دول عدم الانحياز ويضع عبد الناصر يده فى يد نهرو وتيتو للدفاع عن هذه السياسة ، بهدف تخفيف حدة التوتر بين القوتين العظميين ، وسارت فى الشوط الى نهايته ، وفى يقينى أن النكسات التى أصابت ثورة يوليو ، هى نتاج لتصميم الغرب الذى لا يلين على هدم عبد الناصر ، والاجهاض على اشتراكيته ، فأغلق قناة السويس مرتين ، وفرض الحصار الاقتصادى على مصر ، وفصل الوحدة بين مصر وسوريا ، وفتح ميدان الحرب فى اليمن لاستنزاف كافة موارد مصر ، حتى لا تثمر الاشتراكية ، وحتى

لا تكون مبدأ ناجحا يتبعه سائر الزعماء فى المنطقـــة وفى مناطق عديدة من العالم ، بهدف أن يركع عبد الناصر على قدميه عقابا له على معاداته للغرب •

وقد بذل عبد الناصر محاولات مستميتة حتى لا ينحاز لأى من القوتين ، والا يكون لأى منها مركز ممتاز فى مصر ، فاستمر يحمى القوات المسلحة من الغرق فى بحر السياسة وحرب الشعارات والمبادىء ، فحماها من التمزق والانهيار ، الا أنه بعـــد هزيمة يونيو ، اضطر اضطرارا لأن يسلم فعالية أمره للاتحاد السوفيتى ، عله ينقذه من الهزيمة ويرد له الكرامة والأرض المحتلة ، ولما لم يفعل واجه السوفيت فى قلب الكرملين علنا بقبوله لمبادرة روجرز ووجه النداء الشهير لنيكسون فى مايو عام ١٩٧٠ قبل وفاته بشهور أربع ، ولكن السيف كان قد سبق العزل ، ولذلك قيل عنه أنه فشل فيما نجح فيه زميلاه مؤسسا عدم الانحياز معه ، جواهر لال نهرو ، وجوزيف بروز تيتو ، وقيل عنه كذلك انه لم يكن عملاقا من نوع العمالقة الذين عاصروه كماوتسى تنج وشواين لاى وديجول وفرانكو ، انما لم يستطع أحد أيا كان أن يشـــك فى اخلاصه ووطنيته وفى زعامته وفى مقدرته على مواجهة الأحداث بقدرة واقتدار ، وانما أخذ عليه أنه وجه جل اهتمامه للسياسة الخارجية وأهمل شئون البلاد الداخلية ولكن لم يقـــدر له النجـــاح الكامل فى السياسة الخارجية ولم يقدر له كذلك التفوق فى مواجهة المشاكل الداخلية وهذا ما جعل أعداءه يتهمونه بأنه كان أكثر حرصا على مجده

الشخصي من حرصه على مجد بلده وأنه بسياسته قدم لاسرائيل عدوته التقليدية ما لم تكن تحلم به ٠

باختصار شديد جدا يمكن القول بأن عبد الناصر نجح فى تحقيق أهداف ثلاث من الأهداف الستة للثورة ، نجح فى القضاء على الاستعمار وأعوانه والقضاء على الاقطاع والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ولكنه لم ينجح فى اقامة الحياة الديمقراطية السليمة ولا العدالة الاجتماعية ولا الجيش الوطني القوى وهى الأهداف الثلاثة التى قامت من أجلها ثورة مايو التصحيحية ٠

وما نسجله فيما يلى ليس دفاعا عن عبد الناصر وانما تحليلا للملابسات والظروف والأحوال التى ساعدت على عدم نجاحه فى تحقيق الأهداف الثلاثة الأخيرة ٠

باذىء ذى بدء أن عبد الناصر كما عهدناه لم يكن يتقبل الرأى الآخر تماما بل كان يضطهده ويعنفه ويبتر صاحبه ، ربما هذه الظاهرة تكونت لديه من حياته العسكرية القائمة على الضبط والربط وعدم مخالفة الأوامر حتى ولو كانت خاطئة ، وربما قد تولد عنده هذا الشعور من عقدة محمد نجيب الذى طالب بعودة الديمقراطية وقيام الأحزاب لتتولى أمور البلاد السياسية ، وطالب بعودة الجيش الذى قام بالثورة الى ثكناته ، أى أن الجيش قام لطرد الملك فقط ، وانما عبد الناصر كان يعتقد أن الأحزاب كانت هى عصب

الفساد السياسى الذى عم البلاد قبل الثورة ، وانها كانت عميلة اما للسراى أو الانجليز أو للاثنين معا ، ولم يكن حتى هذا الحين لديه أى فكر اشتراكى ، وانما تولد عنده فيما بعد ، وقيل انه تلقاه على يد خالد محيى الدين ، أى انه قام بالثورة ولم يكن لديه فكر محدد يطرحه على الشعب ليمارس سلطاته على أساسه ، ولما حقق القضاء على سيطرة رأس المال والاقطاع والاستعمار وحوارييه ، ولد شعور العداء للثورة لدى جميع الذين أضيروا من تطبيق هذه المبادىء وتصور المحيطون بعبد الناصر أن الثورة المضادة قادمة ، بسبب اتفاق الوفديين والاخوان المسـلمين والشيوعيين ورجال السياسة فى العهد الماضى على قتل جميع أعضاء مجلس الثورة ، وبالطبع كان هو فى مقدمة القائمة ، وصوروا له أن لديهم أعوانا عديدين بين أفراد القوات المسلحة يمكن أن يقودوا انقلاب الثورة المضادة ، وأن تنظيم الاخوان المسلمين لم ينته بحملة الاعتقالات والمحاكمات والاعدامات ، لأن لديه كوادر عديدة بحيث اذا تحطم الكادر الأول سلم الراية للكادر الذى يليه وهكذا ، وأن الحـزب الشيوعى قد حل نفسه ظاهريا وانما هو فى واقع الأمر يعمل تحت الأرض فان خلاياه منتشرة فى سائر أنحاء البلاد ، الأمر الذى دفع عبد النـاصر الى اجراءات الأمن والقمع واقامة الدولة البوليسية التى ليس لها من مهمة سوى حماية الحاكم حتى ولو أدى ذلك الى ضرب الشعب كله ، فعاش الشعب فى رعب دائم وخوف مستمر من اجراءات قمعية جديدة ، وتولدت عدم الثقة بين الشعب والحاكم ، فقيدت الملكات الفردية ، وترك الأمر كله للدولة ، فأصيب كل ما فيها

بالشلل التام ومما زاد الطين بله أنه أعطى افراد القوات المسلحة سلطات واسعة حتى فى الميادين التى لا يملكون أسلحتها ، فعملوا كمهندسين وخبراء وفنيين واداريين . وكانت بداية الشلل والعصابات التى لا تعترف بالقانون ، وانما تطوعه لرغباتها وشهواتها وأطماعها ، فأثروا ثراء فاحشا على حساب الشعب ٠

وقد استغل الغرب هذه الأمور كلها ضده ، وشن عليه حرب اذاعات اشترك فيها أكثر من اذاعة سرية ، كان يستمع اليها ملايين المواطنين فيصدقون كل ما يذاع . من أن ملكا واحدا طرد ، ولكن دخل محله مئات الملوك الذين يريدون الاثراء على حساب الشعب ، وأن عبد الناصر سينصب نفسه ديكتاتورا ليس على مصر وحدها وانما على الأمة العربية بأسرها ، وكان ذلك باعثا للخلاف بين عبد الناصر والدول العربية ، وأكد هو نفسه هذا الخلاف ودعمه بتقسيمه الدول العربية الى عرب انجليز وعرب أمريكان ، وكلهم عملاء للغرب وينبغى الخلاص منهم ، فوصم الأمة العربية كلها بالخيانة ، كما وصم الساسة القدماء كلهم بالخيانة ، ومعنى ذلك أنه ليس هناك من وطنى سواه ، وهذا أمر جد مستحيل ، واستمر يتبع هذه السياسة ، معتقدا أنها سياسة حكيمة ما دامت قد أسقطت الملكية فى العراق والامامة فى اليمن ، وهزت سائر النظم الموالية للغرب فى المنطقة الى أن منى بالنكسات ، فمن فصل الوحدة بين مصر وسوريا ، الى حرب ضروس فى اليمن راح ضحيتها عشرات الآلاف من خيرة الضباط والجنود المصريين فضلا عن الخسائر المادية التى بلغت مليون جنيه يوميا ، مما أضاف عبئا ثقيلا على الميزانية ،

وبالتالى لم يجد الشـــــعب نتيجة ملموسة للاشتراكية ، التى ظل عبد الناصر يمنيه بأحلام ومجتمع الرفاهية سنوات طويلة ، ولم يتحقق الحلم ولا المجتمع المنشود ، الى أن جاءت هزيمة ١٩٦٧ ، فعصفت بكل شىء ، حتى بعبد الناصر نفسه ، وهدمت آماله وقضت عليها نهائيا .

لقد استمر عبد الناصر يقاوم ويناضل داخليا وخارجيا منذ قيام الثورة ، قايم الخلافات فى مجلس الثورة ، الذى كان يضم أنماطا متباينة فى التفكير والثقافة والوضع الاجتماعى ، ظهرت على السطح عند أول اجتماع له ، ولم تكن هذه الأنماط غريبة عما يدور داخل المجتمع المصرى ، وانما كانت صورة صادقة حية لهذا المجتمع . فقد ضم اجناس اليساريين والمتدينين واليمينيين والمنتسبين بالفكر والمنبت والنسب لمجتمع ما قبل الثورة ، وكان على عبد الناصر أن يوائم بين هذه الأفكار جميعا ، ان يجمع بين الشيوعيين والاخوان المسلمين واليمينيين ، ولما تعذر عليه تخلى عنهم واحدا بعد الآخر ، حتى يمكن القول بأن الاستقالات أو الاقالات فى مجلس الثورة ، كانت مؤشرا لخلاف الثورة السياسى ، ومدى انحيازه الى الغرب أو الى الشرق بناء على هذه الاستقالات أو الاقالات ، فقد تم اعتقال الشيوعيين أكثر من مرة وحل الحزب الشيوعى ، وكان أول من فصل أو استقال من مجلس الثورة خالد محيى الدين ويوسف صديق ، ثم صلاح سالم وجمال سالم وحســـن ابراهيم وبغدادى وكمال الدين حسين وأخيرا المشير عبد الحكيم عامر بوفاته أو انتحاره ، واختتمت القائمة بزكريا محيى الدين ، واذا نظرنا الى هذه الاستقالات نظرة

فاحصة ، لرأينا أن الثورة أو عبد الناصر عادى الشيوعية أكثر من مرة سرا وعلنا ، عندما وقف فى بورسعيد ، وحدد موقفه من مبادىء لينين فى مقـارنة بين اشتراكيته والاشتراكية اللينينية والفروق الجوهرية بينهما وهى أننا نؤمن بالله والدين والرسـل والاشتراكية اللينينية تنكر الأديان والرسل ، وأن الشيوعية تنتقل من دكتاتورية الرجعية الى رجعية البروليتاريا . والماركسية اللينينية تنص على تأميم الأرض ونحن نؤمن بالملكية الفردية وهاجم الأسلوب الشيوعى للاستيلاء على الحكم بالعنف والدم .. ولكنه لم يلبث بعد هذا الهجوم أن أيد اليسار وتخلص من اليمين ، فقد فعل ذلك بالرغم من تحذير شواين لاى له من الروس عند حضوره لمؤتمر باندونج وبالرغم من موقف الروس فى العدوان الثلاثى ، وتغطيته هو شخصيا على هذا الموقف ، واظهاره لهم أنهم هم الذين خلصوه من الاحتلال الانجليزى الفرنسى الاسرائيلى فى عـام ١٩٥٦ واغماطه لحق الغرب فى هذا الشأن ، استمر معهم حتى هزيمة يونيو حيث سلم لهم مقاليد الأمور نهائيا حتى انه عرض عليهم تولى سـلاح الطيران المصرى برمته بهدف اجلاء اسرائيل ، والآن هل هذا الموقف يؤخذ على عبد الناصر ويحمله مسئولية النكسات جميعها ؟ .

والاجابة على هذا السؤال لا يتسع لها المقام الآن، وقد نجيب عليه فى الجزء الثانى من هذا الكتاب الخاص بفترة النكسات من يوليو ١٩٦١ حتى سبتمبر ١٩٧٠ ، انما يهمنا هنا أن نقرر حقيقة ، وهى أن عبد الناصر استمر يكبح جماح زملائه من القوات المسلحة الذى أسند لهم مناصب مدنية حتى عام ١٩٦١ ، الى أن دهسـه

المرض ، وخفت قبضته نهائيا أو بالتدريج ، وفى ظل مرضه تكونت مراكز القوى ودولة المخابرات ، وأصبح باعترافه شخصيا أنه غير قادر على ضربها أو التخلص منها ٠

والخلاف قائم حول هذا الأمر عند تحديد مسئولية عبد الناصر ، فهل يعفيه مرضه من المساءلة ، كلا ، لانه لو قاد البلاد قيادة جماعية أو ديمقراطية ، لوجد من يحل محله فى حالة مرضه ، ويقوم بتسيير دفة أمور الدولة ، ومسئولية عبد الناصر هنا تأتى من أنه تخلص من كل معاونيه ، ولم يعد هناك بديلا لهم ، فمنذ أن انتخب رئيسا للجمهورية فى يونيو سنة ١٩٥٦ ، حل مجلس الثورة ، وأصبح المسئول الاول والاخير عن مصر سواء من ناحية السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية ، ومحاولاته لاستبدال مجلس الثورة بمجلس رئاسة ثم باللجنة التنفيذية العليا ، لم تؤثر فى مسئوليته الكاملة عن القيادة من سنة ١٩٥٦ الى وفاته فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، اى ان مصر حكمت جماعيا من ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦ ، أى حوالى اربع سنوات وهى التى تمتفيها التغييرات الجذرية التى أحدثتها ثورة يوليو ، وهذه نقطة فخار لهذه الثورة ، لان أعظم الانجازات التى قامت خلال هذه السنوات الاربع ، فى مثل الظروف الصعبة التى كانت تجتازها وقتذاك ، من الصراع بين الشرق والغرب لاحتوائها ، ومن الخلافات المستمرة بين أعضاء مجلس الثورة . ومعركة مارس واقصاء محمد نجيب عن الحكم ، كل ذلك يؤكد أصالة الانسان المصرى ، ويبرهن على قدرته الفائقة على

الخلق والابداع لو أتيح له الجو المناسب لهذا الخلق والابداع ، فالانسان الذى افرز كل هذا الانجازات رغم الصعوبات والعقبات التى ذكرناها يستحق كل تقدير وثناء ٠

أما أن عبد الناصر بمفرده نجح فى ادارة دفة البلاد من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٧٠ فان الشواهد تؤكد أن نجاحه حتى عام ١٩٦١ ، حتى ٢٣ يوليو منه بالتحديد ، وحتى هذا النجاح لم يكن مطلقا ، فقد تخلله العديد من المواقف التى تقلل هذا النجاح ، ولو انها قليلة الاأنها كانت مؤثرة على مابعدها من أحداث ، ففصـــل الوحدة بين مصر وسوريا تقع مسئوليتها أولا على عبد الناصر ثم عبد الحكيم عامر ثم عبد الحميد السراج وسيأتى تفصيل ذلك فيما بعد ، كما أن التسرع باصدار القرارات الاشتراكية من غير تهيئة الشعب لها نفسيا وعمليا ، كان له آثار عميقة على كل ما جد من أحداث على مسرح السياسة المصرية ٠

وأما متى بدأت نهاية عبد الناصر ، فالبعض يؤكد أنها بدأت بعد هزيمة ١٩٦٧ ، والبعض يرجعها الى فصل الوحدة بين مصر وسوريا وصدور القرارات الاشتراكية ، والبعض يردها الى تأميم القناة والحصار الاقتصادى أو الى معركة تمويل السد العالى ، وانما فى تصورى أن نهاية عبد الناصر بدأت مع بداية انفراده بالسلطة منذ انتخابه رئيسا للجمهورية عام ١٩٥٦ ، لان المسئولية كانت أكبـــر من أن ينفرد بها زعيم مهما أوتى من قوة وقدرة ، لان

المسألة لم تكن فقط حكم بلد وانما كانت أعظم وأعمق من ذلك بكثير ، لانها كانت بجانب الحكم ، صراع بين الشرق والغرب أو صراع مع الشرق والغرب لتأكيد الاستقلال الذى نالته مصر ، وهو صراع الجبابرة الذى انفرد عبد الناصر بمواجهته ، ولم يستطع احتماله فأودى به ، وكاد أن يؤدى بالبلاد الى هوة سحيقة ، عندما تكون بؤرة للصراع بين القوتين الأعظم ، وهذا فى يقينى ما يحاول اليوم ان يفعله — الرئيس محمد أنور السادات وهو ابن من أبناء ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، فلنبدأ بالحديث عن مقدمات هذه (الثورة) وظروفها وكيفية حدوثها وموقف الشعب منها ، لنضع أقدامنا على طـــريق الاحداث الطويل ، والذى بدأ بانطلاق شرارتها فى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

المؤلف

- أبقى الملك فاروق كل أسلحته بعد اذاعة بيان الثورة وسلم بكل مطالب الضباط الأحرار ·

- الملك فاروق يأمر بفك محطة ارسال أبو زعبل لمنع اذاعة بيان الثورة ·

- قصة المهندس الشاب الذى أسهم فى انجاح الثورة ·

- انقطع الارسال الاذاعى مرتين مرة بسبب انقطاع الكهرباء ومرة بسبب تعطل التليفونات ·

- لولا قرار حل مجلس ادارة نادى الضباط لما فطنت السراى الى حركة الجيش بالمرة ·

- ١ -

يقبع قصر عابدين العتيد على بعد خطوات من منزلى الذى كنت اقطن فيه بالحلمية الجديدة ، كنت أمر عليه كل يوم وأنا فى طريقى الى مقر عملى فى الاذاعة فى الشريفين ، ولكنى لم أكن أجرؤ من الاقتراب من أسواره العالية فهو ممنوع على وعلى عامة الشعب المصرى قاطبة . مسموح فقط لحرسه الملكى بلبسهم الذين كانوا يقطعون هذه الأسوار ذهابا وجيئة شاهرين سلاحهم طوال النهار والليل ، كأنهم يقولون ، نحن هنا فحذار أن تحدثكم نفسكم بالعدوان على السيد الأوحد الذى يقطن هذا القصر العتيد مهما حدث منه من ظلم أو هوان فنحن لكم بالمرصاد .

كانت هذه الصورة تظل عالقة فى ذهنى وأنا اقطع الطريق كل يوم صباح مساء مسرع الخطى فى أيام الشـتاء قارسة البرد ، وأبطىء الخطى فى أيام الصيف شديدة الحر الى أن أصل الى الاذاعة مكان عملى وقت ذاك متعبا بعض الشىء فى أحيان قليلة وفى كل الأحيان نشيطا لأنجز ما هو موكل الى من أعمال بالاذاعة قبل حريق القاهرة بأيام وبالتحديد فى ٢٠ يناير سنة ١٩٥٢ .

كنا مجموعة من الشباب الاذاعى الذى ضمتهم ادارة تدعى ادارة العلاقات الخارجية تقوم بكل الأنشطة الاذاعية تقريبا ، فلم

تكن الاذاعة قد توسعت واتسعت لتشـــمل تلك الأقســـام العديدة الموجودة اليوم ، ولم يكن ارسالها قد غطى كل فترات اليوم وتعددت شبكاتها وتنوعت اذاعاتها ، كان يعمل بهذه الادارة خيرة الشباب الذى يتولى حاليا مراكز مرموقة فى مختلف ميادين الحياة . مديرها محمد المعلم صاحب دار نشر مرموقة الآن . وسامية صادق (مدير التليفزيون الآن) وثريا عبد المجيد (مدير البرنامج العام الآن) وأحمد سعيد الذى أصبح مديرا لصوت العرب ثم انخمر فى سلك المحاماة والحياة العامة ، وسميرة الكيلانى وليلى عجرمة وسعيد زايد وثريا حمدان وسعد التائه وغيرهم .

شغلتنا شئون الوطن ومتاعبه ، واستولت على كل خواطرنا وفكرنا وعقلنا ، فقد كانت الكنانة تمر بفترة عصيبة من تاريخها ، الأحداث تتوالى دون أن نفهم لها تحليلا ولا نستطيع أن نردها الى أسبابها الحقيقية ودوافعها الحقيقية ، أحرقت القاهرة ولم نضع أيدينا على الفاعل الحقيقى ، هل هو الملك أم الانجليز أم الاخوان المسلمون أو السراى أو الشيوعيون أو الأحزاب أم الجميع معا ، لا نكاد نفرغ من عملنا فى المساء ، حتى نجوب شوارع القاهرة الى أن يهدنا التعب والمعاناة ، فنتخير مكانا لنأخذ فيه أنفاسنا ، ولم نكد نشعر بالراحة حتى يشتعل النقاش حاميا مدويا ، كل يدلى بدلوه وفكره ، الغليان الشعبى فى ذروته ، بحيث أصبح دوام الحال من المحال ، وفى كل ليلة كان النقاش الحاد ينتهى الى نتيجة واحدة ، هى أن تغييرا لابد أن يحدث ، وأن النظام كله سائر الى زوال بعرشه

وأحزابه وساسته ، ولكن متى ؟ والسؤال الذى لم نستطع الاجابة عليه ، من سيحكم مصر بعد طرد الملك أو سقوطه أو اغتياله أو تنحيته ؟

وفى احدى ليالى أواخر يناير عام ١٩٥٢ قررنا أن ندير المعركة مع الشعب على الهـــواء ، نذيع البرامج الملتهبة والكلمة الثائرة الصادقة ٠٠ تسقط معاهدة ١٩٣٦ ٠٠ البترول بترول العرب ٠٠ على الاحتلال أن يرحل وتعود البلاد الى أصحابها ، كانت هــذه البرامج والكلمات تصدر كل أسبوع من ادارتنا ادارة العلاقات الخارجية وبرنامجها الذى كان يذاع كل يوم سبت ٠

(الملك يحل الادارة)

وبينما نحن نصب جام غضبنا على المحتل الانجليزى مباشرة وبطريقة غير مباشرة على القصر وبطانته جلساء السوء ، فوجئنا بقرار من السراى يقضى بحل الادارة ونقل جميع العاملين بها الى أقسام أخرى أو خارج الاذاعة ٠ طلب محمد المعلم ــ على عجل ــ مدير الادارة الى السراى ٠

ولم تمض ساعة حتى كنت أنا ومدير الادارة أمام القصــر العتيد الذى كنت لا أجرؤ على الاقتراب منه ، يرتدى كل منا طربوشا استلفه من آخر ، لأن الشعب كان قد قرر الخلاص من هذا الطربوش

رمز الذل والمهانة ٠٠ اقتربنا من القصر مشيا على الأقدام وهو الذى لم يتعود أن يستقبل الا العربات الفارهة الفخمة ٠٠ اعترضنا الحرس ومنعنا من الدخول ، وبالكاد أفهمناهم أننا على ميعاد مع أحد رجال الديوان ٠٠ وأخيرا أذن لنا ٠

والتقينا بكريم ثابت (باشا) رئيس الديوان ٠٠ لم تستغرق المقابلة من وقت الا بقدر سؤاله عن أسمائنا وقرر على الفور رفتنا ، وعدنا الى الاذاعة فى اليوم التالى ولكننا لم نجد قرار الرفت ، وانما مر يوم أو يومان ونقل محمد المعلم الى وزارة الزراعة ونقلت أنا الى الاستماع بالاذاعة ٠٠ وتفرق أعضاء الادارة التى هاجمت السراى والانجليز والاحتلال بين بقية الأقسام الأخرى ، ولم أكن أتصور أبدا اننى سأعود الى هذا القصر مرة أخرى وأعود اليه موظفا مقيما أو مندوبا يتردد عليه بين آن وآن بحثا عن الأنباء فى عهد عبد الناصر ثم فى عهد السادات كما سيجىء بعد ٠

على اننى لا أقدم هذه الذكريات استعراضا ولا استطرادا لا مبرر له وانما قصدت أن أعرض جانبا من الصورة التى كانت قائمة فى الجهاز الاعلامى الرئيسى وقتذاك قبل قيام الثورة بثلاثة شهور ، ومنها يتبين أن الملك لم يكن غافلا وأجهزته لم تكن نائمة ، وعند خروج هذا الجهاز عن الخط المرسوم كان ما كان ، ومعنى ذلك أن عيون السراى كانت موجودة فى كل مكان ، ولسنا فى حاجة الى وصف ما كانت تقوم به المباحث (البوليس السياسى) من

ملاحقة العناصر المنارئة للملك ، سواء أكانت مدنية أو عسكرية ، ومن هنا يمكن القول انها كانت معجزة أن تنجح حركة الضباط الأحرار ، ويمكن القول أيضا أن أعوان السراى لم يلقوا سلاح مقاومة حركة الجيش الا بعد اذاعة بيان الثورة فى الساعة السابعة والنصف من صباح الأربعاء ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وبدأ الملك وأعوانه يسلمون لمطالب الثورة كاملة بالرغم من انهم كانوا يصيفون فى الاسكندرية والثورة تشتعل فى القاهرة ٠

(التعجيل بقيام الثورة)

على أية حال اضطربت الأحوال فى مصر كما لم يحدث من قبل ، الوزارات لا تكاد تشكل وتتولى السلطة الا وتستقيل أو تقال ، ورئيس الديوان يتغير فى كل مرة يتم فيها تشكيل وزارة جديدة تقريبا ، وبدأ أن السراى فى حالة ارتباك شـــديد على الجانب السياسى ، وبينما هى فى هذا الارتباك بدأت المعركة الكبرى مع القوات المسلحة حاميتها من غضبة الشعب ـ كما كانت تعتقد ـ ففى ١٦ يوليو ١٩٥٢ أصدر الفريق محمد حيدر قرارا بحل مجلس ادارة نادى الضباط ارضاء للملك ، وعقابا للضباط على جرأتهم وتطاولهم على قائدهم الأعلى خلال اجتماع الجمعية العمومية بناديهم بالزمالك قبل شهر من هذا التاريخ ، وتنحية لأعضاء مجلس ادارة النادى المعادين للسراى والذين أسقطوا أعوان الملك من الضباط فى الانتخابات التى قد أجريت فى ديسمبر عام ١٩٥١ ، وظهرت قوة الضباط الأحرار ووزعت المنشورات باسمهم وفازت قائمتهم ٠

شعر الضباط الأحرار أن الخطر يحيط بهم من كل جانب بعد صدور قرار حل مجلس ادارة نادى الضباط ، فهى خطوة أشعرتهم بأن الملك تنبه لهم ، ومـــن الكياسة أن يحزموا أمرهم ويقوموا بحركتهم فى أسرع وقت ٠

(تغيير موعد قيام الثورة)

ولم يكد يمضى على قرار الفريق حيدر ساعات ، حتى بادرت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار بقيادة عبد الناصر الى عقد ثلاثة اجتماعات متوالية فى أيام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ يوليو ، تقرر فيها العدول عن كل المواعيد المتفق عليها ، القريب منها والبعيد ، وتخلوا عن فكرة الانتظار الى أن يستعد التشكيل ويقوى ويســيطر على فروع القوات المسلحة ، وقرروا القيام بحركتهم ليلة ٢٣ يوليو بدلا من ٥ أغسطس أو نوفمبر من عام ١٩٥٢ ، واتفقوا أيضا على أن تكون ساعة الصفر الواحدة بعد منتصف ليلة ٢٣ يوليو وأن تكون كلمة السر « نصر » وانطلق الضباط الأحرار وأبلغوا بقية أعضـــاء التشكيل فى مختلف أسلحة القوات المسلحة ، لكى يستعدوا لليوم المشهود بعد اجتماع يوم ٢٢ يوليو الذى شـــهده عدد كبير من الضباط الأحرار فى منزل خالد محيى الدين ، وتولى زكريا (محيى الدين) أقدم الموجودين رتبة قراءة خطة العمليات على الحاضرين قبل ساعات من قيام الثورة ، هذا التصرف أغضب جمال عبد الناصر كما جاء فى كتاب جمال حامد أحد ضباط الثورة٠ ٢٢ يوليو ٠٠أطول يوم

فى تاريخ مصر ٠٠ وذكر أن عبد الناصر قال ملتفتا الى الضباط الحاضرين بعد انتهاء زكريا من قراءة التعليمات ، الحكاية مش أقدمية ٠٠ وبعد هذه الواقعة تخلى زكريا محيى الدين وترك قيادة التنظيم لعبد الناصر ٠

(المفاجأة الكبرى)

قد لا يكون من حقى أن أخوض فى التفاصيل العسكرية للثورة فأمرها متروك للعسكريين الذين شاهدوها وشاركوا فيها لأنهم سيكونون بالطبع أصدق وأدق ، ولكن المهم نحن المدنيين الذين شتتهم الملك وفرقهم ، لم ننقطع عن اللقاء ومعنا بعض الأصدقاء من الصحفيين ، والغريب أننا سهرنا ليلة الثورة حتى الساعة الواحدة صباحا ولم نشعر بشىء ، نحن المسئولين عن الأنباء المطلوب منهم معرفتها ساعة حدوثها أو التنبيه عنها قبل وقوعها ، وكل الذى حدث فى هذه الليلة أن واحدا منا فاجأنا بأنه نمى الى علمه أن تنظيما قد شكل فى الجيش وأنه يلتقى ويجتمع لاعداد حركة ضد الملك ، ولم يفطن له الملك حتى الآن ، ولم نكن ندرى ونحن فى باب اللوق أننا على بعد كيلومترات وأن هذا التنظيم الذى أشار اليه يتجمع ليغير وجه مصر ووجه المنطقة بأسرها فى هذه الليلة بالذات ، وتفرقنا ككل ليلة على وعد لنلتقى فى الليلة التالية ٠

وكانت مفاجأة لنا كما هى كانت مفاجأة لكل المواطنين

المصريين فيما عدا الذين قاموا بالثورة ، كانت مفاجأة أن نستيقظ كما نستيقظ كل يوم لنسمع فى صباح الأربعاء ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ الراديو يعلن نبأ قيام حركة فى الجيش فى بيان من اللواء أركان الحرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة جاء فيه أن مصر اجتازت فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وأنه كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسببت الرشوة والفوضى فى هزيمتنا فى حرب فلسطين الى آخر ما نص عليه هذا البيان ٠

والواقع أن البيان كان مصاغا بطريقة توحى بأن الذين قاموا بالحركة على دراية تامة بما تتطلبه هذه المرحلة ، فحرص البيان على أن يطمئن من روع رجال الجيش السابقين وينص على أن هؤلاء لن ينالهم ضرر وأنه سيطلق سراحهم فى الوقت المناسب وهو أمر يخفف من مقاومة الذين لم يتم اعتقالهم من هؤلاء الرجال للثورة ، وهى حركة فيها ذكاء كبير وحنكة وخبرة ، فى الوقت نفسه أشار البيان الى أن الجيش الذى أصبح يعمل لصالح الوطن مجردا من أية غاية يستحث الشعب بالا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف وأكد على أن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وأن فاعله سيلقى جزاء الخائن فى الحال ٠

ولم ينسى البيان ان يطمئن الأجانب على مصالحهم وأرواحهم

واموالهم ويعلن أن الجيش مسئول عنهم وكلها أمور خففت من حدة المقاومة لحركة الجيش ٠

ذهبنا الى الاذاعة ومررنا على قصر عابدين فوجدناه محاصرا بالدبابات ، يقوم بحراسته جنود من الجيش بدلا من حرسه الملكى الذى كان يشهر سلاحه ضد الشعب . ووصلنا دار الاذاعة فى الشريفين فوجدناها قلعة محاصرة من جميـــع الجهات بقوات الجيش ، بل كانت قوات الجيش تعسكر فى كل الشوارع المؤدية اليها ، ولكى نصل الى مكاتبنا فى الاذاعة ، كان علينا أن نخترق هذا الحصار كله ، وكان لابد من دليل على اننا من أبناء هذا المبنى ، ولا دليل لنا الا تحقيق الشخصية الذى حملناه فى ايدينا منذ أن أقدمنا على مشارف الوصول الى مبنى الشريفين ٠

(الدقائق الخطيرة فى عمر الثورة)

وفى المبنى عرفنا القصة من أبطالها ٠٠ أبطال احتلال الاذاعة لاذاعة بيان الثورة ٠٠ عرفنا أن الضـــباط الأحرار الذين قاموا بالثورة ، أوفدوا أنور السادات لاذاعة البيان وسمعنا وعرفنا أســـماء هـــؤلاء الضباط وكانت كلها مجهولة للشعب فيما عدا أنور السادات ، فالشعب كان قد سمع عنه فى مجال العمل السياسى وسمع عن مجهوداته ضد الاحتلال الانجليزى واتهامه فى مقتل امين

عثمان ، ويأتى بعده اللواء محمد نجيب الذى سمع عنه الشعب عندما رشح نفسه فى انتخابات نادى الضباط وفاز على أعوان الملك ٠

ومنهم أيضا عرفنا أن الملك فطن لحركة الضباط أو علم بها فى الساعة الحادية عشرة والنصف قبل منتصف ليلة الثورة وأصدر تعليماته لضباطه وجنوده باحتلال المواقع فى الأسلحة المختلفة ، ولكن وجوده فى الاسكندرية عطل تنفيذ هذه التعليمات على عجل ، فكان الضباط الأحرار أسرع فى احتلال المواقع من القادة والضباط الموالين للملك ووقعوا أسرى فى أيدى الضباط الأحرار وقدر للحركة أن تنجح رغم علم الملك بها قبيل ساعة الصفر بأكثر من ساعة ونصف ٠

(قصة احتلال الاذاعة)

روى الجارحى القشلان الذى كان المهندس النوباتجى فى محطة أبو زعبل ليلة الثورة والذى عين فيما بعد رئيسا لهندسة الاذاعة أن جرس التليفون دق فى غرفته فى الساعة الثانية عشرة من منتصف ليلة الأربعاء فى محطة أبو زعبل وكان المتحدث ديوان جلالة الملك وطلب منه فى صيغة التعليمات والأوامر أن يفك المحطة ولا يسمح لأى انســـان أيا كان بالاقتراب منها وأنها أى السراى

سترسل له لورى أو اثنين لحمل أجزاء المحطة ، ويقول انها كانت ليلة رهيبة فهو لا يعلم أسباب هذه التعليمات وتلك الأوامر ولم يكن يعلم أن هناك حركة فى الجيش ، وانتظر ساعة أو ساعة ونصف ولم تصل اللوريات المزعومة ، وهو فى هذه الحيرة فوجىء بالمصاغ مجدى حسين على رأس قوة من الضباط والجنود يدخل عليه الغرفة ، وكانت لوريات السراى قد وصلت لحظة وصول مجدى حسنين أو قبله بثوان ، وأبلغه بنبأ قيام الثورة وطلب منه المشورة بشأن اذاعة بيان الثورة فأرشده على الفور بضرورة التوجه الى محطة كهرباء غرب القاهرة التى تمد الاذاعة بالكهرباء خوفا من أن يسبقه اليها رجال السراى ويفكوا المحطة ، فلا تستطيع الثورة اذاعة البيان ، وطمأن الجارحى القشلان مجدى حسنين على ظروف محطة أبى زعبل ما دام هو المسئول عنها ٠

ويستطرد المهندس المسئول قائلا : وتوجه مجدى حسنين على الفور الى محطة الكهرباء حيث وصلها قبل رجال السراى بخمسة دقائق فقط وتمكن هو وزملاؤه من احتلال المحطة وتحطمت محاولات السراى التى كانت تهدف الى تعطيل اذاعة البيان فى موعده بوصفه اشارة للثورة ويساعد فى اتمام بقية العمليات المتفق عليها من قبل ٠

ويضحك الجارحى القشلان ويقول : الطريف أن سائقى

اللوريات فى محطة أبو زعبل سألوه عمن يعطيهم أجرهم فأجابهم بقوله ، خذوا أجركم من الذين أرسلوكم الى هنا ، يقصد السراى ٠

ومنذ ذلك التاريخ يصف مهندسو الاذاعة المهندس الجارحى القشلان بالمهندس الذى أسهم فى انجاح الثورة فقد كانت الاذاعة كهرباء وخطوط تليفون وأن الكلمة تنبعث من استوديوهات الاذاعة فى شارع علوى عبر خطوط تليفونية الى محطة ارسال ابو زعبل حيث تتحول الموجات الصوتية الى موجات كهربائية تنتشر فى الجو ، فان من يريد السيطرة على الاذاعة لابد من سيطرته على التليفونات ومحطة الكهرباء التى تمد الاذاعة وهذه هى أساس نصيحة الجارحى القشلان لمجدى حسنين مندوب قيادة الضباط الأحرار ٠

السراى كانت تعرف هذه الحقيقة تماما ولذلك رغم فشلها فى ذلك محطة أبو زعبل واحتلال محطة كهرباء غرب القاهرة الا أن محاولاتها لم تتوقف لتعطيل اذاعة البيان ، فقد ثبت أن المتشيعين لها من موظفى التليفونات ومحطة الكهرباء حاولوا قطع خطـوط التليفون عن الاذاعة والكهرباء وقد تم لهم ما أرادوا فقد قطـع الارسال والسادات فى استوديوهات علوى مرتين مرة بسـبب الكهرباء ومرة بسبب التليفونات ، فرغم أنه ـ أى السادات ـ وصل الى الاستوديوهات فى السادسة والربع لم يذع البيان الا فى السابعة والنصف موعد نشرة الأخبار ٠

وباذاعة بيان الثورة تأكد نجاحها فقد نفذ الضباط الأحرار ما هو متفق عليه فى الاسكندرية والعريش ورفح وباقى المديريات كما كان يطلق عليها وقتذاك ، ومنذ اذاعة البيان تلاحقت الأحداث بسرعة مذهلة تؤكد نجاح حركة الجيش وهنا ألقى الملك فاروق كل أسلحته وسلم بكل طلبات الضباط الأحرار فيما بعد ..

- خططت الثورة بذكاء للاستيلاء على الحكم ولم تخطط لما بعد الثورة ·

- خدع الأمريكان الانجليز وخدعت الثورة الأمريكان والانجليز معا

- الحركة حركة مصرية خالصة قام بها الجيش تعبيرا عن نبض الجماهير المصرية ·

- على ماهر ساعد الثورة على خلع الملك على أمل تعيينه رئيسا للجمهورية ·

- استطاعت الثورة تنفيذ ٩٩٪ من مخططها فى غفلة من أجهزة الأمن والبوليس السياسى ·

- ٢ -

وبتسليم الملك فاروق بمطالب الضباط الأحرار واستيلاء أعوانهم وأتباعهم على كافة فروع القوات المسلحة وسقوط القيادة العامة فى كوبرى القبة ــ حيث مركز الاتصالات الحيوية ــ فى أيديهم بعد معركة مات فيها اثنان وجرح اثنان فى القاعدة الجوية بالماظة بسبب تسرب أنباء الحركة الى أحد الضباط الذى سارع بالاتصال بقصر عابدين الذى اتصل على الفور بالملك فى الاسكندرية وأصدر أمره بالمقاومة ، وبالقبض على اللواء أحمــد طلعت قائد البوليس الحربى واللواء عبد المنصف احمد نائب وزير الداخلية واللواء محمد امام رئيس البوليس السياسى واللواء حسن حشمت قائد القوات المدرعة وكل ضباط القوات المسلحة وضباط البوليس ــ كما كان يسمى وقتذاك ــ المعروف عنهم ولاءهم للملك وللنظــام الملكى ، واستيلاء ضباط الثورة على الاذاعة واذاعة أحد ضباطها لبيــان الثورة ــ أنور السادات الذى أصبح فيما بعد رئيسا للجمهورية ، حمى الضباط ظهورهم من احتمالات القبض عليهم بعد أن قلموا أظافر الأسد الرابض فى الاسكندرية ، وأنجزوا الجزء الأكبر من أول لحظة حاسمة واجهتهم وهى لحظة قيام الثورة أو الحركة كما كان يطلق عليها حتى هذه اللحظة .

على أن نجاح الثورة لم يكن ضربة حظ وانما هذا النجاح

سبقه تخطيط طويل تم فى غيبة عن عيون الملك وعسسه المنتشرين فى كل مكان وعيون المخابرات الانجليزية والأمريكية المتعاونة مع الملك لقمع حركات التحرير أو حركات التمرد كما يسمونها • فلو علمت المخابرات البريطانية أو الأمريكية بأمر هؤلاء الضباط ، لتم قمعها على الفور ولحركوا كخونة وأعدموا ، ولكنهم استطاعوا أن ينفذوا ٩٩٪ من المخطط فى غفلة عن أجهزة الأمن والتجسس التى كان يتميز بها العهد قبل حركة يوليو عام ١٩٥٢ ، حيث استولى عبد اللطيف البغدادى على القاعدة الجوية بالماظة وحسين الشافعى وخالد محيى الدين على سلاح الفرسان وعبد المنعم أمين على المدفعية وصلاح سالم وجمال سالم وأنور السادات وعبد الحكيم عامر على القوات المرابطة فى العريش ، ولم يعلم الملك وأعوانه شيئا عن كل ما حدث ، وانما علم فقط بالمرحلة الأخيرة من التخطيط عندما تم الاستيلاء على القيادة العامة فى القبة ، ومع ذلك لم تكن الصورة لديهم عن الضباط الذين قاموا بالحركة كاملة ، وانما كل ما تجمع لديهم من معلومات هو أن مفتاح معرفة هؤلاء المتمردين عند اللواء محمد نجيب فهو على صلة وثيقة بهم وربما كان هو قائد هذه الحركة ومدبرها •

(محاولات استقطاب محمد نجيب)

لم يجد الملك وبطانته بعد أن طاشت سهامهم وفلت الزمام من أيديهم الا محاولة استقطاب اللواء محمد نجيب للالتفاف حول الضباط الأحرار ومعرفتهم للقضاء على الحركة فى مهدها قبل اعلانها على الجماهير . فاتصل به تليفونيا من الاسكندرية كل من مرتضى المراغى وزير الداخلية وفريد زغلول وزير التجارة والصناعة وتوسلا اليه وقف الانقلاب خوفا من تدخل الانجليز ولكن محمد نجيب انكر صلته بالحركة وافهمهما أنه لو كان فعلا هو قائد هذه الحركة لما كان فى منزله الآن وانما كان يباشر مهمته من القيادة فى القبة التى كانت قد سقطت فى أيدى ضباط الحركة قبل هذه المكالمة ، وقد كان نجيب يفتى عن علم حيث أن موعد المكالمتين كان حوالى الساعة الثانية صباح يوم ٢٣ يوليو وكانت القيادة العامة قد سقطت قبل ذلك بأكثر من نصف ساعة .

وبالطبع لم يهدأ الملك وبطانته وانما استمروا فى ملاحقة تطورات الموقف بناء على الأنباء القليلة التى كانت تصل اليهم ، ويبدو انهم علموا أن اللواء نجيب قد توجه الى القيادة العامة فى القبة واحتل مكتب القائد العام ، فلم يكد أن يصل الى هناك فى الساعة الثالثة والنصف من صباح يوم الحركة حتى تلقى مكالمة تليفونية من الاسكندرية ، وكان المتحدث هذه المرة نجيب الهلالى رئيس الوزراء وأعقبه حيدر باشا الذى عرض عليه وزارة الحربية

بأمر من الملك وأبلغه أن الملك سيغفر كل شيء اذا أوقف الانقلاب ، ولم يكن نجيب الهلالى أو حيدر باشا يعلمان أن العجلة قد دارت وأن الحركة استولت على كل شيء وأن مرحلة الاستيلاء على السلطة قد انتهت وأن محاولات الاستقطاب قد فات أوانها وأن الحركة تسرع فى انجاز المرحلة الثانية مرحلة تهدئة مخاوف الانجليز والأمريكيين والأجانب قاطبة وافهامهم أن الحركة ليست شيوعية ولا منتمية للاخوان المسلمين وانما هى حركة مصرية خالصة من أجل تحرير مصر وتخليصها من الفساد والظلم الذى أخذ يستشرى فى المجتمع المصرى من الملك وبطانته حتى لا يتدخل الانجليز والأمريكان للقضاء على الحركة .

(المحاولة الأخيرة)

ولما فشل الملك فى استقطاب ضباط الحركة واحتواء الأمر قام بمحاولة أخيرة علها تحمى عرشه من الانهيار وأسرته من الانقراض ، فلجأ الى أسياده فقام بالاتصال بالسفير الأمريكى جيفرسون كافرى الذى كان متواجدا بالاسكندرية مع الحكومة فى مصيفها وطلب منه أن يحميه ولكنه اعتذر بحجة عدم تدخل حكومته فى شئون مصر الداخلية ولكنه وعده بحماية الأسرة المالكة وحمايته اذا ما احتاج الأمر ذلك ، ولم يعجب الملك تصرف كافرى ورفضه ابلاغ الانجليز بطلبه الحماية وسارع فى طلب قائد القوات الانجليزية فى مصر لكى يحتل القاهرة وأن يقوم الأسطول البريطانى بضرب الاسكندرية أو

يهربه هو وأعوانه خارج مصر ، ولما رفض القائد العام الانجليزى طلباته لم يسلم ، وانما أبلغ أيدن بالطلبات ذاتها الذى حولها الى حكومته التى قامت بدورها باستشارة الرئيس الأمريكى ترومان الذى أصر على عدم التدخل فى شئون مصر الداخلية كما فعـل سفيره جيفرسون كافرى ، ولم يكن الملك فاروق يعلم أن اتصاله أيضا بأسياده جاء متأخرا كما أن محاولاته اسـتقطاب واحتواء الحركة جاءت متأخرة ، فقد كانت الحركة قد سـبقته وكلفت على صبرى بالاتصال بالسفارة الأمريكية ، وبسبب غيبة السـفير فى الاسكندرية اضطر على صبرى الى ايقاظ الكولونيل ديفيد ايفاسى مساعد الملحق العسكرى الأمريكى وأبلغه بنوايا الضباط الأحرار الذين سيطروا بالفعل على المواقف وطلب منه أن يبلغ السـفير الأمريكى والقائم بالأعمال البريطانى ـ لأن السفير البريطانى كان يقضى أجازته فى لندن ـ بأن الانقلاب مسألة داخلية بحتة تخص المصريين وحدهم وأن حياة وممتلكات الأجانب سوف تحترم ، وطالما الانجليز لن يتدخلوا فى شئون مصر فسوف يعاملون معاملة الأجانب الآخرين ، وحذر على صبرى مساعد الملحق العسكرى الأمريكى من أنه اذا ما تدخل الانجليز فسوف لا يكون أمام الضباط الأحرار سوى القتال اذا ما فكر الانجليز التحرك فى تلك الساعة من منطقة قناة السويس واحتلال وسط الدلتا بحجة حماية أرواح وممتلكات الأجانب ، وكان الضباط الأحرار قد أعدوا عدتهم لسائر المفاجآت ومنها احتمال احتلال الانجليز للدلتا ، وبالطبع التزم على صبرى بما كلف به ولم يزد عنه حرفا واحدا فلم يبلغ مثلا مساعد الملحق

العسكرى الأمريكى خطة ضباط الحركة القادمة الخاصة بالملك من خلعه وانزاله عن العرش التى لو عرفها فربما أدت الى تغيير الموقف الأمريكى والبريطانى من الحركة ٠

(الحركة مصرية ١٠٠٪)

ونحن هنا لا نقصد سردا لتفاصيل قيام ثورة يوليو لأننا لو قصدنا ذلك لتطلب الأمر مجلدات ، ولكن قصدنا بهذا السرد توضيح أن الحركة لم تلق أية مقاومة تذكر كما كان متوقعا من صورة النظام البوليسى المحكم التى كانت تعيش فيه مصر رغم ما كان يبدو من نظام برلمانى وتعدد الأحزاب وصحف المعارضة وقضايا العيب فى الذات الملكية والحكم فيها ، وانما قصدنا من وراء ذلك بيـــان التخطيط المحكم الذى وضعه هؤلاء الشبان الذين قيل عنهم فيما بعد انهم صغار السن ضعاف التجربة ، ولنقول لو أنهم خططوا لما بعد نجاح الثورة بمثل القدرة الفائقة التى خططوا بها للاستيلاء على الحكم لما صادفتهم تلك الكميات الهائلة من العقبات والنكسات التى منيت بها الثورة فيما بعد ، ولكان لمصر والدول العربية وسائر دول الشرق الأوسط شأن آخر غير ما نشهده اليوم ، ولنثبت أن ضباط الحركة أنجزوا المهام الثلاث التى وضعوها نصب أعينهم بمهارة فائقة بحيث تنتهى المرحلة الأولى ثم تبدأ المرحلة التى تليها وقد كانت هذه المهام — كما جاء فى كتاب محمد نجيب « قدر مصر » الذى انتهى من كتابته باللغة الانجليزية عام ١٩٥٤ واعتقل فى نوفمبر

من نفس العام وأعدمته السلطات المصرية ولم تسمح بنشره — هى الامساك بزمام السلطة وتعيين رئيس وزراء يتعاطف مع القائمين بالحركة والمهمة الثانية تهدئة مخاوف الانجليز والأمريكيين والأجانب عموما الذين قد يشكون أن تكون الحركة شيوعية أو اخوان مسلمين والمهمة الثالثة هى التخلص من الملك ومن النظام كله بمجرد نجاح الثورة .

وقد سارعت الثورة وكشفت عن هيئتها التنفيذية التى سميت فيما بعد مجلس الثورة وهم جمال عبد الناصر وعبد اللطيف بغدادى وجمال سالم وصلاح سالم وأنور السادات وكمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين وعبد المنعم أمين ويوسف منصور وحيدر أمين وتولى رئاسة هذه الهيئة جمال عبد الناصر على الرغم من أنه ليس الأقدم كما ذكرنا من قبل ، أما محمد نجيب فلم يكن مندمجا فى هـــذه المجموعة فهو ليس من عمرهم وانما كان بمثابة العقـــل والخبرة بالنسبة لهم وكانوا بمثابة العضل والشباب المتحمس المنفذ لهذه الخبرة ، وكان هو من جيل وهم من جيل آخر وانما وحد بين الجيلين الشعور بالظلم والهوان والرغبة فى تجنيد الحركة لرفع هذا الظلم والهوان ووضع حد للفساد وحكم الفرد المطلق الذى استهان بكرامة الانسان وداس على الدستور ومصالح الشـــعب ، وهم جميعا لم يكونوا سياسيين ولم يعمل بالسياسة منهم ســـوى أنور السادات الذى كان الشعب يعرفه جيدا بجانب محمد نجيب الذى عرف من

مواقفه فى نادى الضباط ، هذه هى الحقيقة وان يغيرها محاولات البعض منهم لاضفاء أدوار سياسـية لشخوصهم قبـل الثورة ، ومحاولات الاخوان المسلمين والشيوعيين هم الآخرون اثبات أنهم كان لهم أدوار فى مساعدة الثورة ، والثابت أن الحـركة قامت من الجيش انبعاثا من احساس قوى تولد لدى هؤلاء الضباط أن الأمور قد ساءت ولابد من وضع حد للملهاه ٠

المهم أن مجلس الثورة ضم انماطا متباينة فى التفكير والثقافة والوضع الاجتماعى والميول السياسية ، وانما هذه الأنماط كانت صورة لما يعتمل فى المجتمع المصـرى وقتذاك من تيارات فكرية وسياسية ، فقد ضم المجلس اليساريين والمتدينين واليمينين والوسط والقوميين والمنتمين بالفكر والمنبت والنسب اجتمع ما قبل الثورة ، وكان تمثيلا حقيقيا لكل هذه التيارات حتى بنسب انتشارها بين جماهير الشعب ، والمتدينون منهم كانوا يمثلون التيار الغالب وهو التدين والتمسك بالدين دون ربطه بالسياسة ، ومن هنا كانت مهمة القيادة صعبة فكان عليها أن توائم بين هذه الأفكار جميعا أن تجمع بين الشيوعيين والمتدينين ولا نقول الاخوان المسلمين وبين اليمينين ، وفى هذا المشوار سقط من سقط وبقى من بقى ، ولكن فى النهاية تبين طريق الثورة وهو طريق قومى عربى اسلامى وهى الدوائر الثلاث التى تحدث عنها عبد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة ٠

(خدع الأمريكان والانجليز)

الثابت أن الثورة كانت مصـــــرية خالصة وأن ضباطها لم يتحركوا بوحى من الانجليز المحتلين ولا من الأمريكان الذين نصبوا انفسهم ورثة لما يضطر الانجاليز على تركه من المستعمرات تحت وطأة غضبة الشعوب وثورات التحرير ، وأن اتصال ضباط الثورة بالسفارة البريطانية والأمريكية فى مصر جاء بعد قيام الثورة كما ثبت من الوثائق البريطانية التى أذيعت فيما بعد والتى تبين منها أن المعلومات التى كانت لديها عن ضباط الثورة كانت مغلوطة ومنقوصة وهذا أمر طبيعى وواقعى لأنه لو أن الانجليز أو الأمريكان كانوا على علم بالحركة لانتقل أمرها الى الملك والعكس صحيح ولكن لا الملك ولا الانجليز ولا الأمريكان كانوا يعلمون من أمر الحركة شيئا ، واذا كان للانجليز أو الأمريكان دور أو رأى فانما جاء بعد نجاح الحركة واستيلائها على مقاليد الأمور وأن كل طرف منهما حاول استغلالها لصالحه أو لصالحه ، اما الانجليز فكان احساسهم بأن مكانتهم فى الشرق تترنح وتتهاوى وكان شغلهم الشاغل منع تهاوى هـــذه المكانة ، ولكن التيار كان أقوى منهم ، وبالطبع اجأوا الى الأمريكان يطلبون العون ، ولكن الأمريكان كانوا يعتقدون أن سجلهم بالنسبة الشعب المصرى افضل من سجل الانجليز ، وأن الفرصة مواتية لهم ليحلوا محل الانجليز فيما كان لهم من سلطة ونفوذ وتأثير ، وقد لعبوا لعبتهم فخدعـــوا الانجليز واستطاعوا منعهم من التدخـــل العسكرى وهم على بعد أميال فى القناة وكان فى استطاعتهم هذا

التدخل والقضاء على الحركة ، وقد تبين ايدن هذه الخدعة فيما بعد فقد جاء فى مذكراته التى نشرت فيما بعد أن أمريكا كانت لا تريد أن يكون دورها فى منطقةالشرق الأوسط ثانويا ، ولهذا فانها لم تؤيد بريطانيا حينئذ وشريكتها فى حلف الاطلنطى وكانت النتيجة أن استغل المصريون هذه الخلافات السياسية بين لندن وواشنطن ، كما جاء فى مذكرات ايدن أن رجال الثــورة كانوا متعاطفين مع الولايات المتحدة ، وانما فى رأينا أن هذا التعاطف كان أمرا تكتيكيا الى أن تثبت أقدام الثورة وتنفذ مبادئها القومية اللامنحازة لا للشرق أو الغرب وهو ما حدث بالفعل بحيث يمكن القــول أن الأمريكان خدعوا الانجليز والثورة خدعت الاثنين معا حيث استخدمت الأمريكان لاجلاء الانجليز ولم تقبل تدخل أمريكا فى شئونها وكانت معارك التسليح ومعركة السد العالى وغيرها كما سنعرض لها فيما بعد ٠

الشعب والحكيم يرفضان هذا الرأى

على أن الشعب المصرى الذى أيد الثورة تأييدا جنونيا عارما لم يقبل هذا الرأى وذلك لكثرة اعتياده على الظن بل اليقين بأن كل ما يجرى على مسرح السياسة المصرية ٠٠٠ لا تحركه الارادة المصرية وانما تحركه السياسة الأمريكية والســياسة البريطانية والشواهد التى كانت تجرى على هذا المسرح تؤكد هذا الرأى ، فكم من مرة انتخب حزب الوفد ولم يكد يتولى الحكم حتى يقال ، وحادث ٤ فبراير عندما حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين

وطلبت أقالة الحكومة وأصرت بريطانيا على اقالة الحكومة واستبدالها بحكومة النحاس ليس ببعيد عن أذهان الشعب ، وتأسيسا على ذلك فانه يمكن القول أن حركة الجيش كانت حركة مصرية تماما ولكنها كانت أمام الشعب حركة مشوبة بالتدخل أو الايحاء أو بالتشجيع من جهة أجنبية ولكن هذا الشعب نفسه أصبح على يقين فيما بعد بأن حركة الجيش تمت دون تشجيع أو تأييد من جهات أجنبية طبقا لمسار الأحداث والمعارك التى خاضها رجال الحركة ضد الانجليز والأمريكان على السواء ٠

غير أن كاتبنا الكبير توفيق الحكيم كان أميل لعدم تصديق أن الحركة هى حركة مصرية خالصة فقد جاء فى كتابه عودة الوعى ما نصه أن أمريكا هى التى وقفت بجوار الثورة عند قيامها فأسكتت الانجليز الرابضين فى القناة والا لكانوا جاءوا بدباباتهم وطائراتهم وأجهضوا على الثورة فى نصف سعة ٠ ولكن العلاقات بين الثورة وأمريكا ما لبثت أن توترت للأسباب المعروفة وغير المعروفة ، فقد قيل أنه حتى ذاك التـوتر كان مخططا له فى السياسة الأمريكية ليؤدى الى اخراج انجلترا وفرنسا من المنطقة وتسليم قناة السويس لمصر فى مقابل فتح خليج العقبة لاسرائيل ، وهذا ما نفذ بالفعل فى عام ١٩٥٦ باتفاق سرى بين عبد الناصر وايزنهاور وظل أمره مخفيا الى عام ١٩٦٧ ٠

على أية حال سنظل نحن غير مؤيدين لهذا الرأى لاعتقادنا أن

رجال الثورة بعدائهم الواضح لاســرائيل لا يمكن أن يقبلوا هذه المساومة وعبد الناصر بطبيعته لا يقبلها ، وسنظل أميل لما هو موثق بالوثائق والدليل فى الوثائق البريطانية من أن رجال الثورة لم يكن لهم أى اتصال بالانجليز والامريكان وأن الانجليز والامريكان كان همهم الأول التأكد من أن الحركة غير شيوعية ولا منتمية للاخوان المسلمين ، ولما تأكد لهما هذا الأمر لم يعترضوا طريق الثورة ٠

على ماهر ومنصب رئيس الجمهورية

لقد اجتــاز ضباط الحركة اللحظة الحاســمة الأولى بذكاء وفطنة وحنكة ولما جاء موعد اللحظة الحاسمة الأخرى وهى الامساك بزمام السلطة المدنية ، تصرفوا بقدر أكبر من الذكاء والفطنة وتجسد ذلك فى اختيارهم لعلى ماهر ليتولى رئاسة الوزارة فهو خير من يقنع الساسة القدامى بأسلوبه الملتوى ودبلوماسيته العالية الرفيعة بأن الابقاء على الثورة فى صالحهم على المدى البعيد وقبل كل شىء فى صالح البلاد وخير من يقنع الملك بالامتثال لطلبات قادة هذه الثورة وخير من يقنع قادة الثورة بعدم المساس بحياة الملك وأسرته وهو ما تعهد به السفير الأمريكى للملك عندما اتصل به ، ولكن على ماهر لابد وأن يحصــل على مقابل لقيامه بكل هــذه الاجراءات وكان المقابل التلميح له بتعيينه فى القريب كأول رئيس جمهورية لمصر ٠

والواقع أن على ماهر قام بمهمته خير قيام حيث أقنع الملك بالتنازل عن العرش دون اراقة الدماء وهذا الأمر وفر على رجال الثورة محاصرة قصرى المنتزه ورأس التين واجبار حراسهما على التسليم ، وتنازل الملك عن العرش فى هدوء وغادر البلاد بعد أن أجريت له مراسم التوديع الرسمية كطلبه ، وبقى تنفيـــذ التلميح لعلى ماهر بتعيينه رئيسا للجمهورية كما ورد فى مذكرات اللواء محمد نجيب ، ولكن الرياح تأتى دائما بما لا تشتهيه السفن ، فلم يكد الملك يغادر البلاد وأصبحت السلطة كاملة لرجال الثورة حتى سارت الأمور على غير ما يشتهى هو واللواء محمد نجيب الذى لمح له بتعيينه أول رئيس لجمهورية مصر حتى أن تعيين اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية كان مرحلة انتقالية الى أن تلتقط الثورة أنفاسها ويرتب عبد الناصر مفجر الثورة والمخطط لها أموره ليجنى ثمرة تضحيته بحياته وحياة زملائه فى سبيل قيام الثورة ٠

- آخر كلمات الملك فاروق ليس من السهل حكم مصر ٠
- الثورة وجها لوجه للصراعات المحتدمة فى المجتمع المصرى ٠
- الدكتور محمد صلاح الدين اول مدنى تستدعيه الثورة لمهمة فى السودان ٠
- كيف منع صلاح الدين من التحدث فى الاذاعة ولماذا أبعد ٠
- الثورة واجهت المؤامرات عليها من اليمين واليسار ومن الوفد والاخوان ومن الجيش ٠

- ٣ -

وبمغادرة الملك فاروق أرض البـــلاد اجتازت الثورة أخطر مرحلة من تاريخها وهى مرحلة الاســـتيلاء على مقاليد الحكم ، وبخروج الملك فاروق من مصر انتهت المرحلة التى خططت لها الثورة تخطيطا محكما وبدأت المرحلة التى لم تخطط لها بالمرة وهى مرحلة ادارة دفة الأمور فى مجتمـــع تحتدم فيـــه الصراعات ، فالاخوان المسلمون التى حملت الملك وابراهيم عبد الهادى رئيس وزرائه مسئولية اغتيال مرشدها حسن البنا ، وجدت الفرصة أمامها متاحة للقفز الى كرسى الحكم وتنفيذ برنامجها من تطبيق الشريعة الاسلامية وحكم مصر حكما اسلاميا مؤيدا من غالبية الشعب المصرى ، وحزب الوفد الذى كان يعتبر نفســـه الوريث الشرعى بعد طرد الملك بوصفه صاحب الأغلبية الشعبية طبقا لنتائج الانتخابات التى أجريت فى فترة ما قبل الثورة ولكن حيل بينه وبين الوصول الى السلطة بقوة السراى تارة وبقوة الانجليز تارة أخرى ، والشيوعيون الذين كانوا ينتظرون اضطراب البلاد واحتدام الصراع بين كافة الفرقاء للسيطرة على الحكم بالقوة ، حيث أنهم فى فترات الهدوء والاستقرار لا يجدون من يؤيدهم فى فكرهم واتجاهاتهم ، والذين لا يؤيدون هذه الاتجاهات جميعها وهم أغلبية تفوق الأغلبية التى تؤيد الوفد على حده ، والأغلبية التى تؤيد الاخوان المسلمين على حده ، ولكن كان ضعفها غياب الوحدة بينها وغياب الاستراتيجية

التى تجمعهم أو الحزب الذى يتجمعون من حوله يعبر عن آمالهم وفكرهم ، ولعل هذه الصورة التى عاش فيها الملك فاروق طوال سنين حكمه هى التى عبر عنها فى آخر كلمات وجهها الى اللواء محمد نجيب قبل مغادرته الاسكندرية قوله : ليس من السهل حكم مصر ، ولعل هذه الصورة أملت على رجال الثورة التأكيد على فرصتهم لتحويل مصر الى دولة دينية تفقد فيها الصفة العلمانية ، ونفى ما اتهموا به من أنهم شيوعيون ، وقد كسبوا بهذا التأكيد تهدئة روع الانجليز والأمريكان والأجانب عموما ، واعطاء اشارة الى الاخوان المسلمين والوفد والشيوعيين أن للثورة فكرا يختلف تماما عما يؤمنون به ليخفوا من معارضتهم لها والتألب عليها فرادى أو جماعة ، ووجهت الثورة جل همها لتجميع تلك الأغلبية التى لا تؤيد الوفد ولا الاخوان المسلمين والشيوعيين .

والواقع أن ضباط الثورة فى أعقاب خروج الملك أو طرده حوصروا بالشائعات من الداخل والخارج ، اذ كانوا نهبا لحرب اذاعية تمثلت فى احدى عشرة محطة اذاعية ، كل يوم توجه اليهم اتهامات لا حد لها ولا سند ولا دليل ، ولكنها وجدت فى الداخل تربة خصبة لكى تعشش وتجد من يرددها من هؤلاء الذين عزلتهم الثورة وأبعدتهم عن الحكم ، فكان كل قرار يصـــدر عن مجلس الثـورة يتعرض للنقــد والتجريح الذى لا يتوقف فى المجتمعات والمنتديات ، فمن قائل ان الثورة ستأكل نفســها بنفسها ويحارب هؤلاء الضباط بعضهم البعض ، ومن قائل لقد كان فى العهد الماضى ملك واحد وأن الثورة خلقت عشرة ملوك وجواريهم ، ومن قائل أن

قيام الثورة بالسلاح أمر غير طبيعى ولابد وأن تنتهى الى أمور غير طبيعية تضر بمصالح الوطن كله ، والقوات المسلحة خلقت للدفاع عن الوطن وليس للاشتغال بالسياسة ، وأن المبادىء التى نادت بها الثورة نادى بها من سبق الثورة من الزعماء والسياسيين من تحديد الملكية ومجانية التعليم وتقريب الفوارق بين الطبقات الى آخر هذه المبادىء ، وأن الدولة كانت بسبيلها الى اقرار هذه المبادىء بالطرق الدستورية والقانونية وليس بالطرق العسكرية ، وأن الفارق بين الحالتين هو الفارق الزمنى فقط أى أن كل ما أرست أسسه من مبادىء عن طريق كبت الحريات وتكميم الأفواه كان سيتم تطبيقه بعد سنوات قد تصل الى عشر أو عشرين ، ولكن بطريقة أكثر دراسة وأكثر مطابقة لرغبات الشـــعوب وآماله وأكثر بعدا عن الهزات والنكسات التى تؤخر تقدم الشعوب وازدهار الحضارات ٠

(الملك قاوم)

وسط كل هذه الشائعات كان على ضباط الثورة أن يقاوموا شعورا عاما استشرى لدى عامة الشعب ، وهو عدم تصديقه أن الملك رحل او طرد واعتقادهم أن الملك عائد حتما وسيقدم هؤلاء الضباط الى المحاكمة وينفذ فيهم الاعدام ، وذلك لطول ما تعودوا عليه وشاهدوه ولمسوه بأنفسهم من حماية للملك من غضبة الشعب من جانب الانجليز المحتلين ، فها هى ثورة عرابى لم تستطع اقتلاع الأسرة المالكة والانجليز سارعوا الى احتلال مصر لحمايتها ، وها هى ثورة ١٩ الثورة الشعبية العارمة استطاع الانجليز والسراى التفرقة

بين زعمائها والقضاء عليها ، ومن بعدها ثورة الشعب المصرى عام ١٩٣٥ وهتافه ضد وزير خارجية انجلترا وقتذاك وهتافه بسقوط الملك فؤاد عميل الاستعمار ، وثورة الشعب ضد معاهدة صدقى بيفن عام ١٩٤٧ ومذبحة كوبرى عباس والهتاف بسقوط معاهدة ٣٦ ومؤامرة الأسلحة الفاسدة ، حدث كل هذا ولم يسقط الملك ويزول عهد الملكية ، فكيف يصدق هؤلاء الذين عاصروا كل هذه الأحداث أن يسقط الملك بين يوم وليلة ويتغير وجه مصر بهذه السهولة وتلك السرعة ٠

كانت هذه هى الصورة والثورة تشق طريقها وتصدر العديد من القرارات وتعلن أهدافها الستة وهى كلها مطالب شعبية طالب بها الشعب من قبل وثار من أجلها ، وتلغى الألقاب وتصدر قانون الاصلاح الزراعى الأول وتحل الأحزاب السياسية وتصادر أموالها لصالح الشعب وتعلن فترة انتقال لاقامة حكم ديمقراطى دستورى سليم ، ولم تكن الثورة تعلم أنها رغم كل هذه القرارات ستواجه المؤامرات من اليمين واليسار ومن الوفد الى الاخوان ومن داخل الجيش وخارجه وتتعرض للانقسامات والخلافات حتى بين هؤلاء الذين وضعوا قلوبهم على أكفهم حتى قدر لها الظهور على مسرح الأحداث ٠

(أول مدنى يتعاون مع الثورة)

وكما قلت فنحن هنا لا نتتبع أحداث الثورة وانما نلتقط منها ما شهدناه باعيننا ونحن نتابع هذه الأحداث ، ولقد كنا فى مجلس الثورة فى الجزيرة وقتذاك وكان عبد الناصر لا يبارحه صباح مساء مع أنه فى هذا الوقت نهاية عام ١٩٥٢ وبداية عام ١٩٥٣ كان وزيرا للداخلية فقط ولكن كان كل ضباط الثورة يترددون عليه ، وكان محمد نجيب يتخذ قصر عابدين مكتبا له ، وصلاح سالم يتخذ من القيادة العامة للقوات المسلحة فى القبة مكانا مختارا لاجراء مقابلاته ولكنه فى الوقت نفسه كان يتردد كثيرا على عبد الناصر ، وكنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة ووكالات الأنباء نقيم أيضا فى مجلس الثورة حيث خصصت لنا غرفة فى الدور الأرضى ، وكنا نلتقى بالقادم الى مجلس الثورة والخارج منه ، وكنا نستمع الى النقاش بين ضباط الثورة عندما كان يحتدم بينهم فى بعض الأحيان فى مكاتبهم فى الدور الثانى من المبنى ، وكنا قد تعودنا صياغة اخبار المقابلات فنقول أن عبد الناصر استقبل صلاح سالم أو جمال سالم أو بغدادى وغيرهم من ضباط الثورة وغيرهم من المدنيين ، وكانت الأنباء تكتب فى الصحف وتذاع فى الاذاعة بهذا الوضع ، فاذا بصلاح سالم وكان حينئذ وزيرا للارشاد القـومى يستدعى مندوب الاذاعة ويعترض على صياغة الأخبار بهذه الطريقة ويقول له حينما أتواجد فى مكتب جمال عبد الناصر ويحدث أننا استقبلنا أحدا من المدنيين ، لا يذاع الخبر على أن جمال عبد الناصر استقبلنى

ثم استقبل شخصا مدنيا آخـــر وانما يذاع الخبر على أن جمال عبد الناصر وصلاح سالم استقبلا فلانا وفلانا ، وقد نقل مندوب الاذاعة ما طلبه منه صلاح سالم لكل مندوبى الصحف والوكالات ٠ وقد اعتبر الأمر بمثابة تعليمات نفذت فى الصحف أيضا ، ونحن مندوبى الصحف والاذاعة ووكالات الأنباء لم نستغرب هذا الأمر اذ أن الاتفاق بين أعضـــاء مجلس الثـــورة أنهم جميعا على قدم المساواة وأفعالهم متساوية بالنسبة لتحملهم مسئولية قيام الثورة وانما ترتيبهم أو ترتيب أسمائهم يحكمه أقدميتهم فى الجيش من حيث رتبهم ، ولكن عندما نشرت الأنباء بهذه الطريقة أحس الناس بأن هناك فاصلا بين العسكريين والمدنيين فى ادارة دفة الأمور ، وأن العسكريين لا يلجأون الى التعاون مع المدنيين الا فى حـــدود ضيقة ، وكانت الثورة قد عينت ضابطا فى كل مصلحة أو هيئة أطلق عليه مندوب القيادة ليكون حلقة الوصل بين هذه الهيئة أو المصلحة وبين القيادة ولكن هؤلاء المندوبين تحولوا تدريجيا وفى وقت قصير جدا الى مسيطرين تماما على الهيئات والمصالح رغم أنهم لم يكونوا على مستوى المسئولية ولا مختصين ، ولذلك فقد كان هناك شبه انفصال بين المدنيين والعسكريين وكان هذا الانفصال أحد أسباب تعثر الثورة فى حكم البلاد ٠

وهذا الذى نقوله ليس استطرادا ولكن قصـــدنا به تقديم ما حدث لأول مدنى وثق به ضباط الثورة ورشحوه لمهمة ما ولكنه لما عاد من هذه المهمة وكان قد أجادها عومل معاملة مخالفة تماما

المعاملة الأولى دون أن يعرف سببا لهذا التغيير ، ففى هذا الوقت فى أواخر فبراير وأوائل مارس عام ١٩٥٣ وكان اللواء محمد نجيب قام بتوقيع اتفــاق مع انجلتــرا فى ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣ خاص بالسودان يقضى بتحديد فترة انتقال لا تتجاوز ثلاث سنوات يقرر السودان بعدها اما الارتباط مع مصر أو الاستقلال التام وانفصاله عن مصر ، لأن بريطانيا عندما طلبت مصر منها البدء فى اجراء مباحثات بشأن وجودها فى القناة وضعت فى اعتبارها ضرورة فصل السودان عن مصر قبل الجلاء عنها ، حتى لا يتخلف عن الوحدة بين مصر والسودان دولة قوية فى المنطقة تضطر الاستعمار أن يرحل من المنطقة برمتها خاصة وأن عبد الناصر كان قد ردد فى كل خطاب يلقيه هذه العبارة « على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن بقائه » .

المهم كانت مصر من واجبها بذل المحاولات لجمع السودانيين حول مصر خلال فترة الحكم الذاتى حتى يقرر السودانيون بعد انتهاء فترة الانتقال الارتباط بمصر ، وبذلك تنجــح الثورة فى ضرب محاولات الانجليز فصل السودان عن مصر ، وكلفت الثورة الصاغ صلاح سالم بالقيام بهذه المهمة حتى أن كل ما يخص السودان كان يعرض عليه ، وقد حدث فى هذه الأثناء أن أوفدت الثورة بعثة من المحامين المصريين برياسة الدكتور محمــد صــلاح الدين وزير الخارجية فى حكومة الوفد الى السودان للدعاية الى القضية .

وعادت البعثة ومجدت الصحف المصرية المجهودات التى قام

بها صلاح الدين ، وامام هذا التمجيد الكبير ظن أحد الاذاعيين أنه موضع تقدير من الثورة والا لما أوفدته الثورة فى هذه المهمة · فتوجه الى منزله فى المعادى وسجل معه حوارا حول مستقبل السودان عما قامت به بعثة المحامين فى هذا الشأن وتم التسجيل ولم يبدر من الدكتور صلاح الدين ما يمس القضية أو رجال الثورة من قريب أو بعيد ، وقام الاذاعى بعرض التسجيل مكتوبا على الرقابة وأقرته ، وهذا اجراء كان متبعا فى الصحف والاذاعة ألا تطبع أية مادة أى تذاع الا اذا كانت تحمل موافقة الرقيب — واطمأن الاذاعى وأعد البرنامج ليذاع فى الموعد المحدد لاذاعته ، ولكنه فوجىء فى صباح يوم اذاعة البرنامج (كان موعد اذاعة البرنامج الساعة التاسعة مساء) بطالبه ، فجاء منذعرا خائفا ، ووجد أمامه ثلاث نسخ من البرنامج مغلفة كل واحدة منها فى مظروف كتب على الأول محمد نجيب والثانى جمال عبد الناصر والثالث صلاح سالم ، وطلب منه تسليمها الى أصحابها ، وكان أن توجه الى قصر عابدين حيث كان محمد نجيب وعرض عليه الأمر فلم يفتح محمـــد نجيب المظروف وانما عرف فقط أنه خاص بالسودان فأشار على المندوب على الفور بعرض الموضوع على جمال عبد الناصر ، وتوجه الى مجلس الثورة والتقى مع جمال عبد الناصر الذى فض المظروف واســتغرق فى قراءته خمس دقائق فقط ، وابتدر المندوب يسأله : لماذا اخترتم صلاح الدين بالذات لاجراء هذا الحوار ؟ وكان الرد « لقد فهمنا من الصحف أنه قام — أى صلاح — بعمل مجيد فى السودان فأردنا أن نعرف الجماهير به » ، فاذا بعبد الناصر يفاجىء المندوب بقوله

كثيرا ما تخرج الصحف عن الخط الصحيح وطلب منه التوجه الى صلاح سالم فى القيادة فى القبة ٠

(منع د٠ صلاح الدين من التحدث فى الاذاعة)

وفى مبنى القيادة العامة فى القبة كان القرار بمنع الدكتور صلاح الدين من التحدث فى الاذاعة فلما دخل المندوب على صلاح سالم فى مكتبه قال له : اشمعنى صلاح الدين اللى يتكلم عن السودان وهنا أعاد المندوب على صلاح سالم ما قاله لعبد الناصر وزاد عليه أن اختيار الثورة له ليرأس بعثة المحامين للسودان دليل على نظافته وكفاءته ورد عليه صلاح سالم قائلا كان اختيارا خاطئا دون أن يبدى أية أسباب ، وفجأة بعد أن قرأ صلاح سالم مقدمة البرنامج انفجر صائحا هذا تخريب ٠٠ هــذا كلام فارغ وقلب الصفحات بعصبية ظاهرة وكتب : لا يذاع هذا البرنامج أظروف جدت فى اليومين الماضيين ويمنع صلاح الدين من التحدث فى الاذاعة بالمرة ٠ وخرج المندوب يضرب كفا على كف ويفكر فى اســتبدال برنامج السودان ببرنامج آخر فقد كان عليه أن يلتقى مع المستمعين مساء كل سبت يعرض رأى مسئول مختص فى موضوع معين ، وقد عرف فيما بعد أن أسباب ابعاد صلاح الدين انضمامه الى المحامين الذين طالبوا بعودة ضباط الثورة الى ثكناتهم ٠

من هذا الحادث يتبين لنا أن محمد نجيب كان يترك الأمور

لعبد الناصر أو أنه كان يترك لكل ضابط من ضباط الثورة حرية التصرف فيما يختص فيه ، وكان عبد الناصر أيضا يؤمن بهذا الاختصاص ولكن عندما يتعلق بضابط من الضباط وانما اذا تعلق باحد المدنيين فالأمر يختلف ، فمع الضباط كان التجاوز عن الأخطاء واعطاء الفرصة مرة ومرة ولكن مع المدنيين فليس هناك تجاوز عن الخطأ أو اعطاء الفرصة ولذلك لم يعمر مع الثورة من المدنيين طويلا سوى الدكتور محمــود فوزى الذى عين فى عهد الثورة وزيرا للخارجية وكان وكيلا لها قبل الثورة مدة طويلة وكان يطلق عليه أب الدبلوماسية المصرية ، وتخرج على يديه مدرسة من الدبلوماسية المصرية لو أن الثورة استفادت منها لحمت الثورة من العديد من النكسات الخارجية التى تعرضت لها ولكن حتى هذا العمل الذى لابد من توفر شروط معينة لمن يشغله من اتقان للغات وفن الاتيكيت والبروتوكول حتى هذا العمل الذى لا يمكن أن تتوفر شروطه فى اى من ضباط القوات المسلحة ، فقد طرقه الضباط وبأعداد وفيرة ، وكانت الروايات الطريفة عنهم التى تؤذى سمعة مصر الخارجية وسمعة الثورة ذاتها ، التى فتحت الطريق لمهاجمة الثورة والتاكيد على فشلها بعد أن أصبح ضابط القوات المسلحة هو الخبير الأوحد فى الهندسة والطب والتشــريع والدبلوماسية ، وقد علل البعض دفاعا عن الثورة هذه الاجراءات بأن الثورة كانت فى حاجة لتثبت أقدامها الى الثقة أكثر من الخبرة ، ومن الطبيعى أن تثق فى ضباطها الذين تحملوا عبء المجازفة بأرواحهم فى سبيل انجاح الثورة .

على أن صلاح سالم ربما كان أول من أقيل أو قبلت استقالته من أعضاء مجلس الثورة وأحدثت استقالته أو اقالته ضجة فى الأوساط الشعبية بسبب ذيوع صيته بين هذه الاوساط وان كان قد سبقه يوسف صديق الذى استبعد من قبله لميوله اليسارية المتطرفة أى لتهوره رغم أنه كان من العمد الأساسية للثورة فهو الذى قام باحتلال مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بالقبة مع أنه كان يشكو من نزيف حاد وقد تم استبعاده فى الشهور الأولى بعد قيـــام الثورة ولكنه لم يكن قد عرف جماهيريا وأن كان اسمه قد ذكر بين أسماء الهيئة التنفيذية للثورة ، وأعقبه بعد ذلك خروج خـــالد محيى الدين الذى كانت ميوله يسارية أيضا ولكنه كان أقل تطرفا وتهورا وخروجه عرفت تفاصيلها للشعب فى خلال ثورات عدم الرضا عن بعض التصرفات لرجال الثورة التى قامت بها أسلحة القوات المسلحة المختلفة .

وسنعرض بالتفصيل لظروف استقالة صلاح سالم وغيره من ضباط الثورة وأيضا لعلاقات رجال الثورة وعبد الناصر بالذات بالمدنيين الذين تعاونوا معهم بعد الدكتور محمد صلاح الدين وكذلك للأزمة بين عبد الناصر ومحمد نجيب من رواية ما لم ينشر عن هذه الأزمات بناء على ما سمعناه من أبطال هذه الأحداث من ضباط الثـــورة .

- جمال سالم يقول « من عين صلاح سالم ليقدم له استقالته » ٠
- فشل صلاح سالم فى السودان عجل باستقالته وانما خلافه مع الثورة بدأ غداة قيامها ٠
- اقالة رئيس ديوان المحاسبة لانه طلب مستندات صرف من احد ضباط الثورة ٠
- كيف افرج عن سراج الدين وابراهيم فرج وابراهيم عبد الهادى.
- جمال سالم يرفض اخلاء قاعة كبار الزوار فى سنغافورة لوزير المستعمرات البريطانى ٠
- عبد الناصر يأمر بقطع الارسال الاذاعى وصلاح سالم يلقى خطابه ٠

- ٤ -

كان ينبغى أن نعرض لاستقالة خالد محى الدين واقالة محمد نجيب قبل أن نعرض لاستقالة صلاح سالم حسب تتابع الأحداث فى تاريخ الثورة المصرية ، ولكن مادمنا تعرضنا لعلاقة أعضاء مجلس الثورة مع بعضهم البعض طبقا لمفهوم صلاح سالم ، الذى لم يقبل أن يوضع اسمه فى سجل الذين استقبلهم عبد الناصر وطالب وضعه مع عبد الناصر فى كفة واحدة ، وان الاثنين معا قاما باســتقبال الوافدين على مجلس الثورة فقد يكون من المفيد استكمال سيرة صلاح سالم حتى فصل الى استقالته التى أعلنها مجلس قيادة الثورة فى ٣١ أغسطس عام ١٩٥٥ وقبل استقالته من جميع مناصبه ، فى وقت كان شقيقه جمال سالم فى زيارة لكل من أندونسيا والهند وباكستان •

وقبل أن ننقل تعليق شقيقه جمال سالم على الاستقالة •• هذا التعليق الذى كنا حاضرين ضمن الحاضرين الذين سمعوه ، لابد أن نقرر أن صلاح سالم كان طاقة من العمل متحركة ومستمرة وأنه من أوائل الذين زاملوا عبد الناصر وشاركوا فى التحضير للثورة وأسهم فى نجاحها بقدر كبير حيث تحمل مسئولية وزارة الارشاد القومى بعد فؤاد جلال وفتحى رضوان ، واستطاع أن يرد الحملات الشرسة العدوانية ضد الثورة التى وجهتها اليها أبواق الاستعمار واذاعاته المتعددة التى كانت تبث ارسالها من أماكن متفرقة فى

الشرق الأوسط ، وان استقالته كان يمكن أن تمثل لحظة حاسمة فى علاقات ضباط الثـــورة وتعرقل مسيرتها ، لولا بعض الأحداث الكبرى التى وقعت وشغلت الجميع عنها كما سيجىء ، بعد ٠

على أنه يخطىء من يظن أن فشل صلاح سالم فى مواجهة مسألة السودان كان السبب الرئيسى فى استقالته ، وانما كانت القشة التى قصمت ظهر البعير ، فالحقيقة أن بنور الخلاف بينه وبين عبد الناصر قد بدأت غداة قيام الثورة طبقا لمفهومه عن وضع ضباط الثورة الذى أشرنا اليه ٠ ويبدو أن هذا المفهوم كان قائما لدى أخيه جمال سالم ، فقد حدث ونحن فى اندونسيا مرافقين لجمال سالم وكنا نعد العدة لمغادرة جاكرتا فى طريقنا الى باكستان ، أن أقبل علينا فى منتصف ليلة أول سبتمبر عام ١٩٥٥ السيد العمروسى سفير مصر فى اندونسيا ، متجهم الوجه بادى القلق والاهتمام ، والتقى بجمال سالم لمدة ربع ساعة ، وخرج بنفس القلق والوجوم اللذين دخلا بهما على نائب رئيس الوزراء ، ولم يشأ أن يطلعنا نحـــن مندوبى الصحف والاذاعة على الأمر الخطير والهام الذى أفضى به لجمال سالم الذى كان سعيدا سعادة لا حد له بالزيارة لاندونسيا ، اذ استقبل اســـتقبال رؤساء الجمهوريات بروتوكوليا وشعبيا ، فقد حدث أن رجال البروتوكول الأندونسيين أن استقبلوه كرئيس لجمهورية مصر حيث أنه كان نائبا لرئيس الوزراء ولم يكن قد عين رئيســـا للجمهـــورية وقتذاك فاعتبر رجـــال البروتوكول الأندونسيين أن جمال سالم نائبا لرئيس الجمهورية وقرروا استقباله كرئيس للجمهورية تدعيما لعلاقات الود والاخوة التى كانت تربط

بين مصر واندونسيا ، ولكن الريح تأتى دائما بما لا تشتهيه السفن ، وابى القدر أن تكون نهاية الرحلة سعيدة كبدايتها ٠

(الصاغ الراقص يختفى)

وامضينا ليلتنا نعد العدة للسفر الى سنغافورة فى طريقنا الى باكستان ، وكان علينا أن نتوجه الى المطار فى وقت مبكر ، كما كان علينا ان نعد تقريرا صحفيا لجمال سالم عما نشرته صحف اليوم عن مصر ، ولشد ما كانت دهشتنا ونحن نعد هذا التقرير ، عندما وقع نظرنا على مانشيت بالخط العريض فى احدى الصحف يقول : « الصاغ الراقص يختفى » ومنه عرفنا قصة استقالة صلاح سالم وعرفنا لماذا كان السفير المصرى متجهما قبل وبعد لقائه مع جمال سـالم ٠

وواجهتنا مشكلة ماذا سنكتب لنائب رئيس الوزراء ؟ وتفتق ذهننا عن فكرة تنقذنا من هذا الحرج ، ووضعنا الصحف فى غرفة نومه من تحت عقب الباب بدلا من أعداد التقرير ، ولكن لم يفت جمال سالم — وهو الذكى اللماح — أن يسألنا عن اسباب عدم اعداد التقرير اليوم واضاف هل هى استقالة صلاح ؟ ولما لم نجب استرسل قائلا لقد علمت بها أمس فقد أرسل لى عبد الناصر برقيـة مطولة بالتفاصيل وسألنا وما رأيكم انتم فى هـذه الاستقالة ، فأجبنا « ليس غريبا أن يقدم صلاح سالم استقالته فقد قدمها أكثر من مرة ورفضت ولكن الغريب أن تقبل هذه المرة ، فهذا يعتبر بداية خلاف طويل بين أعضاء مجلس قيادة الثورة لا يمكن لأحد أن يتنبأ بنهايته

ونتيجته ، وكنا نستبعده تنفيذا للعهد الذى قطعه رجال الثورة على أنفسهم فى أعقاب نجاح الثورة وقبل أن تبدأ على قناعة منهم أن أى خلاف بينهم ليس فى صالح الثورة وليس فى صالح مصر ، وصمت نائب الرئيس ولم ينبت ببنت شفة أكثر من قـوله « لقد أرسـل عبد الناصر لى برقية مطولة فى هذا الموضوع » .

(جمال سالم ووزير المستعمرات البريطانى)

والغريب أن استقالة صلاح سالم لم تؤثر على نشاط جمال سالم وحيويته ولا على برنامجه أو طريقته فقد اتفق موعد وصوله الى سنغافورة مع موعد وصـول وزير المستعمرات البريطانية ، وكانت جموع المواطنين قد احتشدت فى المطار ، تحمـل أعلاما ولافتات كتبت عليها عبارات الاحتجاج على الاستعمار البريطانى والمطالبة بالاستقلال ، وحاول هؤلاء المواطنون دخول المطار للتعبير عن احتجاجهم أمام وزير المستعمرات البريطانية ولكن سلطات الأمن حالت بينهم وبين دخول المطار ، وهبطت طائرة وزير المستعمرات البريطانى أرض المطار ولم يجد الوزير لا مستقبلين ولا مودعين من المواطنين ، وكان جمال سالم ومرافقوه قد وصـلوا الى المطار وتوجهوا الى صالة كبار الزوار حيث أن الطائرة المقلة لهم كانت قد أصيبت بعطب فى محركها تطلب الاصلاح لمدة ساعات ، وصل فى أثنائها وزير المستعمرات البريطانية ، وحاولت السلطات عبثا اقناع جمال سالم بالانتظار فى مكان آخر ولكنه رفض بشدة وتصميم ، وأمام اصرار نائب الرئيس اضطرت السلطات الى اجراء ترتيب

آخر ، فأدخلت السيارات الى ساحة المطار وركبها الوزير البريطانى وغادر المطار فور وصوله ٠

(من عين صلاح سالم ليقبل استقالته)

وبعد يوم واحد وصلنا رانجون عاصمة بورما وأقام أونو رئيس وزراء بورما مأدبة غداء تكريما لجمال سالم ، وبعد أن أخذنا أماكننا فى المأدبة اذا بأونو يبادر جمال سالم باستفسار قائلا هو صلاح سالم مش أخوك ٠٠ وأجاب جمال سالم ، نعم ٠٠ فقال أونو « لقد قرأت فى الصحف أنه استقال » فاذا بجمال سالم يلقى بقنبلة شديدة الانفجار عندما رد عليه بقوله « ومن عينه حتى يقدم له استقالته » ٠

كان ذلك بادرة خطيرة وعلامة رهيبة لما سيحدث فيما بعد ، فبالطبع كان فى المأدبة من سارع بارسال برقية عاجلة للقاهــرة تتضمن كل ما دار فى الاجتماع ، وبعد يوم أو يومين وصلتنا أنباء مفادها أننا لن نعود الى القاهرة وأصبحنا فى عداد المنفيين ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث فقد عدنا الى القاهرة ولكن بصورة غير الصورة التى غادرناها بها ، فلم يستقبلنا عبد الناصر كما كان فى وداع جمال سالم وبعدها بقليل كانت استقالة جمال سالم لأسباب أخرى غير أسباب استقالة صلاح سالم كما سيجىء بعده ولكن استقالة صلاح سالم هى التى عجلت باستقالة جمال سالم فقد كان تأثيرها كبير على مسار علاقاته بعبد الناصر بعدها ٠

(من سيتولى وزارة الارشاد)

اذا كانت استقالة صلاح سالم قد أحدثت دويا فى الأوساط الشعبية وتساءل المواطنون عن أسبابها ودوافعها حيث لم يصدر بيان يوضح أسبابها ، وهذه سنه استنتها الثورة كان من نتيجتها ذيوع الشائعات التى تاهت فى طياتها الحقيقية ، فان استقالة صلاح سالم لم تحدث نفس الأثر والدوى لدى مندوبى الصحف والاذاعة ، فقد سمعنا من عبد الناصر ونحن نسأله قبل استقالة صلاح سالم بأكثر من عام وكان قد سافر فى مهمة الى العراق ، عمن سيقوم بأعمال صلاح سالم فى غيابه • وكان فى سيارته وبجواره أنور السادات ورد علينا « أنا » وأضاف أنه يقوم بأعمال وزارة الارشاد سواء صلاح موجود أو غير موجود وأمن أنور السادات على هذه الأقوال ، ويومها شعرنا أن صلاح سالم فى طريقه الى الاستقالة أو الاقالة ولم يبق سوى تحديد موعدها ، وفى أوائل عام ١٩٥٤ وكنا فى مدينة الفيوم مرافقين لعبد الناصر وأقيم احتفال شعبى ألقى فيه صلاح سالم خطبة طويلة تناول فيها سياسة الثورة ازاء عدد من المسائل الهامة ، منها سياستها تجاه السياسيين القدامى وما تحقق من أهدافها وكيفية تحقيقها وبصفة خاصة سياسة الثورة تجاه السودان وكيفية الحصول على تأييد السودانيين فى السباق بين مصر وبريطانيا ، ولم يعجب عبد الناصر ما تضمنه خطاب صلاح اذ خرج عن أهداف الثورة • وهنا تداول فى الأمر مع جمال سالم الذى كان موجودا فى الاحتفال وجالسا بجوار عبد الناصر ، والذى

أزعج جمـــال عبد الناصر أن الخطاب كان مذاعا على الهـــواء مباشرة ، وكانت الجماهير تحيى وتؤيد صلاح سالم وتهتف له وللثورة ، وفى لحظة أصدر أمره بقطع الارسال الاذاعى من على الهواء واستمر صلاح سالم يخطب وهو لا يعلم أن الارسال على الهواء قد قطع وأن صوته لم يعد مسموعا الا فى الاحتفال وحده ٠

(كيف أفرج عن سراج الدين)

ونحن أيضا الذين عاصرنا اعتقال فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج وغيرهم ، وكنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة المصدر الوحيد لاذاعة الأنباء فى هذا الوقت أواخر عام ١٩٥٣ فلم تكن أجهزة الاعلام قد تطورت هذا التطور الذى وصلت اليه اليوم ، ولم تكن وكالة أنباء الشرق الأوسط قد أنشـــئت بعد ، ولم تكن الوزارات والمصالح قد الحق بها مكاتب للعلاقات العامة ، وكانت الثورة قد اعتقلت عددا من السياسيين من بينهم فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج وابراهيم عبد الهادى وغيرهم ، وكانت قد أجرت تطهيرا فى أجهزة الدولة راح ضحيته العديد من الأبرياء ، الا أنه لم يصل فعلا الى من يستحق التطهير حقا ، لأن الثورة تركت للاحقاد الحبل على الغارب ، فتعددت الشكاوى الكيدية التى كانت تحتاج الى التدقيق فى كل ما تحتويه ، وسادت البلاد موجة من الخوف والقلق هزت صورة الثورة أمام الجماهير ولم تسلخ من عمرها أكثر من نصف عام ، ويبدو أن القصد من هذا التطهير هو اصطياد مؤيدى رجال

الأحزاب السياسية بوصفهم متعاطفين معهم مؤمنين بهم بعد أن ساقتهم الثورة الى السجون .

وبينما كان مجلس قيادة الثورة يعقد احدى اجتماعاته في مقره بالجزيرة ، تلك الاجتماعات التى كانت تعقد دورية كل يوم احد من كل أسبوع وتستمر حتى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ولا يذاع عنها شيئا ، في احدى هذه الاجتماعات وكانت الساعة الثامنة مساء تقرر الافراج عن سراج الدن وابراهيم فرج وعدد آخر من السياسيين ، وفى لحظة الموافقة على الافراج نزل احد الضباط مسرعا فى مهمة والتففنا حوله وعرفنا منه النبأ بطريقة غير رسمية وعلى الفور سارع مندوب الاذاعة وأبلغ النبأ الى الاذاعة ومجلس الثورة مازال مستمرا فى اجتماعه واذيع النبأ فى نشرة الساعة الثامنة ونصف .

وبعد ثوان من اذاعة النبأ فوجئنا بمن ينادى « مندوب الاذاعة يتفضل فوق » وهرع الى السلم والخوف والاضطراب يحتويه من مفرق رأسه الى أخمص قدمه ، فلا بد أن يكون هناك أمر جلل أخطأت فيه الاذاعة وربما كان هو المخطىء ، ودخل على المجتمعين فى قاعة الاجتماعات وكان يتصدرها جمال عبد الناصر بزيه العسكرى وكذلك بقية الأعضاء فيما عدا واحد أو اثنين على الأكثر كانا يرتديان الملابس المدنية ، وفور دخول مندوب الاذاعة القاعة صاح صلاح سالم فى وجهه قائلا ، انت مزفوت ، ولم يرد المندوب واستدار الى

الخلف ليغادر القاعة الا أن صلاح سالم استوقفه وسأله عن مصدر حصوله على نبأ الافراج عن السياسيين ، فأجاب أنه لا يستطيع الافصاح عن مصدره فالكشف عن مصدر الخبر يمنعه شرف المهنة ، ولكن اذا كان الخبر خطأ أحاكم ، وهدده صلاح سالم بالرفت مرة أخرى ·

وفى وسط هذا الجو العاصف الغاضب ، الجو العسكرى الذى لا يقبل النقض والابرام اذا بصوت هادىء يتسلل اليه ليقول هو « الوش ذنب شغلته الحصول على الخبر وتوصيله الى الاذاعة والخبر صحيح ومهمتنا نحن معرفة من كان معنا وانصرف فى النصف ساعة الماضية فهو قطعا الذى أباح بالخبر رغم طلبنا واصرارنا على سريته ، وهذا أمر جد خطير اذا لم نكن قادرين على حفظ اسرارنا ·· لا يا صلاح سيبه ينزل يشوف شغله ، كان هذا الصوت صوت عبد الناصر الذى كان يقال عنه انه العقل المفكر والمدبر للثورة رغم أن محمد نجيب كان الرئيس المعين لمجلس الثورة ولم يكن حاضرا فى هذه الأثناء وانما كان قد حضر فى بدايته وأمضى مع رجال الثورة ربع ساعة وانصرف رغم أنه لم يكن لديه من الأعمال الهامة ما يستوجب مغادرته للمجلس وسنعود الى هذا الموضوع مرة أخرى ·

المهم أن مندوب الاذاعة ترك المجتمعين وصدى الكلام يرن فى أذنه فيزعجه حيث أن بقاءه فى عمله أصبح معلقا بخيط رفيع

جدا ومهدد بالقطع فى لحة فيهيم على وجهه فجأة دون سابق انذار ولم يهدىء من روعه الا ما يشهده من علاقة الثورة بالمدنيين مثله فى هذه الفترة فقد كانوا معلقين فى خيط رفيع واه ، وبينما هو موزع الوجدان شارد الفكر فاقد التركيز مشتت مهدد اذابه يلمح قدوم الضابط الذى أفضى بالخبر الى مقر مجلس الثورة على عجل، ففهم أنه سبب له حرجا وهو صديق له ، وخاف أن يناله ما لا يحمد عقباه ، فأسرع اليه وأفضى اليه بما حدث وانتظرنا على أحر من الجمر ، فقد كان الشاب من الضباط النشيطين اللماحين الذين هم أقرب فى طباعهم وتصرفاتهم الى الطابع المدنى منه الى الطابع العسكرى ، وحمدنا ربنا عندما رأيناه بعد اجتماعه بضباط الثورة منفرج الأسارير سعيد ، فعرفنا أنه اجتاز المطب فى يسر وسلام ، ولكننا لم نعرف كيف اجتازه هل انكر الواقعة بالمرة أم أيدها ومجلس الثورة لم يوجه له اللوم والتقريع ، المهم أن صلاح سالم استدعانا وأملانا النبأ بتفصيلات أكبر فهمنا منها أن هذه هى الجولة الأولى مع هولاء السياسيين وسيتبعها جولات وجولات ونبه علينا ألا ننشر أو نذيع أنباء الا الأنباء التى يصرح لنا بها ٠

فشل سايسة صلاح سالم فى السودان

رأينا أن نسوق كل هذه الأحداث التى كنا فيها شاهد عيان لندلل على أن الخلاف بين صلاح سالم وقيادة الثورة وعبد الناصر بالذات كان قد بدأ غداة قيام الثورة ،وان صلاح سالم ربما كان

متطلعا لخلافة عبد الناصر شأنه شأن العديد من ضباط الثورة الذين شاركو فى الاعداد لها والقيام بها منذ اللحظة الاولى وكان منهم صلاح سالم وعبد الحكيم عامر وجمال سالم وكمال الدين حسين وغيرهم ممن حوصروا فى الفالوجا مع عبد الناصر ، وذلك بسبب اعتبار أنفسهم أصحاب حق فى الثورة ، مســـاو تماما لحق عبد الناصر ، ولكن عبد الناصر الذى أقصى زكريا محى الدين عن قيادة الثورة بالرغم من أنه أقدم منه رتبة لا يمكن أن يقبل من أحد منافسة له فى قيادة الثورة ، وليس من المستبعد أن يكون قد خطط لابعاد هؤلاء جميعا واحدا بعد الآخر على فترات زمنية واسعة حتى لا يقال أن الثورة أكلت نفسها ، وعبد الناصر كان ماهـــرا فى التخطيط والتنفيذ معا .

ولنعد الى السودان التى كانت من اختصاصات الصـــاغ صلاح سالم مع مسئولية وزارة الارشاد القومى ومحاولة اغراء السودانين بالارتباط مع مصر خلال فترة الانتقال التى بدأت غداة قيام محمد نجيب الذى كان رئيسا لمجلس الثورة ورئيسا للوزراء بتوقيـــــع اتفـــاق مــــع انجلترا فى ١٢ فبرايـــر عام ١٩٥٣ يقضى بتحـــديد فترة انتقال لا تتجـــاوز ثلاث سنوات يتاح فيها للسودانين فرصة الاختيار اما الوحدة مع مصر أو البقاء تحت الاحتلال الانجليزى أو الحصول على حكم ذاتى كامل .

وللحقيقة وللتاريخ لقد بذل صلاح سالم من المجهودما لم يتحمله بشر فى سبيل انجاح مهمته فى السودان ولكن الاعيـــب

الانجليز كانت أقوى منه وساعدهم تأصل الرغبة لدى السودانين الانفصال عن مصر فى هذا الوقت بسبب سياسة الانجليز طويلة الامد التى أظهرت لهم عدم حب المصريين لهم ومعاملتهم بالشدة فى الفترة الذى كان يطلق فيها على فاروق اسما ، لقب ملك مصر والسودان ، وقد تفرغ صلاح سالم لهذه المهمة تماما وجاب السودان طولا وعرضا وشمالا وجنوبا حتى وصل الى جوبا فى أقصى الجنوب والتقى بقبائلها وخلع ملابسه كما يفلعون وشاركهم فى رقصاتهم وعبادتهم وأنفق فى هذا السبيل أموالا طائلة حوسب عليها فيما بعد وعقد العديد من الاجتماعات مع الحتمية والمهدية الزعماء الدينيين والروحيين للسودانيين ومع زعمائهم السياسين والشعبيين ولكنه لم يحقق الفوز بتأييد السودان للارتباط مع مصر والانفصـــال عن بريطانيا ، وكان ما كان من فقدان السودان لاستقلاله التام والارتماء فى أحضان الانجليز فى أول يناير عام ١٩٥٦ ، ولكن مجلس قيادة الثورة لم يمهل صلاح سالم حتى هذا التاريخ ، وأعلن قبول استقالته فى ٣١ أغسطس عام ١٩٥٥ قبل أن يتضح تماما فشل سياسته ٠

ومن مفارقات القدر أن يتوفى صلاح سالم بعد حوالى ٧ سنوات من تاريخ عزله من كل مناصبه عن ٤٢ عاما ، وكرم خير تكريم حيث اطلق اسمه على واحد من أشهر شوارع مصـــر وأيضا فى الاسكندرية ولكن لم يمهله القدر ليدافع عن نفسه كغيره من رجال الثورة فلم يكتب مذكراته عن الفترة الدسمة التى عاشها على قصرها قصرها الشديد فلم تتعد أكثر من ثلاث سنوات بذل فيها من دمه

ومجهوده ما ساعد الثورة على شق طريقها وسط موجة العداء المتناهية لها فى الداخل والخارج وما أثبت اسمه فى سجل الثورة كواحد من أبطالها الذين قدموا لها ولمصر العطاء الوافر والجهد السخى ٠

اقالة رئيس ديوان المحاسبة

ونحن لا نعرف حقيقة ما روى بعد وفاته من أنه أنفق ثمانية ملايين من الجنيهات على شراء خرز وملابس لقبائل السودان خلال جولاته المتعددة بين ربوع السودان ولم يقدم مستندات بهذه الملايين الى ديوان المحاسبة ، ولما طلبت منه هذه المستندات رفض حتى تقديم ورقة بامضائه باستلام المبلغ ٠٠ وتحت الحاح رئيس ديوان المحاسبة اضطر لارسال المستند وأوجه صرف المبلغ ، ولكن لم يمض على هذا الاجراء شهور حتى طلب من رئيس ديوان المحاسبة تقديم استقالته ، وقد ذكر فيما نكر أن هذه الحادثة كانت من الأسباب الرئيسية لاستقالة صلاح سالم ، رغم ما عرف عنه من طهارة اليد والشرف طوال توليه مسئولياته . فلم ينسب اليه شبهة اختلاس فى أى وقت من الأوقات ، ومات ولم يترك من الثروة ما يشكك فى نزاهته وشرفه ٠

على أية حال فان استقالة صلاح سالم تعتبر من اللحظات الحاسمة فى تاريخ الثورة المصرية لأنها أعقبت لحظة حاسمة أخرى هى اقالة محمد نجيب وخالد محيى الدين ، وهم الثلاثة كانوا أكثر

ضباط الثورة شعبية وقربا للجماهير ، ولكن عبد الناصر بذكائه ودهائه اســتطاع أن يمر من هــذه اللحظات ومن كل اللحظات الحاسمة التى أعقبت استقالة اى عضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة فيمــا بعد واســتطاع أن يمر من صــراعات الاخــوان والشيوعيين والسياسيين القدامى وحزب الوفد كما استطاع أيضا أن يمر من مؤامرة العدوان الثلاثى الذى استهدف الثورة واستهدف شخصه ، ولم تنقطع استمرارية الثورة حتى يومذ هذا ، وهذا ليس بمستغرب على من غافل دولة البوليس السرى المحكمة وقام بثورته دون أن تشعر بها هذه الدولة الا وهى فى أدوارها النهائية وسط استغراب ودهشة الجماهير المصرية التى كانت لا تتخيل حجب أية حركة أو همسة عن عيون تلك الدولة ٠

- القصة الحقيقية لانضمام اللواء محمد نجيب الى الثورة ٠
- خطط عبد الناصر لخلع نجيب كما خطط لضمه ٠
- لم يكن نجيب واجهة للثورة وانما الضباط الأحرار أرادوا ذلك٠
- عبد الناصر يختبر قدرات نجيب على التحرك والمواجهة قبل ضمه للثورة ٠

- ٥ -

سقط فارس من فرسان الثورة المخلصين لم يكن مختلفا فى الفكر عن عبد الناصر كيوسف صديق وخالد محيى الدين اللذين سقطا قبله ، وانما اقصى بسبب أسلوب تعامله مع عبد الناصر اذ كان يتعامل معه على قدم المساواة ولم يكن يقيم وزنا للرتبة العسكرية الأقدم وهو ما لم يكن يرضى عبد الناصر الذى كان يسعى لتسلم زمام قيادة المجلس مجلس الثورة وتوحيده لمواجهة محمد نجيب الذى كان يمثل بالنسبة لعبد الناصر عقدتين : **الأولى** : أنه تولى قيادة المجلس وعبد الناصر أعد للثورة ليقود هذا المجلس بعد نجاح الثورة **والثانية** أن محمد نجيب كان يتمتع بشعبية جارفة اذ كان فى نظر الجماهير البطل الذى طرد الملك واللواء الذى وقف فى وجهه وهو فى عنفوان سطوته وجبروته ، الا أن عبد الناصر لم يطلب من مجلس الثورة الموافقة على استقالة صلاح سالم الا فى الوقت الذى كان فيه متأكدا بأن المجلس ســيوافق عليها ، وانتهز فرصة غياب شقيقه جمال سالم ، فلما هدد صلاح سالم بالاستقالة طلب من المجلس أخذ الرأى ووافق ، ولم يطلب أخذ الموافقة على استقالة صلاح سالم فى المرات العديدة التى هدد بها لأنه من قبل لم يكن متأكدا من موافقة مجلس الثورة عليها ، وكان صلاح سالم ما زال نجما بارزا من نجوم الثورة أمام الجماهير وخروجه قد يشكل أزمة لعبد الناصر ٠

لم يكن يدر صلاح سالم وهو يذيع اقالة محمد نجيب أو قبول استقالته بناء على قرار من مجلس قيادة الثورة وهو يذيع بعد ذلك قرار اعادته نزولا على رغبة الجماهير الثائرة ، وهو يذيع أيضا قرار اقالته الثانية بعد أن نجح عبد الناصر بتكتيكاته الدقيقة الذكية فى تهدئة الجماهير الثائرة وتهدئة بعض أسلحة الجيش الثائرة ، لم يكن يدر انه سيجىء اليوم الذى سيذيع غيره قرار اقالته او قبول استقالته ، ولم يكن يدر أيضا أن شقيقه جمال سالم الذى كان يتعامل مثله مع عبد الناصر بأسلوب المساواة معه ستقبل استقالته بعده بمثل هذه الطريقة العجيبة ، اذ لم يبق بعده أكثر من عام قضاه فى منازعات مع عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة الى ان خرجت الكره من يده وابعد كما أبعد أخوه ٠

وثمة نقطة أخرى لم يكن أعضاء مجلس الثورة قد ادركوا أنهم وهم يؤيدون استقالة أو اقالة واحد منهم أنهم سيشربون جميعا من نفس الكأس وأن عبد الناصر كان يعد لانهاء المشـــكلة برمتها بالتحضير الى اقالة المجلس كله وتحويله الى اجنة مركزية يسقط عنها الطابع العسكرى الذى كان يأخذ فيه وقتا ويحتاج الى تكتيك من نوع معين لاقصاء أى من أعضاء مجلس الثورة وتحويل من بقى منهم الى وزراء فى وزارة يسهل اقالة الواحد منهم بقرار — لا يكلفه أى عناء — يصدر باعادة تشكيل وزارة لا يتضمن من يريد اقصاءه أو ابعاده ٠ على أية حال كانت تخطيطات عبد الناصر بعيدة المدى والهدف وكانت تصب فى قالب المغلوب على أمره فى اتخاذ قرار ابعاد زميل كافح معه ، وهو أمر مهد له تسيير دفة الأمور داخل

مجلس قيادة الثورة التى كانت تؤكد كل المتوقعات أنه سينقسم على نفسه ولن يقدر للثورة النجاح شأنها شأن كل الانقلابات العسكرية التى سيطرت على الحكم فى الدول النامية ولكن انقسام قياداتها العسكرية عجل بفشلها ٠

وعليه يمكن القول بأن عبد الناصر نجح فى منع الانقسامات داخل مجلس الثورة ومنع التناحرات بين أعضائه رغم أنه عزل ثلاثة من ضباطه قبل اقالة محمد نجيب وتخلص من الباقى بعد هذا التاريخ حتى أنه لم يبق معه قبل وفاته فى سبتمبر عام ١٩٧٠ من ضباط الصف الأول سوى أنور السادات وحسين الشافعى ولما آلت الأمور بعد وفاته لأنور السادات تخلص من حسين الشافعى ليكون خاتمة لنجوم الثورة الثلاث عشر الذين اختفوا من المسرح السياسى بعد ثمانية عشر عاما من قيام الثورة ، ولكن الثورة رغم اختفاء قياداتها الأوائل استمرت باقية بمبادئها وأهدافها ٠

(اختلاف الروايات حول نجيب)

واذا كان خروج كل عضو من مجلس الثورة أحدث لعبد الناصر لحظة حرجة وحاسمة وأحدث شرخا فى بناء الثورة وقلل من قدرتها على مواجهة الأحداث داخليا وخارجيا ، الا أن هذا الخروج لم يهدد بفشل الثورة وانهاء مسيرتها ، ولكن الخروج الذى هدد مسيرة الثورة وتغيير وجه مصر وتاريخها كان خروج محمد نجيب الذى قيل عنه انه اختير كواجهة للثورة وانه كان مثل خيال المآتة طوال

فترة مشاركته مع ضباط الثورة لتسيير دفة الأمور ـ أكبر نكسة واجهت الثورة وأحرج لحظة فى تاريخها ولم تسلخ بعد من عمرها اكثر من عامين ونصف ، وهو ما يؤكد أن محمد نجيب لم يكن واجهة للثورة ولا خيال مآته ، وانما مجلس الثورة أراد أن يجعل منه واجهة وخيال مآتة ولكنه رفض وصمم على أن يتولى مسئولية القيادة كاملة وأن ذلك كان مفاجأة لهؤلاء الضباط ، كما أنه من غير المنطقى أن نقبل الروايات المختلفة عن قصة انضمام محمد نجيب الى الثورة التى تقول أن الضباط الأحرار عرضوا الأمر على عزيز المصرى ولكنه اعتذر لكبر سنه وبعده عن الجيش أكثر من اثنى عشر عاما وأنه آثر أن يظل أبا روحيا للثورة فقط ، وأن الضباط الأحرار عرضوا الأمر على فؤاد صادق وأنه رفض أيضا بسبب سماعه أن السراى بصدد اصدار مرسوم ملكى بتعيينه رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش ، وأن الأمر عرض على رشاد مهنا ورفض وأن المزاد رسا وانتهى أخيرا الى محمد نجيب لتوافر كل الشروط والمواصفات المطلوبة فيه من السمعة الطيبة بين ضباط الجيش والشجاعة النادرة التى أبداها فى حرب فلسطين ، فلو أن الضباط الأحرار فعلوا هذا حقيقة لأنكشف أمرهم وقضى على حركتهم قبل أن ترى النور كغيرها من الحركات التى أجهز عليها الملك ولم يعرف الشعب عنها شيئا .

وانما الأقرب الى العقل والمنطق والذى يمكن تصديقه أن عرض قيادة الثورة على عزيز المصرى وفؤاد صادق ورشاد مهنا كانت أفكارا طرحت على هيئة الضباط الأحرار فى اجتماعاتها السرية التحضير للثورة ولكنها لم تلق قبولا وعدل عنها ولم يتخذ أى اجراء

تنفيذى بشأنها ، ولما عرض اسم محمد نجيب وافقت هيئة الضباط الأحرار عليه بالاجماع وبدأ العرض عليه خاصة وأن أحد الضباط الأحرار وهو عبد الحكيم عامر كان هو الذى تولى العرض فقد كان على صلة وطيدة بمحمد نجيب بل وعمل معه كأركان حرب له أو سكرتير أو مدير مكتبه ، ولو أن أحدا لم ينكر أن عبد الحكيم عامر أوكل اليه هذا الأمر ٠

(أصدق الروايات)

وفى تصورنا أن أصدق رواية لموعد صلة محمد نجيب بالثورة هى الرواية التى رواها محمد نجيب فى كتابه « قدر مصر » الذى كتبه باللغة الانجليزية وهو فى عنفوان مجده مع أعضاء مجلس الثورة والتى قال فيها بالحرف الواحد : فى شهر يونيو ١٩٤٩ عينت مرة أخرى فى مدرسة أركان الحرب ٠٠ لكننى هذه المرة لم أكن غاضبا من هذا القرار كما حدث فى المرة الأولى التى أجبرت فيها على العودة من فلسطين ٠٠ فهذه المرة كنت متهما بتنظيم سرى للمقاومة المصرية ٠ وكان أحد أعوانى ضابطا رقيقا حسن الأخلاق برتبة رائد اسمه محمد عبد الحكيم عامر وكان يزورنى كثيرا فى المستشفى والآن يجىء الى فى زيارات أكثر فى مكانى الجديد ٠٠ وذات مرة قال لى ، أريد أن أفاتحك فى موضوع هام وقال له نجيب خير يا بنى ٠٠ وقال عبد الحكيم عامر : اننى وزملائى من الضباط نريد أن نمحوا الهزيمة التى بلينا بها فى حرب فلسطين وسكت نجيب

لدقائق ثم قال وماذا تريدون منى ٠٠ قال نريد منك النصيحة وقد وعده نجيب بذلك وقد كان ٠

ويستطرد محمد نجيب فيقول : كنت فى ذلك الوقت كما قلت مشغولا بتنظيم سرى للمقاومة المصرية وكان اعتمادى فى ذلك على مجموعة من اخوانى الضباط الذين اتفقنا معا منذ عام ١٩٤٩ على ارغام الملك على تطهير الجيش من العناصر الفاسدة التى تسيطر على قيادة الجيش وعلى امداداته وكان علينا أن نستطلع الأمر وقد تمت فوافق عليها ٠٠ لكن كان الجدل أكثر من التخطيط وكان الكلام أكثر من الرغبة فى التحرك وبدأ صـــبرى ينفذ ، وفى ذلك الوقت بالتحديد فاتحنى عبد الحكيم عامر بما يحلم به هو وزملاؤه من الضباط الصغار ٠٠

وفى يوم من الأيام والكلام لمحمد نجيب أحضر عبد الحكيم عامر صديقا له يرغب فى مقابلتى ٠ وكان هذا الشاب برتبة رائد فى الجيش سبق أن قابلته فى الفالوجا بفلسطين ٠٠ ورأيته ٠٠ وكانت هذه المرة الأولى التى أجلس فيها الى جمال عبد الناصر وكان جمال عبد الناصر زعيما لتنظيم الضباط الشـــبان السرى فى الجيش ٠٠ وجاء ليرى ويزن ويتأكد بنفسه من رأى عبد الحكيم عامر فى قدراتى على التحرك والمواجهة ٠٠ وكان هذا بالفعل شيئا غريبا ٠٠ يثير الدهشة والعجب ٠٠ أن تقوم الرتب الصغيرة بفحص الضباط العظام واختبارهم ٠٠ لكننى تقبلت هذا الوضع بصدر رحب تماما — فقد كنت مقتنعا بأن خلاص مصر ٠٠ فى النهاية يقع على

عاتق الضباط الصغار لا ضباطنا الكبار الذين انشغل أغلبهم فيما يريحهم ويجعل الحياة أكثر رفاهية بالنسبة لهم ٠٠ حتى الضباط الكبار وان كانوا يمتلئون بالحماس والوطنية كان ينقصهم روح الشباب وحرارته وقدرته الفائقة على المغامرة والمخاطرة وكان ينقصهم ما يحول أفكارهم الى واقع ، وما ينقل ما فى رؤوسهم الى أيديهم وارجلهم ٠

وفى لقائى — وما زال الكلام لمحمد نجيب — مع عبد الحكيم وجمال عبد الناصر اكتشفنا أن ما ينقص كلا منهما قد يوجد عندى وهم وجدوا عندى الحكمة والخبرة والتجربة وأنا وجدت عندهم الانفعال وسخونة الدم والاندفاع المطلوب ووافقنى جمال على ذلك وعبد الحكيم أيضا ٠٠ ولم يمض وقت طويل حتى أصبحنا أصدقاء ٠٠ وكانا يترددان على واحيانا كنت أتأخر فى العودة الى البيت لارتباطات مختلفة ، وأصل لأجد سيارة عبد الناصر واقفة فى زاوية مظلمة بالقرب من منزلى الذى يقع فى آخر شارع جانبى من شارع طومانباى ، وفى الميدان كان يقع ملهى ليلى يسمى « حلمية بالاس » وعندما كنت أعود متأخرا ليلا ٠٠ كان جمال وحكيم يتظاهران بأنهما ينتظران شخصا ما فى النادى الليلى حتى يبعدا عنهما شبهات البوليس والمخبرين والبوليس السياسى ، ولقد اعتادا الحضور لمقابلتى ٠٠ لكن أحيانا كان يأتى معهما صلاح سالم وهو رائد صغير لكن صلعته كانت تعطيه سنا أكبر من سنه الحقيقى وهو الثلاثون عاما ، وبعد لقاءات عديدة معهم اتفقنا على الخطوط العريضة لتحركنا !! ودعانى عبد الناصر للانضمام الى تنظيم الضباط

الأحرار الذى كان تنظيما سريا دعا هو اليه وأسسه وتولى رئاسته وأنا وافقت على ذلك فورا ٠٠٠ ومن بين الضباط التسعة الذين شكلوا مجلس القيادة بعد الثورة كنت أقابل خمسة منهم قبل الثورة ، وقبل أن انضم لتنظم الضباط الأحرار عرفت أن جمال عبد الناصر كان يأمل أن يضع اللواء صادق كرئيس للضباط الأحرار ولكن اللواء صادق رفض ولم يقبل هذه المجازفة وان كان فى الواقع لم يتخل عنا وكان يساعدنا بين الحين والآخر ، وعرفت أن رشاد مهنا قد رشح لهذه المهمة أيضا ولكن عبد الناصر لم يفاتحنى فى ذلك واستبعده دون أن أعرف بالضبط حقيقة السبب فى ذلك ٠٠

(حقائق ثابتة)

من رواية محمد نجيب هـذه يتضح عدة حقائق منها أن عبد الناصر كان هو صاحب فكرة أن يتولى قيادة الحركة قائد كبير برتبة كبيرة معروفة على مستوى الجيش والشعب حتى تضمن الحركة تأييد الجيش والشعب وجمال عبد الناصر كان لا يتعدى انه مقـدم أركان حرب فى الجيش دائرة معارفه محدودة ولا تتعدى المنطقة أو السلاح الذى يعمل به وهو غير معروف بالمرة على المستوى الشعبى ، وهذا الاختيار هو الذى ساعد بالقطع على نجاح الحركة ، ولولا هذا الاختيار لكانت ثورة يوليو ذهبت فى التاريخ على أنها مجرد مغامرة من عدد من الضباط قاموا بها ولكن ما لبثت أن قضت عليها قيادة الجيش صاحبة الولاء الأول للملك ٠ خاصة وأن كل الذين اشتركوا معه من الضباط الصغار لا تتعدى معارفهم أيضا

دائرة السلاح الذى يعملون به وأن عددهم لم يتجاوز ٧٠ ضابطا ، وهو عدد ضئيل جدا بالنسبة لعدد الجيش كله ، وكلهم أيضا غير معروفين على المستوى الشعبى ، وكما رأينا اولا تأييد الجيش والشعب للحركة لما قدر لها النجاح ، وأن هذا التأييد الجارف العام هو الذى أرغم الملك على التسليم ولم يستحث الضباط الأحرار بالولاء التام له بالوقوف فى وجه الثورة ومقاومتها وهذا التأييد أيضا هو الذى منع هؤلاء الضباط وغيرهم من مقاومة الحركة ومنعهم أيضا حتى من مجرد التفكير فى المقاومة حتى ولو فرض أن الملك أمرهم بذلك ٠

ويتضح أيضا أن عبد الناصر هو صاحب فكرة تولية قائد الحركة ذى رتبة كبيرة له رصيد كبير بين جماهير الشعب وهذه حقيقة لم تختلف الروايات عليها ويتضح أيضا أن الاتصال بمحمد نجيب كان فى سرية تامة حتى لا ينكشف أمرها وأن الاختيار جاء أيضا بناء على مشورة عبد الحكيم عامر الذى كان لصيقا بمحمد نجيب ويعرف تماما كل مواقفه وأيضا بحتمية موافقته وهذه مسألة هامة لأنه لو لم يوافق هو لربما دار بخلده أن يتصل بالملك وتصدر الأوامر باعتقال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وبقية زملائهم ومحاكمتهم وهذه الحقيقة تجعلنا لا نصدق أن الحركة فى اختيارها لقائدها عرضت الأمر على أكثر من قائد ٠

بقى فى رواية محمد نجيب أن اتصاله بعبد الناصر بدأ فى شهر يونيو سنة ١٩٤٩ وهو موعد خالف كل المواعيد التى ذكرت

فى هذا الشأن ، فالثابت من الروايات أن اتصال الحركة بمحمد نجيب تم فى أعقاب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ومما يكذب هذه الرواية ويؤكد رواية محمد نجيب ما حدث فى انتخابات نادى ضباط القوات المسلحة التى جرت فى ديسمبر عام ١٩٥١ وكان الجيش يتتبع أنباء هذه المعركة باهتمام شديد على أنها صراع سافر بين الضباط الوطنيين بزعامة محمد نجيب وعملاء السراى من قادة الجيش بزعامة حسين سرى عامر وكان الضباط الأحرار قد رشحوا محمد نجيب لرئاسة مجلس الادارة على رأس القائمة التى دخلوا بها الانتخابات وقام حسن ابراهم أحد ضباط الثورة فيما بعد يطبع القائمة على الرونيو وتوزيعها على أسلحة الجيش المختلفة ومنها السلاح الجوى الذى ينتمى اليه ، وبالطبيعة لا يمكن أن يعرض محمد نجيب نفسه لغضب الملك علانية ويرشح نفسه على قائمة ضد قائمة الملك لو لم يكن هناك اتفاق مسبق بينه وبين تنظيم الضباط الأحرار ، وهو أمر غير قابل للتصديق لأنه لا يمكن لضباط الثورة أن يرجئوا اختيار قيادتهم لآخر لحظة لأن هذا الاختيار لابد أن يسبقه اختبار لهذه القيـــادة حتى يطمئنوا لاخلاصها وصدقها وأيضا لقوتها وشجاعتها لتحمل ما قد يترتب عليها لو كشف أمرها ومحاكمتها واعدامها ، ولذلك فان واقعة اتصال محمد نجيب بجمال عبد الناصر ابتداء من يونيو عام ١٩٤٩ تصبح صحيحة لا شك فيها التى أوضح فيها صراحة أن الضباط الأحرار اقروا هذا الاختيار فى قوله « كان جمال عبد الناصر زعيما لتنظيم الضباط الشـــبان السـرى فى الجيش وهذا اعتراف صريح منه بزعامة جمـــال

عبد الناصر للتنظيم » وقوله « وجاء عبد الناصر ليرى ويزن ويتأكد من راى عبد الحكيم عامر فى قدرتى على التحرك والمواجهة » ٠

وأما ما ورد فى مذكرات محمد نجيب أنه عرف أن جمال عبد الناصر كان يأمل أن يضع اللواء صادق كرئيس للضباط الأحرار وأنه عرف أيضا أن رشاد مهنى قد رشح لهذه المهمة أيضا ، فربما أراد التنظيم بذلك اشعاره أنه مجرد قائد للحركة لغرض محدد عندما ينتهى فسيكون من حق الضباط الأحرار الاستغناء عنه حتى لا يتمادى محمد نجيب ويمسك بزمام الثورة منهم ويستغنى عنهم هم ، وربما لجأ الضباط الأحرار لهذا الأسلوب تحسبا للمستقبل ليوم قادم حتما هم يخططون له بالاتفاق فيما بينهم على أن تؤول مقاليد الأمور الى جمال عبد النصر وهو ما اتضح فيما بعد من وقوف مجلس الثورة فى جانب ومحمد نجيب وخالد محيى الدين فى الجانب الآخر عندما رأى هؤلاء الضباط أن الفرصة حانت لاقصاء محمد نجيب وتسليم القيادة لعبد الناصر بعد أن نما عوده واشتد وأثبت قدرة فائقة على مواجهة الأحداث مهما كانت صعبة وقيادة السفينة الى بر الأمان رغم الرياح العاتية التى هبت عليها والأمواج الصاخبة التى كادت أن تقطع مسيرتها وتمنعها من الوصول الى نهاية المطاف ٠

(تأتى الرياح بما لا تشتهيه السفن)

الثابت الذى لا شك فيه أن اختيار ضباط الثورة لمحمد نجيب تم ليكون واجهة الثورة يساعد على توحيد شعور الشعب والجيش

على أنها حركة جادة محسوبة وليست مغامرة حتى تفوز بتأييد الجيش والشعب ما ، وربما أن موافقة الجمعية التأسيسية للحركة على محمد نجيب دون المرشحين الآخرين (عزيز المصرى ـ فؤاد صادق ـ رشاد مهنا) لأنه أكثر شهرة منهم بين صفوف جماهير الشـــعب وأحسن سمعة واحتراما بين صفوف الجيش لشجاعته المعروفة فى حرب فلسطين ومواقفه الصلبة ضد السراى ، وعلى الجانب الآخر فان الضباط الأحرار رجحوا كفة محمد نجيب على سائر المرشحين الآخرين على أمل أن يكون أكثر مرونة منهم عند الاصطدام به وأكثر سهولة عند التخلص منه عندما يأتى الوقت المناسب اذاك ٠ ولكن فاتهم أن الرجل ذو المواقف الحاسمة فى الفترات الحرجة لا يمكن أن يكون عجينة لينة فى أى موقف مهما تضاءل ومهما كان بسيطا ، فرجل قدم استقالته وهو برتبـــة بكباشى وقدم احتجاجا على محاصرة الدبابات البريطانية لقصر عابدين فى ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ولما أهانه الملك قدم احتجاجا فى الوقت نفسه على استهزاء الملك بالجيش لابد وأنه يحمل بين جنبيه قلبا نابضا بحب مصر والمصريين ورجل عبر عن رأيه فى حرب فلسطين التى خاضها تنفيذا للأوامر علنا دون أن يخشى التنكيل به ويقول لم يكن فى فلسطين شىء يمكن أن نكسبه وانما هناك الكثير مما سوف نخسره بسبب ضعف قوتنا العسكرية وأنه كان من الأفضل أن نخوض الحرب فى فلسطين على طريق حروب العصابات مع بقية فصائل المقاومة العربية ، ورجل وقف الموقف الذى وقفه فى انتخابات نادى الضباط متحديا أوامر السراى لا يمكن أن يقبل أن يكون واجهة أو برافان لضباط الثورة ، وانما ما دام قبل الاشتراك معهم فلابد أن يشترك على أنه لواء

وغيره من ضباط الثورة أعلى رتبة بينهم لم تكن تزيد عن مقدم ، ولا يمكن أن يقبل أن يشوه تاريخه العسكرى المشرف طوال مدة خدمته العسكرية بأن يقال عنه أنه واجهة للثورة ولا ناقة له ولا جمل فى كل ما حدث بمصر وهو الذى منح نجمة فؤاد الذهبية مرتين تقديرا لشجاعته وأخرج من منصبه مديرا لسلاح الحدود ليتم تعيين اللواء حسن سرى عامر رجل السراى مكانه ، ولكنه لم يقبل الاهانة وسارع فى تقديم استقالته ولكنه عدل عنها تحت ضغط بعض محبيه من الضباط بحجة أن موقفه هذا يضيف رصيدا للملك ٠

هذه الوقائع تؤكد ما قلناه من أن ضباط الثورة اختاروا محمد نجيب ليحقق لهم تأييد الجيش والشعب لكى تنجح الثورة ثم يعزلوه ، ولما ارادوا عزله داخل مجلس الثورة لم يستجب لرغبتهم ، ولما ارادوا الانفراد بالسلطة رفض أيضا ، وفى هذه اللحظات شعروا أن اختيارهم لم يحقق الهدف منه ، وكانت قصة الصراع بينه وبين مجلس الثورة او بينه وبين عبد الناصر أو كما يسميها محمد نجيب نفسه قصة الصراع بين الدكتاتورية والديمقراطية وهو بالطبع يمثل صوت الديمقراطية ومجلس الثورة يمثل الدكتاتورية ٠

- اختلفت الروايات حول اشتراك محمد نجيب فى الثورة وحول استقالته ٠

- الجماهير تطلب من عبد الناصر الرافة بمحمد نجيب ٠

- لم يفقد التعتيم الاعلامى المفروض على نجيب شعبيته ٠

- متى فقد عبد الناصر ثقته بضباط الثورة وقرر الاعتماد على المدنيين ؟

- ٦ -

لقد مر الصراع بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر المؤيد من مجلس الثورة بمراحل عديدة جاءت فيها مراحل كان بامكان جمال عبد الناصر أن يجهز على محمد نجيب ، ولكن عبد الناصر كعادته وطبقا لطريقته لم يكن يسمح بخروج أى من الذين شاركوه مسئولية قيام الثورة كبطل فى نظر الشعب فعل ذلك مع يوسف صديق وخالد محيى الدين ومن بعدهما صلاح سالم وفعله أيضا مع محمد نجيب ، فلم يسمح له بالابتعاد عن المشاركة فى الثورة الا بعد أن أخذ منه البريق واللمعان ، فاذا كان نجيب فى أوائل الثورة كان يمثل فى نظر الشعب البطل الذى طرد الملك وقاد الثورة والغى الألقاب وأصدر قانون الاصلاح الزراعى وحل الأحزاب وواجه مؤامرات الاخوان والوفديين والشيوعيين ، وكان الشعب يستقبله استقبال الفاتحين أينما حل أو ذهب بينما على النقيض كان يستقبل عبد الناصر بالتصفير وعدم الاستحسان ، فكان نجيب عندما يطل على جماهير الشعب المحتشدة في ميدان عابدين فى المناسبات المختلفة يستقبل بعاصفة مدوية من الهتاف الحاد بحياته وحياة مصر ، وعندما يطل عبد الناصر بعده يقابل بالاستياء الشديد ، فان عبد الناصر انتظر عليه الى أن تغيرت الصورة وأصبح عبد الناصر الزعيم الذى طرد الانجليز بعد احتلال دام أكثر من سبعين عاما ووقف ضد الأحلاف الاستعمارية وضد أمريكا وبريطانيا ، عندئذ فقط خطط لابعاد نجيب ٠

ومن المفارقات العجيبة أن تختلف الروايات حول اشـــتراك محمد نجيب فى الثورة وتختلف أيضا فى أسباب استقالته أو اقالته هل هى كانت بسبب الصراع على السلطة أم كانت بسبب الخلاف فى المبدأ ، وأيا كانت الروايات فمن استقراء الأحداث وظروفها وملابساتها فانه يمكن القول بأن اقصاء محمد نجيب عن السلطة كان بسبب طموح عبد الناصر فى الاستئثار بها ، فهو باعتراف نجيب نفسه واعتراف كل ضباط الثورة مؤسس التنظيم الطليعى السرى بين صفوف الجيش ، وانما منعه من قيادة الثورة من البداية الى النهاية صغر رتبته وسنه وضآلة شهرته على المستوى الشعبى أو انعدامها ، مما اضطره الى عرض فكرة الاستعانة برتبة كبيرة لقيادة الثورة والتنظيم الطليعى السرى وكان اختيار محمد نجيب بعد موافقة التنظيم الطليعى عليه ٠

ومنذ أن تولى محمد نجيب رئاسة مجلس الثورة وفيما بعد رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء معا فى عام ١٩٥٢ بقرار من مجلس الثورة بعد اعلان الجمهورية وسقوط الملكية وكانت هذه أول مناسبة لعبد الناصر ليتخلص من محمد نجيب ولكنه لم يكن مستعدا لها نفسيا وشعبيا ، وهو يضع كل السلطات فى يده ، واستمر هو وعبد الناصر الذى عين سكرتيرا عاما للجنـــة التنفيذية للضباط الأحرار يطرحون المسائل أمام اللجنة ويحاسبان أمامها ، واستمر الحال كذلك مدة ١٩ شهرا يرتفع الجميع فوق كل الخلافات الشخصية لمصلحة واحدة هى مصلحة مصر انفرد خلالها محمد نجيب بتوقيع اتفاقية السودان بهدف ترغيب الســـودان للانضمام الى مصـــر

والاستقلال عن بريطانيا ولكن الفشل كان حليفه واستقلت السودان عن مصر وانفردت بريطانيا بالتصرف فى شئونه ، كما انفرد عبد الناصر بتوقيع اتفاق جلاء الانجليز عن مصر فيما بعد الذى وصفه الدكتور محمود فوزى بأنه كان كمسمار جحا لبريطانيا فى مصر ، وانتهى الاتفاق بالفشل وكان من نتيجته العدوان الثلاثى على مصر الذى شاركت فيه مع اسرائيل انجلترا وفرنسا ، فلا الاتفاقية التى عقدها نجيب منفردا ولا الاتفاقية التى عقدها عبد الناصر منفردا قدر لها النجاح ولكن عبد الناصر استطاع أن يحول الاتفاق الذى وقعه الى مظاهرة شعبية وأصبح لا حديث لمصر الا عن عبد الناصر بطل الجلاء ، وفى احدى الحفلات الشعبية اعلن عبد الناصر كلمته المشهورة التى جاء فيها أن مرحلة من كفاحنا قد انتهت ومرحلة جديدة على وشك أن تبدأ هاتو أيديكم وخذوا أيدينا وتعالوا نبنى وطننا من جديد بالحب والتسامح ٠

لقد كان واضحا منذ الأيام الأولى للثورة أن هوة الخلاف بين الجانبين واسعة وأن نقطة الالتقاء بينهما صعبة المنال وكنا نلمح نحن مندوبى الصحف والاذاعة هذا الخلاف مما نشاهده من تغير معاملة أعضاء مجلس الثورة فجأة لنجيب ، فبعد أن كان مجلس الثورة لا ينعقد الا بحضور محمد نجيب أصبح يعقد بدونه فى معظم الأحوال ، وفى المرات القليلة التى كان يحضر فيها محمد نجيب لا يمضى اكثر من ربع ساعة ويغادر الاجتماع وكان عندما يسأل عما تم فى الاجتماع يردد فى كل مرة عبارة واحدة لا تتغير ، تحمل معان كثيرة ترسم صورة ما سيحدث فى المستقبل وكانت هذه العبارة

« ربنا يكفينا شر أنفسنا » يكررها مرة ومرة وينصرف ويستمر المجلس منعقدا اساعات طويلة كانت تمتد حتى صباح اليوم التالى ٠٠ وقتها فقط شعرنا ان أيام محمد نجيب معدودة وأن الصدام بينه وبين مجلس الثورة قريب الحدوث والانفجار ٠

(تعتيم اعلامى على نجيب)

لم نكد نشعر بالمستقبل المظلم الذى ينتظر محمد نجيب حتى رأينا ما كان يتردد همسا فى بداية الثورة حول نجيب أخذ يتردد بصـــوت عال وفى المحافل الرسمية والاجتماعات والمنتديات أنه لا دور له فى الثورة وانه عبء عليها منذ اختياره لقيادتها ، ولمحنا بعض المكاتب الحكومية قد رفعت صورة محمد نجيب وهو رئيس للجمهورية ورئيس لمجلس الثورة وأبقت على صورة عبد الناصر وحدها ، رغم انه لم يصبح بعد رئيسا للجمهورية ، بل وسمعنا من كبار المسئولين المدنيين والعسكريين أنهم يعملون من أجل عبد الناصر ولولاه لما بقوا فى مناصبهم لحظة ، وكنا نحن ـ مندوبى الصحف والاذاعة ـ نلمح صراعا بين حرس نجيب وحرس عبد الناصر اذا جمعهم مكان واحد من ذلك النوع من الصراع الذى يتسم بوفاء كل منهم للرجل الذى يقوم بحراسته ، ولكنه فى الوقت نفسه يوحى بماهية ما بين الرجلين من خلاف ، فحرس عبد الناصـــر يطالب بضرورة حكم البلاد حكما شموليا حتى تستمر الثورة وتســرع الخطى فى انجاز السجل الكبير من الإصلاحات الذى فى جعبتها ،

فى حين حرص حرس نجيب على توضيح أن ضباط القوات المسلحة مهما أوتوا من قدرة فانهم ليسوا مؤهلين للحكم المدنى وانما المهنة التى يجيدونها هى الدفاع عن البلاد والذود عن حياضها وعليهم أن يتركوا مهمة السـياسة للسياسيين المتمرسـين عليها المجيدين لأساليبها ، ومنهم فهمنا ابعاد الصراع بين نجيب وعبد الناصر ٠

وبينما كان الرسميون على هذا الحال كان الشارع المصرى له رأى آخر ، فقد كنا مع عبد الناصر فى الاسكندرية فى احـدى احتفالات الثورة التى كانت تقيمها فى جامعة الاسكندرية يوم ٢٦ يوليو من كل عام يوم طرد الملك وتكريما لجامعة الاسكندرية التى كانت اول من أيد الثورة من الجامعات المصـرية ، وقد تعود عبد الناصر حضور هذه الاحتفالات بمفرده وليس مع محمد نجيب وكان فى كل مرة يجلس ساعات طويلة وهو يستمع لخطاب رئيس الجامعة فى هذا الوقت الدكتور عبد العزيز السيد رغم أن نبرته فى الحديث كانت بطيئة لا تساعد على الاستماع اليه ، ولكنه فى خطابه كان يعالج كل القضايا من منظور علمى متطور أعجب به عبد الناصر ، وبعد أعوام عين الدكتور عبد العزيز وزيرا للتربية والتعليم ومن بعده عين عبد الناصر العديد من الوزراء المدنيين عن طريق الاستماع لكلماتهم فى المناسبات الرسمية ، حتى أطلق فى هذا الوقت شعار يقول ان عبد الناصر يعين الوزير بخطبة ، ولكن عبد الناصر حول الاعجاب الفردى بأساتذة الجامعة الى اعجاب جماعى حتى انه أشرك العديد من أساتذة الجامعة فى الوزارات

وأخرج منهم من أخرج ولكن ظل كل من الدكتور عزيز صـــدقى والدكتور مصطفى خليل رمزا لأساتذة الجامعة الذين استمروا مع عبد الناصر دون انقطاع ٠

ونحن لا نريد الاستطراد بعيدا عما قصدنا اليه وهو ماذا كان حال الشارع المصرى أثناء الصراع بين مجلس الثورة ومحمد نجيب ؟ هذه الصورة وضحت تماما خلال مناسبة حضور جمال عبد الناصر لاحتفالات جامعة الاسكندرية وكنا مرافقين لركبه وهو متوجه من قصـــر الصفا ـ الذى كان يقيم فيه عبد الناصـــر فى السنوات الأولى عندما يتواجد فى الاسكندرية ـ الى مقر جامعة الاسكندرية بالشاطبى ، فاذا بركبه يضطر الى الوقوف أمام الضغط الجماهيرى على كورنيش الاسكندرية حيث التفت الجماهير من حوله تهتف له وللثورة فى حين كانت هناك هتافات أخرى تدوى مؤيدة لمحمد نجيب ومعادية لعبد الناصر ، وفجأة توقف الهتاف لعبد الناصر واستمر الهتاف لنجيب وحده ، وهو أمر أزعج حرس عبد الناصر الذى استعد تحسبا لاحتمالات تطور الموقف ، ولكن الأمر انتهى بأن التفت حول عبد الناصر مجموعة كبيرة من هذه الجماهير وأمسك البعض منها بعبد الناصر برفق وطلبت منه عدم مساس محمد نجيب بسوء لأنه رجل طيب وعاقل ومتزن قائلين له « مالكش دعوه به ده راجل طيب » ٠

وفى وسط هذا الاستقبال العاصف شقت سيارة عبد الناصر طريقها الى الاحتفال ، ولكن عبد الناصر لم يترك هذا الحادث يمر

ببساطه ، فمنه أدرك مدى تأييد الشعب لنجيب ووضع فى اعتباره ضرورة القضاء على هذا التأييد قبل الاقدام على عزل نجيب ، وأدرك أيضا أن التنظيمات السياسية التى هيأ لها كل الامكانات لم تستطع التاثير على شعبية محمد نجيب بسبب عدم تاثيرها على الجماهير ، وادرك أيضا من مدلول هذا الحادث ومغزاه أن الكياسة والحكمة تتطلب التعجيل بالخلاص من محمد نجيب فى أقرب وقت ٠

وعدنا الى القاهرة فاذا الشائعات قد اشتدت أكثر من أى وقت مضى ضد محمد نجيب ، واذا بأجهزة الاعلام تتسابق فى التعتيم الاعلامى حول نجيب وتظهر أن عبد الناصر هو صاحب الفضـــل الأول فى كل ما اتخذته الثورة من قرارات وأن دور نجيب لم يتعد دور البصمجى ، ولكن هذه الحملة لم تؤت اكلها وفوجىء مروجوها بتعاطف الشعب مع نجيب أكثر ، ففى الوقت الذى كانت الأنباء تؤكد أن نجيب دخيل على الثورة كانت هناك أنباء أخرى تدفع عن نجيب هذا الاتهام وتروج لفكره الذى يهدف الى ضرورة عودة الجيش الى ثكناته وترك السياسة للسياسيين وتغليب أهل الخبرة على أهل الثقة ، وترددت عبارة « فلنعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ، واندفعت الجماهير مقتنعة بانه لو لم يكن نجيب مؤمنا بما يؤمن به رجال الثورة أو على الأقل يشاركهم نفس المشاعر ونفس الاتجاهات لما سعوا اليه ليتولى قيادة الثورة ٠

والواقع أن أجهزة الاعلام المصـــرية فعلت كل ما يمكن فعله لطمس اسم نجيب ، فكانت الصحف تفرد الصفحات والتحقيقات

والتعليقات عن عبد الناصر وعن المنجزات العملاقة التى كان له شرف القيام بها ، وكانت الاذاعة هى الأخـــرى لا حديث لها الا عن عبد الناصر ، وحتى الكتيبات التى صدرت لم تذكر اسم محمد نجيب بالمرة حتى كتاب يوميات الثورة الذى أصدرته الهيئة العامة للاستعلامات لم يذكر شيئا عنه ونسب كل شىء لعبد الناصر ، على الرغم أن الصفة الغالبة عليه هى التأريخ للثورة ، ورغم كل هذا فقد ظل نجيب رمز الديمقراطية التى يطالب بها الشعب ويتولى هو الكفاح ضد الديكتاتورية التى يريد ضباط الثورة فرضها على الشعب ، وكانت هذه أحرج الفترات التى واجهت الثورة داخليا ، فالشعب الذى فرح وهلل وأيد وتجمع حول الثورة غداة قيامها ، يتحول فى هذه اللحظة الى معارض لها ولم تسلخ من عمرها بعد عام ونصف العام ولكن عبد الناصر اســتطاع أن يحول الموقف لصالحة بين جماهير الشعب وفى أوساط القوات المسلحة التى كانت ما يزال بينها الآلاف التى تؤيد نجيب وتقف ضد عبد الناصــر واستطاع أن يقود السفينة ويدوس فى سيرها محمد نجيب كما داس من قبل غيره من ضباط الثورة رفاق عمره وكفاحه وشركائه فى التحضير للثورة والقيام بها ٠

(وضع عبد الناصر شعبيا)

لقد تحدثنا عن وضع محمد نجيب شعبيا ونضيف أن نجيب لم يكن محبوبا شعبيا فى مصر وحدها ، وانما أيضا كان له رصيد

شـعبى فى جنوب الوادى ـ السـودان ـ على أساس أنه أمة سودانية ، وربما كان هذا الرصيد من بين الأسباب التى جعلت عبد الناصر لا يقدم على عزل نجيب خوفا من تأثير هذا العزل على الوضع فى السودان فى وقت تحاول فيه مصر خطب ود السودان لحمايته من النفوذ والاحتلال الانجليزى وقد تحرر عبد الناصر من هذا القيد عندما فشلت مصر فى جذب السودان الى جانبها خلال فترة الانتقال التى حددت بثلاث سنوات لانجاز هذا الأمر ، كما امتدت شهرة نجيب الى خارج حدود مصر والسودان فماذا كان وضع عبد الناصر شعبيا ؟

حاول عبد الناصر أن يجذب اهتمام الجماهير اليه ، ولكنها استمرت متعلقة بمحمد نجيب كبطل خلصهم من ظلم الملك وجبروته ، وحاول عبد الناصر أن يشوه صورة هذا البطل ، ولكن الجماهير كانت تنسب لمحمد نجيب كل ما هو جميل من منجزات الثورة من ايجابيات وتحمل عبد الناصر كل سلبياتها ، فعبد الناصر هو الذى حاكم السياسيين القدامى امام محكمة الثورة برياسة بغدادى وفيما بعد حاكمتهم محكمة الغدر بتهمة ارتكاب مخالفات مالية واختلاس أموال الدولة التى هى أموال الشعب ، وهو الذى حاكم واعتقل جماعة الاخوان المسلمين واعدم منهم من أعدم ، وهى فئات لها رصيد بين جماهير الشعب خاصة الاخوان المسلمين الذين كان لهم أنصار ومؤيدون فى العالم الاسلامى والدول العربية ، حتى أن جمال سالم عندما زار أندونسيا عام ١٩٥٥ ـ وكنا مرافقين له ـ

كان السؤال الملح الذى واجهه فى أندونسيا وباكستان والهند هو لماذا ضربت الثورة الاخوان المسلمين ؟ بينما كان هناك سؤال آخر وهو لماذا تخاصت الثورة من محمد نجيب ؟ وسؤال ثالث أيضا ولكنه لم يكن ملحا كالسؤالين الأول والثانى وهو لماذا أغلقت الثورة جريدة المصرى ؟

باختصار لقد جاءت فترة على عبد الناصر لم يكن هناك بيت فى مصر الا وهو مجروح منه فاما كان لديه معتقل بتهمة الانتمـاء للاخوان المسلمين أو محددة اقامته أو مفروضة عليه الحراسة واما أنه يمت بصلة قرابة لسياسى حوكم ونكل به واما معتقل بتهمة الشيوعية والعمل ضد الثورة ، واما كان لهذا البيت من خرج فى التطهير ظلما واصبح يعانى الامرين للحصول على لقمة العيش ، فهل يمكن لهؤلاء أن يصفقوا لعبد الناصر أو يؤيدوه ؟ وناهيك عن المهازل التى بدرت من صغار الضباط الذين انتشروا فى سـائر المصالح والهيئات الحكومية يدوسون على القـانون ويرتكبـون الأخطاء اما عن جهل واما عن غرور بأنهم منسوبون لهؤلاء الذين خلصوا البلاد من الملك وفساده وطغيانه ، وليس أدل على ذلك من أن واحدا منهم أصدر أمرا بوقف اذاعة أغانى أم كلثوم ، ولما سئل عن اسباب اصداره هذا الأمر لم يكن أمامه من اجابة سوى قوله « ان أم كلثوم غنت للملك والذى غنى للملك لا يمكن أن يغنى للثورة ، ولو سرنا على رايه هذا لقلنا ان الذى عاش فى عهد الملك ينبغى ألا يعيش فى عهد الثورة ، وناهيك أيضا عن الفضائح

والسرقات التى تمت عند تصفية القصور الملكية وبيع تحفها فى المزاد ، وكيف أن هؤلاء الضباط قد أخفوا ما خف حمله وغلى ثمنه ، حتى أن مزادات بيع القصور لما بدأت لم يجد الذين قطعوا آلاف الأميال ما كانوا يتخيلون أن يروه وما قطعوا تلك الأميال من أجله ، والغريب أن الثورة قامت بتصفية القصور بهدف الغاء كل أثر للملكية فى مصر وحولتها الى مصالح حكومية ، ولكنها لم تلبث أن اضطرت الى هذه القصور كأماكن للاجتماعات واللقاءات المصرية ، فعادت واستردتها وانفقت عليها للصيانة أموالا طائلة ، وكان قرار تصفيتها قرارا متسرعا كغيره من القرارات الكثيرة كطمس كل اللافتات المكتوبة باللغة الأجنبية ولما ادرك مصدر هذا القرار أهمية كتابة هذه اللافتات باللغات الأجنبية الى جانب العربية للسياحة والزوار الأجانب عاد وصحح هذا القرار ، وناهيك ايضا عما نسب لمشروع مديرية التحرير من أن النفقات التى انفقت عليها كانت تكفى لاصلاح ½ صحراوات مصر ولكنها لم تصلح سوى آلاف الأفدنة التى بدأ بها المشروع وغيره من المشاريع التى تولى مسئوليتها كاملة ضباط وثق فيهم عبد الناصر ثقة كاملة ، ووصل اليه من أفعال هؤلاء الضباط ما لا يصدقه عقل وما لا يمكن أن يصل اليه خيال حتى قال عبد الناصر عبارته المشهورة « لم يعد امامى الا الاستغناء عن شعب مصر الحالى واستبداله بشعب آخر ، قالها الرجل عندما صدم فى كل من وثق فيهم من الضباط ، ومنذ هذه اللحظة بدأ يستعين بالخبراء من المدنيين دون أن يقدم سوء النية على حسنها كما كان الأمر فى أعقاب قيام الثورة .

واصبح عبد الناصر معبود الجماهير

تحمل عبد الناصر كل أوزار الثورة وأخطاء ضباطها وحده فى حين أن محمد نجيب قطف كل أمجاد الثورة وحده فى الفترة التى شارك فيها فى الحكم مشاركة فعلية والتى قلنا انها امتدت الى تسعة عشر شهرا زاد فيها رصيد نجيب بين صفوف القوات المسلحة وبين فئات الشعب المختلفة وانحصر رصيد عبد الناصر بين صفوف القوات المسلحة وبين فئات الشعب التى لم تكن تسمع عنه شيئا الى أن قام بالثورة ، وقد تحمل عبد الناصر الأمرين فى محاولاته اقصاء نجيب تلك المحاولات التى كادت تفشل ويسقط عبد الناصر وتسقط الثورة أو تبقى ليقودها نجيب الذى اختاره ضباطها ليكون واجهة لها الى أن يكبر ضباطها ويصلب عودهم ويقوى ، لولا ما أوتى به عبد الناصر من قـــدرة ومكر ودهاء واستطاع أن يحول هذه الصورة الى جانبه ويصبح هو البطل الذى أجلى الانجليز عن مصر وصمد ضد دول عظمى شاركت اسرائيل فى العدوان على مصر وأقام السد العالى ونشر بذور الاشتراكية بين ربوع الدول النامية وتعقب الاستعمار ليس فى مصر وحدها وانما فى سائر الدول العربية والافريقية ودول العالم الثالث ووقف ضد الأحلاف الأجنبية وأسقطها ونادى بالأحلاف الوطنية لتحل محل هذه الأحلاف المستعمرة ٠

على أن عبد الناصر لم يصل الى قلوب الشعب ويصبح زعيما

شعبيا تلتف من حَوله الجماهير وتهتف باسمه وتصدع بأمره الا بعد أن أقر اتفاقية الجلاء وجاء حادث المنشية ليقلب كل الموازين ويعطيه الحق فى أن يضع كل الأمور فى يده ويقصى محمد نجيب بل ويقصى كل من لم يصدع بأمره وينفذ رأيه ممن بقى معه من ضباط الثورة الأحرار الذين شاركوه فى التخطيط للثورة والقيام بها والقصة طويلة ولكن نتيجتها أن عبد الناصر وصل الى القمة فى تأييد الشعب له ليس فى مصر وحدها وانما فى سائر الشعوب العربية وغدا معبودا للجماهير كرمز للنضال والحرية والاشتراكية ، ولم يعد عبد الناصر يأبه لأى نقد يوجه اليه كما كان الحال من قبل وكأن لسان حاله يقول الكتاب معروف من عنوانه فهل هناك استفتاء أبلغ من هذا الاستفتاء الشعبى ؟

- الحادث الذى أنهى عزلة عبد الناصر شعبيا ٠

- فى عز أزمة الصراع مع نجيب لم يعترف عبد الناصر بسلطان الشعب ٠

- لم يكن عبد الناصر يعتقد أن اقالة نجيب ستقلب الشعب والجيش ضده ٠

- حسين الشافعى كان أول المؤيدين لاقالة نجيب وخالد محيى الدين الرافض الوحيد لها ٠

- طرد مندوبى الصحف والاذاعة حتى لا يعرفو تفاصيل اقالة نجيب الأولى ٠

- ٧ -

ولنتتبع كيف أصبح عبد الناصر زعيما شعبيا بعد أن كان فى نظر الشعب الرجل المعتدى على محمد نجيب الرجــل الطيب المسالم ، لنصل الى الفرصة الثانية الذى كان عبد الناصر يستطيع التخلص من محمد نجيب ولكنه لم يفعل مثلما تصرف عندما حانت له الفرصة ليضرب ضربته يوم سقوط الملكية واعلان مصر جمهورية خاصة وان محاولات التعتيم الاعلامى على محمد نجيب لم تؤت الأثر الذى كان يريده عبد الناصر بين صفوف الشعب ، حيث لم يقتنع الشعب بأن نجيب صورة وعبد الناصر الأصل ، نحن الآن فى أوائل عام ١٩٥٣ حيث شهدت بدايته حل الأحزاب السياسية ومصادرة اموالها لصالح الشعب ووقف الدستور والغاء البرلمان واعلان فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات لاقامة حكم ديمقراطى سليم ، وشهدت بداية هذا العام خروج عبد الناصر الى الجماهير والالتقاء بهم ، بعقد المؤتمرات الشعبية فى مختلف المدن المصرية التى كان يلهب فيها مشاعر الجماهير ضد الاستعمار ، ويكرر عبارته المشهورة على الاستعمار أن يحمل عصاة على كاهله ويرحل أو يقاتل حتى الموت دفاعا عن بقائه ، ويشهد تفاعل الشعب معه فى التصفيق الحاد الذى كان يقابل به عندما يهاجم الاستعمار أو يعلــن عن مشروع بدأت الثورة فى تنفيذه ، وكان يحرص فى كل مؤتمر شعبى أن يعلن عن أحد هذه المشروعات ، فهو الذى أعان أن الثـــورة

ستبنى مصنعا للذخيرة حتى لا نكون تحت رحمة الاستعمار وهو الذى وضع حجر أساسه فى فبراير من نفس العام . وبعد شهر وثلاثة أيام بالتحديد أى فى ١٥ ابريل أعلن بدء تنفيذ المشروع بمديرية التحرير ، وكان فى هذه المؤتمرات يعلن أن الثورة قامت من أجل الطبقات الكادحة من العمال والفلاحين ، وان قانون الاصلاح الزراعى وضع من أجل مستقبل أفضل للفلاحين المعدمين كرد يسكت معارضة البشوات والاقطاعيين لهذا القانون ، وفى الوقت نفسه يخطب ود الغالبية العظمى من الشعب المصرى . وان كان قد أخذ على الثورة فيما بعد اسرافها فى الوعود دون أن يحس الشعب بتغيير يشعره بفاعلية الثورة .

(الحادث الذى انهى عزلة عبد الناصر)

على أن حادثا وقع لم يكن فى الحسبان انهى عزلة عبد الناصر شعبيا أو قل فتح الطريق أمامه للدخول فى قلوب الجماهير ، ففى ٢٧ ابريل عام ١٩٥٣ اشترك فى المحادثات التى بدات بخصوص جلاء الانجليز عن مصر وكان قبل ذلك قد اشترك مع نجيب فى توقيع اتفاق خاص بالسودان مع انجلترا فى ١٢ فبراير من العام نفسه ، وكانت الدعاية له تقول أو هكذا اعتقد الشعب أن الثورة تطارد الانجليز فى مصر والسودان وتطارد الاستعمار كله فى جميع أرجاء الوطن العربى ، ولكن المحادثات مع الانجليز بخصوص جلائهم عن مصر لم تكد أن تبدأ حتى توقفت وقطعت بعد ثلاثة اسابيع عندما

رفض عبد الناصر مراوغة الانجليز ومحاولتهم استبدال الجلاء بحلف عسكرى تشارك فيه بريطانيا يطلق عليه حلف بغداد حيث كان الاستعمار البريطانى جاسما على نفس العــراق ، ولم يكتف عبد الناصر بالرفض بل شن حملة شرسة على هذه الاحلاف وطالب بحلف عربى خالص يتولى الدفاع عن الوطن العربى بدلا من تلك الأحلاف الأجنبية .

فى هذا الوقت لجأ الانجليز الى لعبة التهديد التى يجيدونها ولعبة اشعال المواقف ولهم فيهــا باع طويل ، وفى هذه الأثناء تواترت الأنباء عن اختفاء رجدن أحد ضباط الطيران الانجليزى وكان يعمل ضمن قوة الطيران البريطانى المتواجدة فى القناة ، وكان التهديد الانجليزى السافر ظنا منهم أن الفدائيين المصرين هم الذين قاموا باختطافه ، وعلى الفور وجه القائد البريطانى فى القناة انذارا للحكومة المصرية محددا بمهلة ، وهدد القائد الانجليزى بأن قولته سوف تتخذ اجراءات مشددة اذا لم يعد الضابط الانجليزى فى الموعد الذى حدده ، وتصدى عبد الناصر ومعه كل المصريين واعلن رفضه للانذار وردت بريطانيا على الرفض المصرى باجراءات استفزازية مثيرة لكل المشــاعر قامت بها قولتها المتمركزة فى القناة ، حيث قامت هذه القوات بتفتيش القادمين والمغادرين لمدينة الاسماعيلية وارتكاب افعال مهينة ضد المواطنين عند تفتيشهم ، وكانت المفاجأة أن ظهر الضابط المخطوف فى باريس ثم فى لندن وتبين أن اختفاءه كان لأسباب خلقية .

هذا الحادث أنهى عزلة عبد الناصر شعبيا ، فما زال الشعب المصرى يذكر حادث محاصرة الدبابات الانجليزية لقصر عابدين وتوجيه انذار مشابه للملك فاروق محدود بمده اذا لم ينفذ طلب الانجليز اقالة الوزراة وتعيين النحاس رئيسا للوزارة الجديدة ، وهددت الملك بخلعه من العرش اذا لم يستجب لطلباتهم ، وصدع الملك فاروق بالأمر ونفذ المطالب البريطانية ، أما عبد الناصر فقد وقف فى وجه الانجليز ورفض الانذار ، ورد عليه بالتصميم على التحدى والسير فى طريقه الى نهايته ، فاما أن يتحقق الاستقلال ويجلو الانجليز واما الاستشهاد فى سبيل مصر .

وازداد الموقف اشتعالا ، فمقاومة الانجليز فى القناة تشتد وتزداد ، ويسقط من الانجليز القتلى والجرحى أمام ضربات المقاومة التى لم تفد معها الامدادات البريطانية التى وصلت اوقفها ، وانما ازداد عدد القتلى والجرحى من الانجليز يوم بعد يوم ، وأصبح ليس أمام الانجليز الا مراجعة موقفهم أمام التحدى المصرى الذى أوجد التلاحم بين القوات المسلحة وقوات الشرطة والجماهير المصرية ، وعاشت مصر فى ثورة عارمة تطالب بالجلاء الفورى عن القناة ، وقارب عام ١٩٥٣ على الانتهاء وبدأ عام ١٩٥٤ والموقف كما هو تفوق للمقاومة المصرية على القوات الانجليزية رغم ما هى مسلحة به من مدافع ودبابات وغيرها التى لم تستطع أن تسكت الارادة المصرية أو تتغلب عليها ، وأصبح عبد الناصر رمزا للكفاح ضد الاستعمار ليس فى مصر فحسب وانما فى كل بلدان الشرق

الأوسط ، وبدا أن الأمور كلها دانت لعبد الناصر وأن نجيب لم يبق له سوى أيام معدودات ٠

(بالون اختبار يطلقه عبد الناصر)

أراد عبد الناصر أن يقوم بعملية جس نبض فى بداية عام ١٩٥٤ فى صراعه مع محمد نجيب بعد أن استحوذ على ثقة الشعب وطهر الجيش من كل الرتب الكبيرة التى كانت تؤيد محمد نجيب خاصة الرتب التى كنت مثله فى غضبها على الملك وأفعاله ولكنها كانت خائفة أن تقوم بحركة ضد الملك أن ينكشف أمرها من جواسيس الملك وعيونه المنتشرين بين القوات المسلحة الظاهرين بولائهم الواضح له والمختفين الذين يصعب معرفتهم ، هذا بالاضافة الى تطهير الجيش من تلك الرتب الكبيرة التى كانت تدين بالولاء للملك بأفعالهم وتنفيذهم لأوامره حتى ولو كانت هذه الأوامر ضد مشاعر الشعب وضد كرامة القوات المسلحة نفسها ، أراد عبد الناصر أن يقوم بعملية جس نبض لمعرفة عما اذا كان نجيب ما زال يتمتع بما كان يتمتع به بين صفوف الشعب والقوات المسلحة بعد هذا التطهير وبعد ظهور عبد الناصر للشعب وتصفيقه له فى كل مؤتمر شعبى حضره من تلك المؤتمرات التى عقدها فى جميع انحاء الجمهورية من أسوان الى الاسكندرية ، الا أنه كان على يقين تام انه سيتخلص من نجيب هذه المرة ولكن خاب فأله وطاش سهمه ، لأنه اقدم على عملية جس النبض فى وقت خفت فيه جماهيريا

إثار النزاع بينه وبين عبد الناصر وخفت فيه أيضا الحملة الاعلامية ضد نجيب ، ولكنه مهد للعملية بابعاد نجيب عن اجتماعات مجلس الثورة نهائيا ، فمر شهر يناير ومعظم شهر فبراير واجتماعات مجلس الثورة التى كان يعقدها فى يوم الأحد من كل أسبوع كانت تعقد برياسة عبد الناصر دون محمد نجيب ، وكان نجيب فى معظم الأحيان يرفض اعتماد قرارات مجلس الثورة ويهدد فى كل مرة بالاستقالة ، الى أن فوجىء الشعب ببيان من مجلس الثورة فى ٢٥ فبراير عام ١٩٥٤ يعلن قبول استقالة نجيب بعد مقدمة طويلة حاول فيها البيان تشويه صورة محمد نجيب ويؤكد أنه رجل دخيل على الثورة لم يعرف بها الا قبل شهرين من وقوعها وأنه طوال الفترة السابقة كان عبئا على المنجزين الحقيقيين للثورة والمتحملين مسئولياتها ، وانهم حاولوا خلال هذه الفترة أن يتحملوه ويتحملوا مطالبه السلطوية ، ولكن الاناء قد فاض بأفعاله هذه وأنهم لم يجدوا سبيلا سوى قبول استقالته.

(المفاجأة غير المتوقعة)

كنا فى مجلس الثورة بالجزيرة يوم الأحد ٢٤ فبراير عام ١٩٥٤ حيث كان يعقد احدى جلساته الأسبوعية بدون محمد نجيب واستمر الاجتماع منعقدا حتى حوالى الساعة الثالثة صباحا ، وكنا قد تعودنا نحن مندوبي الصحف والاذاعة على الحضور حتى ينعقد الاجتماع ثم ننصرف ، ونكتب النبأ الروتيني الذى كنا نكتبه كل يوم أحد من كل أسبوع « عقد مجلس الثورة اجتماعا فى السادسة

من مساء اليوم برياسة جمال عبد الناصر بمقر المجلس بالجزيرة ..
واستمر الاجتماع عن ساعة مبكرة من الصباح لبحث السياسة العامة للدولة » ، ولكننا فى هذا اليوم أبلغنا بالانتظار ، وفور هذا الابلاغ عرفنا أن هناك قرارا هاما سيصدر عن المجلس الليلة ، وأدرنا تفكيرنا واستعرضنا كل الاحتمالات علنا نعرف على الأقل الموضوع الذى سيصدر مجلس الثورة قراره بشأنه ، ولكننا لم نصل الى شىء أو كل الذى وصلنا اليه كان بعيدا كل البعد عن القرار الذى عرفناه فيما بعد ، وبينما نحن فى هذا التفكير المتصل وفى حوالى الساعة الثانية عشـرة والنصف من صباح يوم ٢٥ فبراير ، سمعنا أصوات أعضـاء مجلس الثورة ترتفع بالتهديد والوعيد .. ولكننا لم نتبين مضمونها ولا أشخاص مجلس الثورة التى صدرت عنهم ، وأخيرا فطن أعضاء مجلس الثورة الى وجودنا ، فصدرت الأوامر الينا بمغادرة مقر المجلس مـع التنبيه بأنهم سيطلبوننا مرة أخرى الليلة .. وسهرنا الليلة حول كوبرى قصر النيل نبحث الأمر ، وأجمعنا على أن نجيب سيقال الليلة ، لدرجة أن بعضنا اتصل بصحيفته وطلب من رئيس التحرير اعداد مانشيت اقالة محمد نجيب وتولى عبد الناصر السلطة كلها كرئيس للوزراء الى أن ينصب رئيسا للجمهورية .

ولم نقف مكتوفى الأيدى بعد ابعادنا عن ساحة الاجتماع ، بل كنا بين الحين والحين نوفد واحدا منا ليتسلل خلسة الى داخل المجلس ويوافينا بما تجمع معه من أنباء ، وكانت طلائع هذه الأنباء تقول أن المجلس كله أيد قبول استقالة محمد نجيب فيما عدا خالد

محيى الدين الذى أصر على الاستقالة الا انه نزولا على رغبة المجلس اجل التقدم بها الى أن تمر الأزمة ، كما عرفنا أن أول المؤيدين لاقالة محمد نجيب كان حسين الشافعى ونحن نعرف التناقض القائم بين خالد والشافعى فى فكرهما واتجاههما ، وفى حوالى الساعة الثانية صباحا ارسل مجلس الثورة من استدعانا للحضور وحضرنا على الفور لنجد صلاح سالم فى انتظارنا متجهم الوجه عابس ولكنه غير مضطرب وفى يده أوراق مكتوبة بخط اليد تم التغيير فيها اكثر من مرة وأملاها صلاح سالم بيان اقالة محمد نجيب الذى سبق أن لخصنا مضمونه .

وذهبنا لننام الساعات القليلة المتبقية من تلك الليلة الطويلة الحافلة بالحدث الكبير ولكننا صحونا على مظاهرات صاخبة تجوب شوارع القاهرة تهتف لنجيب وكان الشعب كله معه وضد عبد الناصر بل كانت هناك بعض الهتافات العدائية لعبد الناصر تطالب بتنحيته وسجنه ، وسمعنا أن فى القوات المسلحة اضطرابات بين أنصار عبد الناصر ومؤيدى نجيب ، والتقينا نحن مندوبى الصحف والاذاعة على الفور وقررنا الذهاب الى عبد الناصر فى منزله بمنشية البكرى عله يوضح لنا تلك الصورة المفاجئة ، حيث كانت كل التوقعات توحى بأن عبد الناصر تخلص هذه المرة من نجيب نهائيا .

وتركنا الشارع المصرى بهديره وغضبه وتوجهنا الى منزل عبد الناصر ، فوجدنا كل شىء هادىء وكأن شيئا لم يحدث ،

حرسه غير مبالين لما يحدث فى الشارع وكأنهم على علم بنهاية هذا الفصل من الأحداث وأن رجلهم أقــوى من أن تهزه هــذه المظاهرات ، وأذن لنا بمقابلة عبد الناصر واستقبلنا فى الصالون الذى كان بسيطا للغاية ، وكان يرتدى الروب بادى الهدوء تماما وجلس بيننا وأمر لنا بالشاى ، وطرحنا عليه القضية بأمانة ، وقلنا له أن الشعب يملأ الشوارع يطالب بنجيب ، ولكنه فاجأنا برده « خلى نجيب ينفعهم » مع ضحكة عالية مدوية وأعصـــاب فولاذية ، وفهمنا من رده أنه معد لكل احتمال عدته وأنه يقبض على البلاد بيد من حديد ، وأنه لا رجعة عن خلع نجيب وأن الكرة أصبحت فى يده وحده ٠

وبعد أن أمضينا معه حــوالى نصــف ساعة واستأذنا فى الانصراف كانت المفاجاة الثانية ، فقد وجه اليه مندوب جــريدة المصرى الدعوة لزيارة الجريدة ولكنه ـ أى عبد الناصر ـ رد بسرعة مذهلة « لما نستولى عليه » ومع الرد ضحكة عالية مدوية كتلك التى سمعناها منه ونحن نصــف له الحادث فى الشـــارع المصرى ، وخرجنا ونحن فى حيرة هل فعلا عبد الناصر ممسك بزمام الأمور ، وهل فعلا ستستولى الثورة على جريدة المصرى أم أنه يمزح ؟

(وتتابعت الأحداث)

وتتابعت الأحداث بما يشبه الأفلام البوليسية ، حيث تكون كل توقعاتك حسب ما تشاهده فى هذه الأفلام أن ينتهى الفيلم الى

نهاية حتمية ليس لها بديل ، فاذا بك تفاجأ أن النهاية غير ما توقعت أو تخيلت ، فنحن كنا على يقين بأن نجيب قد انتهى وأن عبد الناصر كان يمزح عندما حدث زيارته لجريدة المصرى بعد استيلائه عليها ، فاذا بنا نفاجأ بأن نجيب لم يخلع ، وأن الثورة استولت على جريدة المصرى بالفعل ولنتتبع الأحداث لحظة بلحظة .

كانت الثورة قد اختارت اثنين من المستشارين القانونيين المشهود لهما بالكفاءة فى المعالجة القانونية ولكن لما جاءت معالجتهما للمسائل القانونية على غير هوى الثورة ، تخلصت من الأول وهو سليمان حافظ ولم تستطع التخلص من الثانى وهو الدكتور السنهورى الا بعد أن أعدت مظاهرة حاصرت مجلس الدولة فى الجيزة حيث مكتب الدكتور السنهورى واعتدت عليه ، وكانت هذه نقطة سوداء فى تاريخ الثورة حفزت رجال القانون والمحامين على الوقوف ضدها انتقاما للسنهورى وكانت مذبحة القضاء التى شوهت صورة الثورة مع العديد من التصرفات الأخرى التى أثبتت أن الضباط مهما تظاهروا بقبولهم للرأى الآخر وحكم القانون الا أنهم فى قراراتهم أنفسهم لا يمكن أن يخالفوا ما تعودوا اليه من اصدار الأوامر وضرورة تنفيذها واحكام الضبط والربط الذى عاشوه بين أروقة القوات المسلحة ، وربما كان ذلك هو السبب الرئيسى الذى عطل تنفيذ البند السادس من أهداف الثورة وهو اقامة حياة ديمقراطية سليمة ، فلم يستطع عبد الناصر أن يقيم الحياة الديمقراطية السليمة وانما استقر الحكم الشمولى وحكم الفرد ، وأقصى كل من خالفه فى الرأى ، بل وأطاح بكل

المعارك التى واجهها بأسلوب الرجل المتفرد الذى لا يدانيه فى رأيه او فكره أحد ، فوضع تخطيطه على أساس الغاء مجلس الثورة حتى لا يشاركه أحد فى الرأى وحتى لما استبدل مجلس الثورة باللجنة التنفيذية العليا لم يكن يستمع أو ينصت لرأى الأغلبية وانما ينفذ ما يراه هو .

أما أثر ما حدث يوم ٢٥ فبراير عام ١٩٥٤ والأيام التالية على المستوى الشعبى وعلى المستوى العسكرى وكيف أن عبد الناصر حول الدفة الى صالحه فى مدى أيام يوضح أن عبد الناصر كان يخطط ويدبر وينفذ دون أن يطلع أخص أخصائه على ما ينوى القيام به ، وهو ما حمل الكتاب والمحللين على اجراء مقارنة بين عبد الناصر وهو يأتمر بأمر الأغلبية فى مجلس الثورة وعبد الناصر وهو منفرد بالسلطة ، وخلصوا الى أن ايجابيات الثورة الحقيقية لم تحدث الا فى فترات القيادة الجماعية وأن سلبيات الثورة لم تحدث الا فى فترات انفراد عبد الناصر بالسلطة .

- حيد عبد الناصر الاخوان المسلمين ليقضى على تاييد الشعب لنجيب ٠

- متى فكر عبد الناصر فى تاميم الصحافة وتمصير جـريدة الأهـرام ٠

- كاد نجيب أن يسـتولى على الثورة لولا خداع عبد الناصـر ومناوراته ٠

- تحرك التنظيم السياسى ونظم اضراب عمال هيئة النقل العام ٠

- رشح عبد الناصر خـالد محيى الدين للوزارة وهو يعلم انه مرفوض شعبيا وعسكريا ٠

- مجلس الثورة يوافق على اقالة نجيب ويوافق على عودته خلال أربع وعشرين ساعة ٠

- ٨ -

كان قرار اقالة محمد نجيب فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٤ أول قرار من مجلس الثورة يواجه معارضة شديدة من القوات المسلحة ومن سائر أفراد الشعب على السواء ، ولم يكن أعضاء مجلس الثورة الذين وافقوا على اصداره يتخيلون ابعاد الآثار التى ترتبت عليه ، واو تخيلوا هذه الآثار للحظة واحدة لما وافقوا عليه ، وانما كان عليهم مواجهة نتائج هذه الآثار التى كادت أن تقطع مسيرة الثورة وتنهيها ، وتخرج الذين خططوا لها وتحملوا مسـئولية قيامها ووضعوا أرواحهم فداء لها ، تخرجهم من المســرح السياسى بل ويعقب ذلك محاكمتهم بتهمة القيام بانقلاب مسلح داخل القــوات المسلحة ، ويجنى ثمار الثورة أو الانفلات من ولوه القيادة لفترة الى أن ينمو عودهم ويقوى ويعزلوه ، ولذلك تجمع اعضاء مجلس الثورة حول جمال عبدالناصر كما لم يتجمعوا حوله من قبل ، وسلموه القيادة وصدعوا بامره دون نقاش أو حوار ، حتى لا تتطور الأمور الى ما كان يرعبهم ويخيفهم فى كل لحظة تمر عليهم قبــل نجاح الثورة ، وهو أن يتولى أمرها أحد الدخلاء وتدور الدائرة عليهم ٠

وتحولت اللحظات الحاسمة فى تاريخ الثورة المصرية الى أيام بدلا من اللحظات منذ ذلك التاريخ حتى وفاة عبد الناصر فى سبتمبر عام ١٩٧٠ ، فاذا كان يوم ٢٣ يوليو أطول يوم فى التاريخ فان يوم ٢٦ ، ٢٧ فبراير عام ١٩٥٤ مثلت فى تاريخ الثورة دورا

بأكمله لأنها مثلت بالنسبة لها نقطة تحول ، لاحت فيها بشير نصر محمد نجيب بمفرده عليهم جميعا ، وهم الذين وقفوا فى كفة مع عبد الناصر ووقف هو وحده فى كفة ، وكما أن ضباط الثورة كانوا مذهولين لتأييد الشعب والجيش لنجيب ، كان نجيب هو نفسه مذهولا من هذا التأييد الذى لم يكن يتخيل أنه من الممكن أن يصل الى حد أن يتحرك الشارع المصرى كله يهتف بحياته ويطالب بسجن عبد الناصر وأن يقف الجيش فى القاهرة والاسكندرية بكل أسلحته البرية والبحرية والجوية يؤازره ويؤيده ، وهو جيش عبد الناصر الذى يتحكم فيه دون علمه منذ قيام الثورة الى هذا اليوم ، يعين قادته ويرقى ضباطه ويغدق على الكثيرين منهم بالمناصب المدنية الفضفاضة المفعمة بالحرية والمال والسلطة ، فما هو تعليل هذه الظاهرة الخطيرة ؟ لا تعليل لها الا أن الجيش المتابع لخطوات ضباط ثورته ، لم يكن راضيا عن هذه الخطوات التى شابها تصرفات شاذة ، استخدمها أعداء الثورة فى الحط من قدر الجيش وفى تهييج الشعب عليهم ٠

فلم تكد اقالة محمد نجيب تذاع وتنشر حتى هاج الشارع المصرى وهاجت القوات المسلحة وكان أول هياج للقوات المسلحة هو اضراب سلاح الفرسان أكثر أسلحة الجيش تأييدا لمحمد نجيب وطلب حضور جمال عبد الناصر ، وحضر اليهم بالفعل وكله أمل أنه سينجح فى اقناعهم وانهاء اضرابهم على الفور ولكنهم أفحموه بالحجة والبرهان ، وفشل فى الرد عليهم حول مصير الديمقراطية

والحرية والدستور والاستفتاء الشعبى حولها وحول منصب رئيس الجمهورية الذى يطالب به نجيب ، وفشل فى الدفاع عن المخازى والمهازل التى ارتكبها الضباط الذين اختارهم لتولى مناصب مدنية واعفائهم من المناصب العسكرية ، وغادر عبد الناصر مقر السلاح مخذولا مهزوما ، فالاضراب ما زال مستمرا والاعتصام ما زال باقيا لحين تلبية مطالبهم .

ورأينا عبد الناصر وهو يغادر سلاح الفرسان رأى العين ، فلم يكن باديا عليه أى نوع من الضيق أو الاستياء ، فقد كان من الصنف القادر على كظم غيظه لحين أن تتاح له فرصة الانقضاض وكان من هذا الصنف التى لا يمكن أن تهزه الأحداث مهما كانت خطيرة ومريرة ومؤثرة عليه هو شخصيا ، ولكنه خرج وهو يدبر أمرا لمواجهة اعتصام سلاح الفرسان بسبب اقالة نجيب ، وتابعناه ، فاذا به يطلب عقد مجلس الثورة على الفور لكى لا يواجه الأزمة وحده ، وتجرى المقارنة بينه وبين نجيب بعد أن شهد بنفسه نتيجة هذه المقارنة من التأييد الجارف لمطالب نجيب فى دائرة الجيش ودائرة الشعب ، فما زالت هتافات الشعب تصم أذنه وتأتى له الأنباء بازديادها واشتعالها وفشـــل قوات الأمن فى تفريقها ، وما زالت أنباء الجيش تقلقه فما حـــدث فى القاهرة حدث فى الاسكندرية فى سائر الأسلحة .

وتفتق ذهن عبد الناصر الى أمر خطير لابد أن ينجـــح فى انتزاع موافقة مجلس الثورة عليه وكان هـــذا الأمر صعبا لأنه

مناقضا لما وافقوا عليه من أربع وعشرين ساعة مضت ، فقد طلب من مجلس الثورة الموافقة على اعادة محمد نجيب الى موقعه ، وتعيين خالد محيى الدين المتحمس له رئيسا للوزارة ، واعادة الحياة النيابية على الفور ، واذاعة هـذه القرارات على الفور وابلاغها الى سلاح الفرسان ٠

واستدعى خالد محيى الدين بالفعل لتشكيل الوزارة ، وذهب الى نجيب ليبلغه بالأمر ، ولما سئل عبد الناصر عن أسباب هـذا التغيير الانقلابى المفـاجىء ، أجاب بما يوحى بأن نار خـالد محيى الدين أهون من جنة نجيب اذ قال بالحرف الواحد انه يثق فى خالد ولا يثق فى نجيب ٠

ولابد أن نقرر أن عبد الناصر حينما تفتق ذهنه عن هذه الحيلة كان مقتنعا أنها لن تنجح ، فلا الشعب ولا الجيش يمكن أن يقبل خالد محيى الدين رئيسا للوزارة ، ولا الشعب ولا الجيش يمكن أن يقبل تـ نحية مجلس الثورة ، وترك الساحة لمحمد نجيب ، ولكن من الممكن أن يقبل الشعب والجيش عودة نجيب وعودة مجلس الثورة ٠

وقد حدث ما توقعه عبد الناصر وتوقعه أعضاء مجلس الثورة الذين وافقوه على قراراته ، لم تكد تذاع هذه القرارات حتى هدأت ثورة الشعب مع الامتعاض فقط من تعيين خالد محيى الدين ، وظنت ساحة الجيش الأخرى أن سلاح الفرسان قام بانقلاب داخلى بهدف ارغام عبد الناصر وزملائه على الاستقالة ، وأن المسألة ليسـت

متعلقة بنجيب وحده وانما متعلقة بمستقبل الثورة كلها ، وما كان من سلاح المدفعية الا أن قام بمحاصرة سلاح الفرسان ، وقام سلاح الطيران بالتحليق فى الجو اعلانا بانه ضد سلاح الفرسان وليس معه ، وكاد ان يحدث الصدام بين سلاح الفرسان وسلاح المدفعية ولكن تحليق الطيران فوقه اكد له أنه خاسر المعركة حتما . وسارع عبد الناصر واجرى حركة اعتقالات واسعة للضباط الذين أيدوا نجيب لا فى سلاح الفرسان وحده وانما فى كل أسلحة الجيش . وخلت الساحة لأنصار عبد الناصر واختفى اسم نجيب ، وتحول الرفض الى تأييد فى خـــلال اربع وعشرين ساعة بفضـــل تكتيك عبد الناصر المحـــكم ، واستطاع بفضله أن يطهر الجيش التطهير الأخير من أنصار نجيب ، واستطاع أن يهدىء من ثورة الشـــعب بحركة أخرى ففى هذه الأثناء أصدر اوامره الى جهات الأمن بالافراج عن المعتقلين من الاخوان المسلمين بما فيهم قياداتهم ـ حســـن الهضيبى وعبد القـــادر عودة وقطب وصالح ابو رفيق وغيرهم والأكثر من ذلك أنه سمح لهم باعادة نشاطهم السابق دون حدود ، واعاد لها اموالها وممتلكاتها ومقار شعبها فى كل انحاء الجمهورية التى كانت صودرت بعد قرار حل الأحزاب .

(ازمة الصحف والصحافة)

كان عبد الناصر يرقب مواقف الصحف والصحفيين والكتاب أثناء الأزمة ، يقرأ كل كلمة أو مقالة أو تعليـــق عنها ، ويحتفظ

لنفسه برأيه فيها دون أن يفصح به لأحد ، وكان من الطبيعى أن تقف جريدة المصرى الى جانب نجيب حيث أنها تنطق بلسان الوفد والوفديين ، وهى بذلك أسـهمت اسهاما كبيرا فى التأثير على الرأى العام ، أما أخبـار اليوم وهى التى قبض على صاحبيها مصطفى وعلى أمين لمدة ساعات فى الساعات الأولى للثورة وهى التى كان مصطفى أمين فى هذا الوقت على علاقة طيبة فكانت منحازة لعبد الناصر لا لنجيب ، مثلها مثل جريدة الجمهورية التى أسستها الثورة وحرص عبد الناصر على أن يوكل رئاسة تحريرها الى من يثق فى ولائه له ، أما جريدة الأهرام فكانت محايدة تسرد الأحداث فقط دون تعليق ، واذا علقت فتعليقها مائع لا هو مع نجيب ولا هو مع عبد الناصر وانما يشتم منه رائحة تأييدها للديمقراطية والحرية وسيادة القانون والدستور ٠

وكما هو واضح كان الانقسام قائما بين هذه الصحف ، وكان تأثيرها على الرأى العام ظاهرا فى تدافع أمواج البشر تطالب بالحرية والديمقراطية وتشجب الدكتاتورية ، وأن هذا التأثير امتد الى صفوف القوات المسلحة التى كان عبد الناصر يعتبرها بمثابة بيته وحصنه ، فى هذه اللحظة فكر عبد الناصر فى تجنيـد كل الصحف لخدمته وشد أزره خصوصا فى أوقات الأزمة الطاحنة كتلك الأزمة التى كادت أن تفلت الأمور من يده ، فوضع نصب عينيه ضرورة التخطيط على وضـع نظام للصحف والصحفيين الذى وقفت نقابتهم ضده ، فكان التفكير فى تأميم الصحافة وتمصـير الأهرام من الشوام شأنه شأن تمصير الشركات والبنوك ٠

على أية حال هدأ الشعب وهدأت القوات المسلحة بعد ٤٨ ساعة من بداية الأزمة ، ولكنه كان هدوءا مشوبا بالحذر والترقب لتطورات الموقف ، وشاء عبد الناصر أن ينهى هذا الحذر وذلك الترقب عندما طلب من صلاح سالم أن يعلن فى مساء يوم ٢٧ فبراير بيانا قصيرا جدا بدأ بعبارة حفاظا على وحدة الأمة تقـرر عودة محمد نجيب والابقاء على مجلس الثورة واستبعاد فكرة تشـكيل خالد محيى الدين للوزارة ، وعادت الأمور الى نصابها ومرت الأزمة ولكن لابد لها من بقية فما زال محمـد نجيب رئيسا للجمهورية والتغيير الذى حدث أن أصبح عبد الناصر رئيسا للوزراء ، وأصبح عبد الناصر يمضى فى مكتبه فى مجلس الثورة ثلاثة أيام وفى مكتبه فى رئاسة الوزارة بلاظوغلى ثلاثة أيام ، وكان لمجلس الثورة مندوبون عن الصحف والاذاعة ولمجلس الوزراء مندوبون آخرون كانوا يتقاضون ٢٥ جنيها شهريا كبدل تمثيل ، وعبد الناصر باشارة منه ترتب عليها صرف مندوبى مجلس الوزراء والابقاء على مندوبيه فى مجلس الثورة مندوبين أيضا فى مجلس الوزراء ، وجاء أمر الخمس والعشرين جنيها التى كانت تصرف لمندوبى الصحف والاذاعة فى مجلس الوزراء ، وبلغه أن احد مندوبينه من مجلس الثورة وكان مندوب الاذاعة قد رفض تقاضى مبلـغ الخمس والعشرين جنيها وكان رفضه سببا فى حرمان جميـع مندوبى الصحف من الحصول على المبلغ ، ونال مندوب الاذاعة من زملائه توبيخا ولوما بسبب تصرفه لم يوقفه الا ثناء عبد الناصر على موقفه ٠

وعند أول مجلس للوزراء برياسة جمال عبد الناصر بمقره فى لاظوغلى ، وبينما المجلس منعقدا فوجىء الجميع بصفارات تدوى من بعد ، وخرجنا لنتبين الموقف فاذا بنا نفجأ بركب محمد نجيب متوجها الى مقر مجلس الوزراء ، وتحيرنا فى تفسير الموقف ، ولكن قطع حيرتنا أن نجيب لم يمض سوى دقائق صعد خلالها السلم الى قاعة الاجتماعات حيث يتصدرها عبد الناصر ، وربت على كتفه قائلا « مبسوط بقيت رئيس وزراء » وانصرف على الفور .

لما سمعنا هذه القصة وتأكدنا من صحتها أيقنا أن الجولة بين عبد لناصر ونجيب لم تنته بعد ، وأن لها بقية ، أما كيف ستكون ومتى وأين فلم يكن يعرفها سوى عبد الناصر ويستعد لها نجيب ، وكان الجميع موقنا أن عبد الناصر منتصر فيها لا محالة بعد أن صفى كل الجيوب العسكرية التى وقفت ضده فى القاهرة والاسكندرية وضمن تأييد الشعب بافراجه عن الاخوان المسلمين مستميلا اياهم وهم كانوا أكثر العناصر الشعبية تأييدا لنجيب ، ولكننا لم نكن نتخيل تفاصيل الجولة الأخيرة كما حدثت ، ففى يوم ٢٥ مارس عام ١٩٥٤ ، انعقد مجلس الثورة برئاسة نجيب وفاجأ عبد الناصر المجلس بطلب رأيه فى اقتراح بحل مجلس الثورة والسماح بقيام الأحزاب واجراء انتخابات حرة مباشرة خلال ثلاثة أو أربع شهور لجمعية تأسيسية تكون لها سلطة البرلمان تنتخب رئيس الجمهورية ، وكأنه يريد تنفيذ مطالب نجيب ولكن بطريقته هو لا بطريقة نجيب ، وكما سمعنا فان الدهشة تملكت نجيب بل قل تملكته الحيرة فى

تفسير أهداف تخطيط عبد الناصر ، فقبل عشرين يوما وبالتحديد فى ٥ مارس حصل من مجلس الثــورة على قــرار يعتبر قمة الديمقراطية بالغاء الرقابة على الصحف والغاء الأحكام العرفية ، واعداد البلاد لانتخابات تجرى بعد ثلاثة شهور وها هو يطلب من مجلس الثورة الموافقة على اقتراح يكذل هذه القرارات ، فهل هو فخ جديد ينصبه عبد الناصر للتخلص نهائيا من نجيب أم هو ايمان بعدالة مطالب نجيب واستجابة لرغبةالشعب ؟ واذا كان ما يقدم عليه عبد الناصر عن ايمان واستجابة للشعب فهل هو واثق بأن الشعب سيختاره ويخذل نجيب !

ونجح عبد الناصر فى الحصول على موافقة مجلس الثورة بعد مناقشات طويلة وحادة وعنيفة تناولت ما ترتب على الغاء الرقابة على الصحف ، وما كتب من مقالات تطالب بعودة الحياة النيابية والدستورية وعودة الجيش الى ثكناته وترك الأمر للسياسيين الأكثر خبرة ومعرفة ، ولم يكن يعرف هؤلاء ما يبيته عبد الناصر من أنه صنع هذا الفخ ليتبين من الصحفيين والكتاب من معه ومن ضده ويعرف أبعاد مطالبهم هذه ، وأنه صنع هذا الفخ ليكشفهم أمام الشعب بأنهم طلاب مناصب فقط وأن مطالب الشعب واحتياجاته آخر ما يفكرون فيها .

ولما أذيعت قرارات مجلس الثورة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ كان صداها مخالفا لصدى قرارات ٢٥ فبراير فبينما وقف الشعب

والجيش معا ضد قرارات فبراير ، وكان هناك انقسام بين صفوف الجيش ازاءها نجد أن الجيش وقف كله تقريبا مع عبد الناصر مطالبا ببقائه وعدم عودة الأحزاب والحريات ، وأما الشعب فلم يكن له صوت مميز ازاء قرارات مارس ، فقد حيد عبد الناصر الاخوان المسلمين فلزموا بيوتهم والوفد لم يستطع التحرك بسبب تحديد اقامة زعمائه ·

كان تطور الأحداث غريبا فالشعب الذى تحرك مع نجيب مطالبا بالحريات فى ٢٥ فبراير لم يتحرك فى ٢٥ مارس ، والجيش الذى أيد معظمه نجيب واطلاق الحريات واجراء الانتخابات والاستفتاء على رئيس الجمهورية فى ٢٥ فبراير وقف فى ٢٥ مارس مع عبد الناصر مطالبا بعدم عودة الأحزاب ، وتحليل هذا التطور صعب وتحديد المؤثرات فى اتجاهات الشعب والجيش صعب أيضا ، ولكن هناك حقيقة لا يمكن انكارها وهى أن الأحداث لا يمكن أن تتطور هذا التطور المتناقض بدون أسباب ظاهرية ما لم تكن هناك أسباب خفية حولت الأمور هذا التحول الغريب ، فلا يمكن للشعب أن يرفض الحريات والديمقراطية وعودة الدستور وكذلك الجيش فما الذى حملهما على الرفض فى حين أنهم قبل شهر كانوا موافقين ، لم يحاول أى من الذين كتبوا مذكراتهم وكانوا على مقربة من هذه الأحداث أو منغمسين فيها تحليل هذا الوضع الشاذ وتجميع أسبابه ودوافعه ، ولذلك ستظل هذه الحقبة لغزا من ألغاز الثورة الذى لم يحل بعد ، ولكننا قياسا على ما حدث فيما بعد يمكننا أن نؤكد أنه

كان لعبد الناصر خلال هذه الفترة جنـــود وضباط مندسين بين صفوف الجيش غير معروفين يأتمرون بأمره وينفذون طلباته ويلتقون به خفية كما حدث فيما بعد يوم كان يجتمع مع عدد من الضباط فى منزله ليس من بينهم قادة الجيش المعينين وأصبحوا فيما بعد هم قادة الجيش فى حركات التطهير المتتالية التى تعرض لها الجيش ، وتدليلا على قولنا هذا وصدقه فهناك ضـــباط لم يكونوا من بين الضباط الأحرار وتقدموا على هؤلاء الضباط وتولوا مناصب أسمى وأهم من المناصب التى تولاها معظم الضباط الأحرار ، وبرزوا فى مسيرة الثورة ولم يكن لهم دور يذكر عندما قامت الثورة ، وأيضا فيما يختص بصلات عبد الناصر بجماهير الشعب كان له لقاءات مع عناصر تتملكنا الدهشة عنـــدما نراها وهى موضع رعايته وتقديره ، وزالت دهشتنا فيما بعد عندما رأينا هذه العناصر كانت هى أول تنظيم سياسى قام فى الثورة وهو هيئة التحرير ومن قبلها منظمات الشباب ومن بعدها الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى.

وقد ظهرت فى الأزمة قوة جديدة أفرزها تنظيم هيئة التحرير وكان لها أشهر دور مؤثر وفعال فى انهاء الأزمة لصالح عبد الناصر هى عمال هيئة النقل العام التى يراسها الصاوى محمد الصاوى نقابيا وكان عضوا بارزا فى هيئـــة التحرير كما كان كل عماله أعضـــاء بارزين فيها بل هم مؤسسوها وعلى اكتفاهم قامـــت ، واستطاعت أن تحسم المعركة عندما قررت الاضراب عن الطعام والعمـــل معا الى ان تجاب مطالبهم ولم تكن مطالب نقابية وانما مطالب سياسية وهى عدم السماح بقيام الأحزاب واستمرار مجلس الثورة فى مباشرة سلطاته .

- ضابط امريكى خطط حادث المنشية لتحويل الكره لعبد الناصر الى استقبال الأبطال ·
- بغدادى يؤكد أن عبد الناصر هو الذى وضع المتفجرات فى دور السينما والمسارح فى الخمسينات ·
- اعفى نجيب من كل مناصبه على أثر اتهامه بالاتصال بالاخوان المسلمين ·
- صفى عبد الناصـــر كل الجيوب العسكرية والمدنية التى ايدت نجيب ·
- هل رتب عبد الناصر اضراب عمال هيئة النقل العام ؟
- لم يتخـــل نجيب عن ارادته الفـــولاذية الصلبة امام محاولات عبد الناصر ومجلس الثورة ؟
- اســـتغل عبد اناصر اتفاق الجلاء ليحول دون التاييد الشعبى لنجيب ·
- الغاز حائرة فى تاريخ الثورة لم تجد حلا بعد ··

- ٩ -

بظهور عمال هيئة النقل العام بهذه القوة على مسرح الأحداث أيقنا أن عبد الناصر كان يرتب ويخطط ، فلماذا عمال هيئـة النقل العام وحدهم من بين سائر طوائف الشعب الذين اتخذوا هـذا الموقف ؟ بالقطع كان عبد الناصر المحرض لهم ، وسواء حرضهم عبد الناصـر أو لم يحرضهم وانما قاموا باضرابهم بوحى من أنفسهم ، فان تأييد هيئة من هيئات الشعب لعبد الناصر يمثل تطورا هائلا فى علاقته مع الشعب بالقطع سيتبعه تأييد من العـديد من طوائف الشعب ، وهذا ما حصل بالفعل فقد انهالت البرقيات على مجلس قيادة الثورة بالآلاف والمئات من الهيئات والمصالح والوزارات والمواطنين تؤيد عمال هيئة النقل العام فى مطالبهم وهم الذين أوقفوا تماما كل وسائل المواصلات فى جميع أنحاء المدن والقرى والنجوع المصرية من سيارات وترام وقطارات فى مساء يوم ٢٨ مارس فى أول اضراب من نوعه فى تاريخ مصر ، واستمر الاضراب حتى صباح ٣٠ مارس ، ولم يعـد عمال هيئـة النقل العـام لممارسة عملهم الا بعد أن أعلن مجلس الثورة استجابة لمطالبهم ، وقرر الغاء قرارات ٢٥ مارس والغاء قرارات ٥ مارس التى صـدرت قبلها والخاصة بالانتخابات والأحزاب والحريات ، وهو الاضراب الذى كان لا تعليق عليه من المراقبين سـوى أنه الاضراب الذى غير مجرى تاريخ الثورة ومصر .

(عبد الناصر يستعيد قوته)

فى وسط هذه الموجة العارمة تغيرت صورة المجتمع المصرى ، فلم نعد نسمع سوى الأصوات المؤيدة لعبد الناصر ومجلس الثورة والمهاجمة لنجيب والأحـــزاب السياسية والسياسيين القـــدامى ، واختفت تماما الشائعات التى كانت تملأ الشـــارع المصـــــزى والانتقادات التى كانت توجه للثورة وأفعالها فيما يشبه الثورة المضـــادة التى كان يزداد تأثيرها يوما بعد يـــوم ، وكان أمام عبد الناصر والوضع هكذا أن يتخلص من محمد نجيب بعد أن ثبت أنه لا يستند الى تنظيم بين صفوف الشـــعب أو بين صفوف القوات المسلحة وأنه مجرد رمز له بريق من نوع ما يلتف حوله سائر الجماهير والعديد من أفراد القوات المسلحة من غير أن تجمع بينهم رابطة أو تنظيم ، وأما عبد الناصر فوضح أن له تنظيما قويا ليس بين القوات المسلحة وانما أيضا بين جماهير الشـــعب يتحرك وقتما يشاء ووفق ما يريد ، وســـرت وقتذاك موجة من الاتهامات للسياسيين بالخيانة وطالبت تلك الموجه بالتخلص منهم نهائيا .

فى هذه المرة لم يتخلص عبد الناصر من نجيب كما حدث فى المرات السابقة بسبب قوته فى أوساط الشعب والأوساط العسكرية وانما لم يتخلص منه حتى يعطى لنفسه الفرصة ليتخلص من كل من أيده فى هذه الأيام العصيبة وقد ظهروا له تماما يوم أن أباح

حرية الصحافة ورفع القيود عليها من رقابة وأحكام عرفية ، ويوم استطاع أن ينتزع موافقة مجلس الثورة على كل القرارات التى أرادها حتى لا تتحول المسألة الى معركة بينه وبين نجيب ، وحتى لا تتعرض الثورة الى هزة اخرى كتلك الهزة قد تطيح بحياته وحياة زملائه فى لحظة ، ورأى عبد الناصر أن يبسط رؤيته للأمور بعد تلك الأزمة الطاحنة امام مجلس الثورة ورأى أيضا أن يأخذ موافقته على عديد من الاجراءات رآى ببصيرته النافذة انها حتمية التنفيذ لحماية الثورة من أعدائها المتربصين بها والتى اثبتت الأحداث أن الاعتقالات والمحاكمات التى جرت لم تقض نهائيا عليهم ٠

وكانت قرارات مجلس الثورة التى صفق لها الشعب كله وأيدها كل ضباط الجيش وهو ما كان أمرا غريبا بكل المقاييس والموازين ومنها :

١ ــ حل نقابتى الصحفيين والمحامين المتجاورتين فى الموقع والمتحدتين فى الفكر ومحاربة الثورة بسبب اصدارهما البيانات المؤيدة للحريات والديمقراطية والمنادية بالدستور والذى استمر عبد الناصر فيما بعد يتعقبهما الى أن كانت مذبحة الصحفيين ومذبحة رجال القضاء والقانون التى اتهمت الثورة بسببهما بالدكتاتورية وأحيانا بالنازية والفاشية ٠

٢ ــ الاجهاز نهائيا على البقية الباقية من معارضة الأحزاب

والسياسيين القدامى للثورة باصدار قرار حرمان كل من تولى الوزارة منهم خلال السنوات العشر السابقة على الثورة من مباشرة الحقوق السياسية ، وتقديم العديد منهم الى المحاكمة بتهمة افساد الحياة السياسية المصرية •

٣ ـ ما كنا اعتقدنا نحن ـ مندوبى الصحف والاذاعة ـ من أن عبد الناصر كان يمزح عندما رد على مندوب جريدة المصرى عندما دعوه لزيارتها بقوله « لما نستولى عليها » أصبح حقيقة ، حقيقة ، فبعد ثلاثة شهور من هذه الواقعة صدر قرار اغلاقها فى ٤ مايو سنة ١٩٥٤ بسبب وقوفها الى جانب نجيب خلال الأزمة ، ومنذ ذاك التاريخ وربما قبله فكر عبد الناصر جديا فى تنظيم جديد الصحافة يتيح له فرصة السيطرة عليها نهائيا •

لم يكن أمام نجيب الا أن يتقبل هذه القرارات مرغما فقد أصبح فردا لا حول له ولا قوة بعد أن انفض الجميع من حوله وضربت كل قواعده ، وظل ينتظر مصيره المحتوم الذى يحدده عبد الناصر الذى أصبح الرجل القوى الوحيد الممسك تماما بزمام الأمور والمتحكم فى مجلس الثورة وفى قراراته ، ولم يفقد نجيب الأمل فى قوة الشعب وقدرته على اخراجه من أزمته أو على الأقل تحسين مصيره بحيث ألا يكون مؤلما او ينتهى باعدامه أو محاكمته وهو ما كان يطلق على نفسه وعلى من فى رتبته لقب « الضباط العظام » •

وهكذا كانت قصة محمد نجيب غريبة وعجيبة فى كل أطوارها عندما انضم الى تنظيم الضباط الأحرار وتولى قيادته وعندما مارس العمل معهم وعندما انفصل عنهم ، برزت فى بعض هذه الأطوار ارادته القوية الفولاذية وأرغم فى بعضها على كبت مشاعره والتحكم فى هذه الارادة ، ولكنه فى كل الأطوار لم يتصرف أو يتحرك الا بما يمليه عليه ماضيه العريق فى العسكرية وضميره المتيقظ الذى حمله المشاق والصعاب والمواقف الحرجة منذ انخرط فى السلك العسكرى ، ومهما قيل عنه وعن تقليل دوره فى الثورة فيكفيه فخرا أنه لم يقبل أن يكون لعبة فى يد ضباط الثورة وهم الذين اختاروه عن قناعة أنه سيكون أقل الضباط العظام — الذين فكر فيهم ضباط الثورة — عريكه وشكيمه فاذا به بدا أنه أكثرهم قوة وعزيمة وأنه كاد أن ينتصر بمفرده على الضباط الاثنى عشـــر المسيطرين على كل أساحة الجيش المختلفة ، ويكفيه أنه كون لنفسه صيتا شعبيا وعسكريا لم تستطع كل أجهزة الاعلام اقناع الجماهير المصرية والعربية والاسلامية بأنه كان مجرد واجهة وصورة للثورة ، ويكفيه أن هذا الصيت قد جاوز الحدود المصرية الى البلاد العربية والاسلامية ، وأن البرقيات والاستفسارات انهالت على مجلس قيادة الثورة من الداخـــل والخارج تطالب بتوضيح المواقف وتوضيح مستقبل محمد نجيب .

كذلك قرار غلق جريدة المصرى أحدث دويا كبيرا داخل مصر

وخارجها حتى أن جمال سالم عندما زار الهند وأندونسيا وباكستان فى أغسطس عام ١٩٥٥ ضجر من سؤاله عن أسباب استقالة محمد نجيب وأسباب غلق جريدة المصرى · وكان آخر هذه الاسئلة من وزير داخلية بورما فى مرور جمال سالم على مطارها ورد عليه جمال سالم بأن جريدة المصرى تمثل لونا سياسيا رأت الثورة أن تتخلص منه ، ومن الطبيعى أن تتخلص من اللسان المعبر عن هذه السياسة ، وبقرار غلق جريدة المصرى وحرمان السياسيين القدامى من حقوقهم السياسية ومحاكمتهم بتهمة افساد الحياة السياسية انتهت مقاومتهم العلنية للثورة وانتهى أملهم فى استخدام تأييدهم لنجيب سبيلا لاشعال هذه المقاومة وان كانت مقاومتهم السلبية للثورة ظلت قائمة حتى وهم معتقلون فى غياهب السجون ، وبالقرارات التى أصدرها مجلس الثورة على اثر تلك الأيام العصيبة من أزمة نجيب لم يبق أمام عبد الناصر جبهة شعبية يريد التخلص منها سوى الاخوان المسلمين ، وكان عبد الناصر معدا للطريقة التى سيتخلص بها منهم نهائيا ويصل بذلك الى قصقصة كل أجنحة نجيب ليخرج من المسرح السياسى بهدوء دون احداث ردود فعل من أى نوع كما انضم الى تنظيم الثورة بنفس الهدوء

(وسنحت الفرصة لعبد الناصر)

كان عبد الناصر فى هذا الوقت يدير معركتين شرستين معركة الجلاء ومعركة الخلاص من محمد نجيب ، وعندما هدأت أدوره فى

صراعه مع نجيب كانت اتصالاته قائمة مع الانجليز للتوصل الى اتفاق يقضى بجلاء قواتهم من قناة السويس ، وأثمرت هــذه الاتصالات فجأة ، وتم التوصــل الى اتفاقيــة تضمنت المبادىء الرئيسية لاتفاق تم توقيعه بالفعل فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩٥٤ .

وحول عبد الناصر هذا الاتفاق الى نصر كبير رغم ما أخذ عليه من مثالب من الموافقة على السماح لبقــاء بعض القــوات البريطانية تحت اسم خبراء ، ولباقى القوات بالعودة الى قناة السويس فى حالة تعرض مصر أى دولة عربية أو تركيا لحرب ، وهو ما يحمل قبول الحماية الانجليزية للدفاع عن مصر وهــو ما ثار الشعب المصرى مرارا عليه قبل قيام الثورة ، وسنعود الى هذا الموضوع مرة أخرى عندما نتابع أحداث جلاء الانجليز عن مصر ، انما المهم أن عبد الناصر جاب أنحاء مصــر فى مواكب شعبية رائعة على انه بطل الجلاء الذى يهتف له كل مصرى ، وبدأت تتوارى نهائيا صورة نجيب ، فاذا كان قد نسب اليه أنه البطل الذى طرد الملك فان عبد الناصر اليوم البطل الذى خلص مصر من احتلال دام اكثر من ٧٢ عاما .

وبينما عبد الناصر كان فى الاسكندرية يحتفل مع شــعبها باتفاقية الجلاء فى ميدان المنشــية وكنا هناك فوجئنا بطلقات رصاص وجهت الى عبد الناصر فى الشرفة التى كان يلقى فيها

خطابه ، وعرفنا فيما بعد أن الجانى هو محمود عبد اللطيف أحد أعضاء جماعة الاخوان المسلمين وقد تم القبض عليه ولم ينتـــه الحفل بعد وكان ذلك فى مساء يوم ٢٧ أكتوبر أى بعد توقيع اتفاق الجلاء بثمانية أيام فقط ٠

هل كان حادث المنشية مدبرا أم كان عفويا ، لقد أقسم نجيب بشرفه العسكرى وشرفه كانسان أن مؤامرة اطلاق الرصاص على عبد الناصر فى الاســكندرية كانت مؤامرة وهمية من أولها الى آخرها ، وأيد أقواله هذه حسن التهامى أحد ضباط الثورة والذى وصل الى منصب نائب رئيس وزراء برياسة الجمهورية فى مذكراته أيضا عندما قرر أن خبيرا أمريكيا رسم ما تم فى المنشية ، بقصد تحويل حالة الامتعاض التى كان يقابل بها عبد الناصر من الشعب الى حالة استقبال الأبطـــال ، وقد قرر عبد اللطيف بغدادى فى مذكراته أيضا أن أحداث التخريب والحرائق فى السينمات والمسارح فى الخمسينات كانت من صنع عبد الناصر بقصد الاثارة واشعار الجماهير انهم بحاجة لمن يحميهم ٠

هل هذه الشهادات كافية لنقطع بأن حادث المنشية من تدبير عبد الناصر وأن القنابل التى وضعت فى السينمات والمسارح هى أيضا من تدبير عبد الناصر ونرتب على ذلك أيضا أن اضراب عمال هيئة النقل العام كان بوحى من عبد الناصر ٠

قد يكون من المفيد أن نعرض دقائق ما حدث فى المنشية حيث

كنا هناك ورافقنا ركب عبد الناصر من القاهرة الى الاسكندرية والعكس عله يوضح الصورة ويسهل الحكم على الحادث لمعرفة اذا كان مدبرا أو انه فعلا وقع دون أن يكون له فاعل أو مدبر ٠

« حادث المنشية »

فى يوم الاثنين ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٤ أبلغنا نحن — مندوبى الصحف والاذاعة — فى مجلس الثورة ومجلس الوزراء أن عبد الناصر سيزور الاسكندرية ، وأن ركب السيارات قد أعد وأن سيارة أعدت لنا واعدت اخرى للمصورين وأن التحرك سيكون فى الساعة الثالثة من بعد الظهر ، وتجمعنا وركبنا السيارات المعدة لنا ، وتحرك الركب فى موعده تماما ، وفى غروب الشمس دخل ركب عبد الناصر المدينة ولم يشعر به أحد فلم يكن هناك مستقبلون وكنا نمر فى شوارع الثغر كالغرباء الى أن وصلنا الى قصر الصفا حيث كان عبد الناصر ينزل فيه عند زيارته للاسكندرية حيث أن المعمورة لم تكن قد أعدت بعد ، وكان برفقة عبد الناصر كل أعضاء مجلس الثورة الذين كانوا يرافقونه فى جولاته بمناسبة توقيع اتفاق الجلاء ، وسهرنا ليلتنا ولا حديث لنا الا الاستقبال الفاتر الذى شهدناه عند وصولنا الاسكندرية ، هذا الاستقبال المخالف لكل الاستقبالات التى قوبلنا بها فى المدن الأخرى من مدن الجمهورية ٠

وفى اليوم التالى مساء توجهنا الى ميدان المنشية حيث يقام

الاحتفال ، ودهشنا أن وجدناه على سعته مكتظا بالجماهير ، وعلق أحد الخبثاء أن هذه الجماهير أحضرها التنظيم السياسى قسرا واجبارا ، ولم نلتفت اليه ، وصعدنا السلم حيث الشرفة مزودة بميكروفونات الاذاعة وغاصة بكبار رجالات الاسكندرية التنفيذيين والشعبيين وهم على استعداد تام لاستقبال عبد الناصر ، وبدأ عبد الناصر خطابه وسط تصفيق لم نر ولو جزءا يسيرا منه ونحن قادمون من القاهرة الى الاسكندرية ولا نحن قادمون من قصر الصفا الى الميدان الكبير ميدان المنشية ٠

وبينما الجمع فى الميدان وفى الشرفة منصتا تماما لخطاب عبد الناصر ، وبينما عبد الناصر كان مسترسلا فى القاء خطابه اذا بنا نسمع طلقات لم نفطن الى انها طلقات نارية فى بادىء الأمر وانما ظنناها مثل الطلقات التى أطلقت فى ميدان عابدين قبل ذلك بيومين التى رسمت بعد فترة صورة كبيرة لعبد الناصر ٠٠٠٠ لم نفطن الى أنها طلقات نارية ألا عندما شاهدنا هرجا ومرجا فى الميدان ، وأن هذه الطلقات اصطدمت بزجاج الشرفة والمبنى وحطمته ، وأصابت عبد الناصر نفسه رغم أن أعضاء مجلس الثورة والوزراء ورجال الأمن كانوا قد صنعوا من حوله دائرة لحمايته ويدفعون عنه الخطر ، وتوقف عبد الناصر عن القاء الخطاب ٠٠ وبعد برهة قصيرة رأينا عبد الناصر يتوجه مرة أخرى الى الشرفة ، وكانت ميكروفونات الاذاعة قد سقطت من أمامه على الأرض ، واذا به يصيح قائلا « أيها الرجال فليبق كل منكم فى مكانه فليبق كل منكم فى مكانه ٠٠ دمى فداء لمصر لقد

قبض على الجانى ٠٠ لقد قبض على الجانى ، وتوعد عبد الناصر أعداء الثورة بعظائم الأمور ٠٠ وانتهى الحفل وغادر عبد الناصر مكان الحفل وتوجه صلاح سالم الى نادى الضباط حيث ألقى فيهم خطابا حذر فيه من المؤامرات على الثورة ودعاهم الى اليقظة التامة حتى لا تثمر هذه المؤامرات ويكشف أمرها قبل وقوعها ٠

وفى صباح يوم ٢٧ أكتوبر وقف عبد الناصر فى قصر الصفا مرتديا نفس القميص الذى كان يرتديه أثناء الحادث وكانت عليه بعض آثار الدم نتيجة لشظايا الزجاج التى أصابته ، وقف عبد الناصر يستقبل وفود مهنئيه بالسلامة ٠

وتغيرت طريقة عودة عبد الناصر من الاسكندرية الى القاهرة حيث عاد بقطار خاص واستقبل استقبالا شعبيا منقطع النظير عند توقف القطار فى بعض محطات المدن الرئيسية ، وما أن وصلنا الى محطة باب الحديد وكانت الساعة حوالى السادسة مساء أو الخامسة كانت جموع المواطنين فى انتظاره بأعداد ضاق فنــاء المحطة بهم فتسلقوا الأعمدة وملأوا شرفات مبنى المحطة تهتف لعبد الناصر بما لم تهتف به من قبل ، كما استقبل عبد الناصر من محطة باب الحديد الى منزله فى منشية البكرى استقبال الغــزاة والفاتحين واستقبال الزعماء الذين تتدافع أمواج المواطنين تلقائيا لتحييهم وترحب بهم ، ومنذ ذلك التــاريخ تحول كره الشــعب لعبد الناصر الى تأييد كامل وحب جارف ، كان يعتز به عبد الناصر كل الاعتزاز ويعتبره المقياس الحقيقى لنجاح الثورة وفشلها ٠

(شائعات حول الحادث)

ولم يمض على حادث المنشية سوى ٢٤ ساعة حتى امتلأ الشارع المصرى بشائعات مكثفة تقول انه مصنوع كمقدمة لتبرير الاعتقالات التى تنوى الثورة الاقدام عليها بين صفوف جماعة الاخوان المسلمين ، وللحق والحقيقة أن هذه الاعتقالات كانت قد بدأت بالفعل ولكن الصحف لم يؤذن لها بالنشر وتم نشر هذه الاعتقالات بعد الانتهاء منها ، ومنع عبد الناصر الاذاعة من اذاعتها وطلب أن تقتصر الاذاعة على اذاعة المحاكمات الرسمية لجماعة الاخوان المسلمين ، ولكن لما طالت فترة الاعتقالات طلب عبد الناصر من الاذاعة أن تذيعها مع الصحف ، وكان توقيت هذه الاذاعة والنشر بعد وقوع حادث المنشية .

والحقيقة أن حادث المنشية الذى ارتكبه أحد أعضاء جماعة الاخوان المسلمين وسع دائرة الاعتقالات بين صفوف الاخوان حتى بلغ عدد المعتقلين ما يزيد على ١٨ ألف معتقل ، وشكلت محكمة لمحاكمتهم برياسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى عقدت بمقر مجلس الثورة بالجزيرة فى ٩ نوفمبر عام ١٩٥٤ وأصدرت أحكامها باعدام محمود عبد اللطيف مرتكب حادث العدوان فى المنشية وعدد من قيادات الاخوان من بينهم عبد القادر عوده وحسن الهضيبى ويوسف طلعت وهنداوى دوير وابراهيم الطيب ومحمد فرغلى ، ونفذ حكم الاعدام فى الجميع فيما عدا

حسن الهضيبى الذى خفت الحكم عليه الى الأشـــغال الشـــاقة المؤبـــدة ٠

الا أنه فى سياق المحاكمة ورد فى أقوال بعض المتهمين ما يشير الى أن اتصالا جرى بين اللواء محمـــد نجيب وبين الاخـــوان المسلمين ، ورغم أن هذه الأقوال لم يكن هناك من دليل يؤكد صدقها الا أنه عقب ظهور هـــذه الأقوال ، ذهب عبد الحكيم عامر حيث اصطحب الضابط العظيم الذى عمل معه قبل الثورة وعمل معـــه بعدها ، اصطحب محمد نجيب الى قصر زينب الوكيل بالمرج بحجة أنه سيظل فى هذا القصر الى أن تثبت المحكمة براءته ، ولكنه لم يكد يصل الى القصر ـ الذى لم يعد قصـــرا بعد تجريده من كل محتوياته ـ حتى أعفى من جميع مناصبه ، ولم يشعر به أحد ولم يثر اعفاءه اى رد فعل وهو ما خطط له عبد الناصر منذ لحظة انضمام نجيب الى ركب الحركة ثم الثورة ٠

- اصبح عبد الناصر البطـل الذى طرد الانجليز ووقف ضد الغرب كله ٠
- استغل عبد الناصر ازدياد تاييد الشـعب له وتخلص من كل من يعارضه ٠
- خوفت بريطانيا عبد الناصر من هجوم سوفيتى ولكنه توقـع الهجوم من الغرب لا من السوفييت ٠
- خرج نورى السعيد على اجماع العرب وايد الأحلاف الأجنبية ٠
- كيف عين عبد القادر حاتم رئيسا لهيئة الاستعلامات ؟

- ١٠ -

هكذا كان تخطيط عبد الناصر داخليا وخارجيا ينم عن ذكاء فريد ، ودهاء لا يدانيه دهاء ، وقدرة ومقدرة استطاع بها جميعا تحويل مواقف ضعفه الى مواقف قوة حتى ساد الحلبة كلها ، عرف كيف يخطب ود الجماهير ، وكيف يكتلها ويجمعها من ورائه ويلهب حماسها فدق على الوتر الحساس لديها ... كان يعلم أن هـــذه الجماهير شغلها الشاغل جلاء الانجليز وانها مستعدة ــ فى سبيل تحقيق هذا الهدف ــ الى بذل الروح والدم من غير حدود ، فاستحثها وحمسها بكل السبل واستطاع بذلك أن يجتاز عقبة أخــرى كانت قائمة فى طريق الثورة ، وهى عقبة كانت كل أطوارها لحظات بل أيام ايام حاسمة فى تاريخ الثورة المصرية هذه العقبة هى اجلاء الانجليز بغير شروط ، اجتازها باصرار وعناد شديدين بفضل حماس الشعب وتأييـــده .

الا أن عبد الناصر كان كلما ازداد التأييد الشعبى له يتخلص ــ فى وسط هذا التأييد ــ ممن يقفون عقبة فى سبيل تحقيق آماله .. تخلص من محمد نجيب كما رأينا وهو يحضـــر لتوقيع اتفاقيـــة الجلاء .. وتخلص من صـــلاح سالم غداة عقده صفقة الأسلحة التشيكية فى ٢٧ سبتمبر عام ١٩٥٥ وفى الطريق قضى على تنظيمات الاخـــوان المسلمين ومقاومتها للثورة ، كما قضى على كل أمل للسياسيين القدامى فى العودة الى السلطة .

ولنمسك بالقصة من أول خيوطها . حضر عبد الناصر الشعب كله فكريا وبدنيا لمرحلة محاربة المستعمر من خلال مؤتمرات شعبية عقدها مطالبا الشعب بالاستعداد للكفاح ، ولم يتوان الشعب عن الكفاح ، ووضع نفسه رهن اشارته ايمانا منه أن كفاحه سيثمر هذه المرة ويتغلب على الاستعمار وأعوانه ، فلم يعد فى البلاد أحزاب أو سماسرة أو منافقون او مخادعون او اقطاعيون يحدون من كفاحه بل غدا فى البلاد حكام مصريون تجرى فى عروقهم القومية المصرية وتنبض قلوبهم بالوطنية ٠

(مصر اليوم غير مصر الأمس)

دخل عبد الناصر المعركة مع الانجليز فى ٢٧ ابريل عام ١٩٥٣ حيث بدأت مباحثات الجلاء بين مصر وبريطانيا وبعد تسعة ايام توقفت بسبب اصرار مصر على الجلاء بدون قيد أو شرط ، وكان هذا موقفا جديدا على بريطانيا ، فكم من مفاوضات دخلتها مع مصر حصلت فيها على كل ما تريد وأكثر منه من غير جهـد أو تعب ، واستطاعت أن تبقى فى مصر ما يقرب من سبعين عاما صبغت فيها موقفها بالشرعية ، وحكمت مصر خلال هذه الحقبة الطويلة بالطريقة التى تراها ٠

لذلك كان من العسـير على بريطانيا أن تقتنع بهذا التغيير المفاجىء الذى طرأ على مصر وموقفها ، وقطعت المفاوضات وراحت تلتمس عن طريق أو آخر بارقة أمل لحل الموقف حسب شروطها ، فاستخدمت التهديد الذى كانت تستخدمه فى الماضى ، ولكنه فى هذه المرة لم يأت بأية نتيجة كما كان يحدث من قبل ، ذلك لأن الثورة

قطعت عليها كل السبل ، فراحت بريطانيا تتلفت من حولها بحثا عن الأحزاب التى كانت تعقد الصفقات معها ، أو السراى التى كانت تأمرها فتطيع فتطيع ، أو الاقطاعيين وأصحاب رءوس الأموال الذين كانوا يقفون فى وجه الشعب كلما ثار على الظلم أو الاحتلال ، فلم تجد من هذا أو ذاك شيئا ٠

وتلكأت فى قبول شروط مصر لعل تقارير السفارة البريطانية فى مصر تصدق ، تلك التقارير التى كانت تؤكد أن حكم مصر بالطريقة التى تسير عليها الثورة لا يمكن أن تستمر وأن مصيرها للزوال ، وأن الشعب المصرى سيتخلص منها عن قريب ، مسقطة هذه التقارير من حسابها اجماع الشعب على الغاء معاهدة ٣٦ التى استنفدت أغراضها قبل قيام الثورة بأقل من عام ، وسحبت بريطانيا سفيرها من مصر فى ٢١ مايو سنة ١٩٥٣ ، وافتعلت أزمات اختفاء بعض الضباط الانجليز فى القنال وأنذرت باحتلال الاسماعيلية ورفضت مصر الانذار بقوة واضطرت بريطانيا الى التراجع ٠

(ضجة فى مجلس العموم البريطانى)

ومع هذه التطورات وفور قطع محادثات الجلاء تكثفت هجمات الفدائيين فى قناة السويس على معسكرات الانجليز ، وهدد الفدائيون بقطع مياه الشرب والكهرباء عن هذه المعسكرات ، بحيث أصبحت هذه المعسكرات فى وضع لا تستطيع الدفاع عن نفسها ، الأمر الذى حرك مجلس العموم البريطانى وأحدث ضجة بين أعضائه ، وانبرى

الجميع يطالب بوضع حد لأعمال الفدائيين فى القناة ، ولما لم تتوقف المقاومة اضطرت بريطانيا الى اعادة حساباتها بشـأن المفاوضات المقطوعة ، فتقدمت بمقترحات جديدة لحل مشكلة قناة السويس •

كانت المقترحات التى رفضها المفاوض المصرى تقضى بأن يتم سحب القوات البريطانية بالتدريج وعلى مراحل ، وأن يتم العمل على صون قاعدة السويس العسكرية فى زمن السلم فى حالة تسمح للانجليز وحلفائهم باستخدامها فى زمن الحرب ، وتقضى المقترحات أيضا بتأليف هيئة مصرية انجليزية لتنظيم الدفاع الجوى عن مصر وأن تشرك مصر فى منظمة الدفاع عن الشرق ، وأن يتم وضـع برنامج لتقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية لمصر من بريطانيا وأمريكا •

والأهم أن رأى بريطانيا كان يقضى بأن هذه المقترحات كل لا يتجزأ بمعنى أنه اذا رفضت مصر أى بند من هذه البنود فلابد أن ترفض البنود جميعا ، عندئذ شعرت مصر أن كرامتها جرحت ، وأن انجلترا ما زالت تفرض ارادتها عليها كما كانت تفعل أيام السراى والأحزاب ، وناقش وفد مصر البنود جميعا وانتهى الى ضرورة رفضها ، لأن مصر لم تدخل فى هـذه المفاوضات لتؤكد وصاية بريطانيا عليها ، وانما دخلتها لتنتهى هذه الوصاية الى الأبد ويخرج البريطانيون من أراضيها بلا عودة •

كان عبد الناصر طوال صراعه مع الانجليز يطلع الشعب على

مجيع تطورات هذا الصراع ودقائقه ، ويبدو للشعب البطل الوطنى المخلص ، فما كان منه الا ألا أعلن على الشعب أسباب رفض المشروع البريطانى والأسباب التى دعت الى قطع المفاوضات ، وكان أهمها اشتراط بريطانيا للجلاء عن قناة السويس دخول مصر فى منظمة الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ، وأن تستخدم بريطانيا قناة السويس فى زمن الحرب على الاطلاق والعودة اليها فى حالة تهديد مصر او اى دولة عربية وأيضا تركيا بالحرب ، وفى هذه الأثناء كانت بريطانيا تخوف مصر من هجوم سوفيتى آلا أنه رد على المفاوض الانجليزى بقوله انه لا يخاف من هجـوم روسى ولكنه يخاف من هجوم بريطانى غربى وقد صدقت نبوءته ٠

(توقيع اتفاق الجلاء بالأحرف الأولى)

فى ٧ أغسطس ١٩٥٣ تسلمت مصر مقترحات بريطانية جديدة لحل مشكلة القناة ولكن مصر رفضتها وأعلنت أنها لن تستأنف المفاوضات مع بريطانيا الا على أساس التسليم بحقوق مصر كاملة ، وردا على الرفض المصرى حاولت بريطانيا القيام بمناورة فى مجلس الأمن لاتخاذ قرار يلزم مصر بالسماح لاسرائيل بالمرور فى قناة السويس ولكنها فشلت ، وفى ٢ ابريل عام ١٩٥٤ تقدمت بريطانيا بمشروع جديد لتسوية مشكلة القناة يقضى باعتبار منطقة القنـاة منطقة عسكرية ولم توافق مصر أيضا ، وفى ١١ يوليو استؤنفت المفاوضات على أسس جديدة ، وفى ٢٧ يوليو تم التوقيع بالأحرف

الأولى على اتفاقية الجلاء بناء على الموافقة على المبادىء المقترح اعداد اتفاق لعى أساسها ، وأعلن عبد الناصر للمواطنين أن اتفاق الجلاء ليس فيه تحالف عسكرى ولا دفاع مشترك وانما هو مرحلة من مراحل البناء ، وشــكلت ٤ لجان لتنظيم انسحاب القــوات البريطانية ، واستمر عبد الناصر يؤكد مرارا على أن الدول العربية لا يمكن أن تدخل مع الدول الكبرى فى أى مشـــروع للدفاع عن الشرق الأوسط لأن شعوب هذه الدول ترى أن هذه المنظمة ليست سوى استعمار مقنع ، بما يوحى بأن تلك كانت نقطة خلاف حتى بعد التوقيع على الاتفاقية بالأحرف الأولى ٠

صممت مصر على اجلاء الانجليز وكان لها ما أرادت وتم توقيع الاتفاق النهائى فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٥٤ ونص الاتفاق على جلاء القوات البريطانية جلاء تاما عن الأراضى المصرية خلال فترة ٢٠ شهرا من تاريخ التوقيع على الاتفاق وانقضاء معاهدة ١٩٣٦ ، وانتقال ملكية جميع المطارات والمنشآت الى الدولة ، وخضوع الفنيين البريطانيين الموجودين خلال فترة الجلاء للقوانين المصرية ، وأقرت الحكومتان المصرية والبريطانية فى المادة الثانية من اتفاقية الجلاء أن قناة السويس البحرية ــ التى هى جزء لا يتجزأ من مصر ــ طريق مائى له أهميته الدولية من النواحى الاقتصـــادية والتجارية والاستراتيجية ، ونصت المادة الحادية عشرة من الاتفاق على أن الاتفاق يظل نافذ المفعول سبع سنوات من تاريخ توقيعه ٠

وحول عبد الناصر ــ كما قلنا ــ الاحتفال بتوقيع الاتفــاق

النهائى الى مظاهرة وطنية صاخبة ، والقى الخطابات الحماسية فى طول البلاد وعرضها التى أعلن فيها أن هذا الجيل على موعد مع القدر فقد قدر له أن يشهد بعينيه فلول المحتل تتسلل خارجة من حيث أتت ، وتوالت القرارات التى انتزعت حب الجماهير لنجيب وحولته الى عبد الناصر ، فأعلنت قيام جمهورية مصر ووزعت الاف الأفدنة على الفلاحين المنتفعين بقانون الاصلاح الزراعى ، كما افرج عبد الناصر عن جميع المعتقلين الذين حكمت عليهم محاكم الثورة ومحاكم الشعب والمحاكم العسكرية وباقى المحاكم الأخرى ٠

هذا الجو أنسى الشعب مطالبة نجيب بالحرية والديمقراطية والدستور ، وضاعت استقالة كل من محمد نجيب وصلاح سالم وخالد محيى الدين وغيرهم ، فلم يعد الشعب يفكر فيها ولا فى دوافعها ولا فى الاسباب التى أدت اليها ولا النتائج التى قد تترتب عليها ، هل كان عبد الناصر متجنيا عليهم أم كان على حق وهم على باطل ؟ هكذا كان أسلوب عبد الناصر يمد الحبل على الغارب الى أن يتحين الفرص المناسبة ليضرب ضربته ، لا ينسى ثأره أبدا ولا ينسى الساءة أبدا حتى ولو كانت بسيطة ، ربما لأن كانت صعيدية ، ولو أنه لم يعش فى الصعيد طويلا ، ولكن عاداته وتقاليده ظلت متأصلة فيه طوال حياته رغم انفصاله تماما عن الصعيد أى عن مسقط أسه فى بنى مر احدى مدن مديرية أسيوط كما كانت تسمى فى هذه الأيام ٠

كيف عين حاتم رئيسا للاستعلامات

كنا فى عام ١٩٥٥ واذاعات الغرب بدأت حربا لا هوادة فيها على الثورة وقادتها ، تشكك فى قدرتها على الاستمرار ، وتدعو من تحت لتحت الى ضرورة التخلص منها ، وكان ذلك مع بداية معركة الأحلاف العسكرية التى اشتعلت منذ توقيع اتفاق الجلاء ، واجتمع رؤساء الدول العربية فى القاهرة فى مؤتمر قمة عقد فى ٢٢ يناير لبحث معارضة الأحلاف العسكرية وربط العرب بأى دولة أجنبية والاتجاه الى سياسة عدم الانحياز للشرق أو للغرب ، وخرج نورى السعيد على الاجماع العربى وأصر على عقد حلف عسكرى بين العراق وتركيا وآخر مع باكستان وايران وثالث مع بريطانيا والولايات المتحدة ، وكان موقف الدول العربية على هذا النحو مثيرا لحفيظة أمريكا وانجلترا الساعيتين لأن يحل حلف بغداد محل جلاء الانجليز عن القناة ليسد الفراغ السياسى الذى سيتخلف عن هذا الجـــلاء •

وكعادتنا نحن — مندوبى الصحف والاذاعة — حينما يغمض الموقف علينـــا ويزداد الاضطراب والخلاف سواء على المســـتوى الداخلى أو على المستوى الخارجى ، نتوجه الى عبد الناصر نستشف منه حقيقة الموقف وحقيقة تلك الحملات المركزة عليه وعلى مصر ، وبعد أن انتهينا معه من الحديث ، فاجأنا بقوله على مسمع منا جميعا نحن نريد تنظيم علاقتكم كصحافة واذاعة مع المسئولين ولهذا قررت

انشاء هيئة تسمى الهيئة العامة للاستعلامات وسأعين عبد القادر حاتم رئيسا لها ، تكون مهمتها الرد على استفساراتكم واستفسار المراسلين الأجانب ٠

وعلى الفور أخرج عبد الناصر من مكتبه ورقة وكتب عليها قـــرار تعيين عبد القـــادر حاتم بخط يده ، وخرجنـــا من مكتب عبد الناصر انتوجه الى مكتب حاتم فى الدور الثانى فى مبنى مجلس الزراء بلاظوغلى وأبلغناه بالنبأ السعيد ، فقد كان يعمل فى هـــذا الوقت مديرا لمكتب عبد الناصر اشئون الاعلام ٠٠ ومنذ ذلك الحين وضع عبد القـــادر حاتم قدمه على السلم ، واستمر بدأبه وجـــده واخلاصه يرتقى درجاته درجة درجة الى أن وصل الى منصب وزير الاعلام ونائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ورئيســـا للوزراء بالنيـــابة ٠

وخلال هـــذه الفترة قاد معركتين اعلاميتين ناجحتين معركة الاعلام أثناء العدوان الثلاثى واستطاع الارتفاع بمستوى الاعلام المصرى حتى تمكن من دحض كل افتراءات أبواق الاستعمار ، ودعم أجهزة الاعلام حتى أصبحت الاذاعة المصرية تحتل المركز الثـــانى بعد الاذاعة البريطانيـــة على المستوى العـــالمى ، حيث كانت تذيع حوالى ٢٢٤ ساعة يوميا ، كمـــا استطاع وهو وزير اعلام اخفـــاء النتائج السلبية للعدوان الثلاثى على مصر وهى فتح خليج العقبـــة أمام اسرائيل واحتلال البوليس الدولى لمضايق تيران الى أن كشفتها

بعض الاذاعات العربيـــة التى هاجمها عبد الناصر قبـــل عدوان ٥ يونيو عام ١٩٦٧ بعامين ومنها المملكة العربية السعودية ٠

والمعركة الثانية التى قادها حاتم اعلاميا معـــركة اكتوبر اكتوبر المجيدة التى غير الاسلوب الاعلامى فيها الى اسلوب علمى على أحدث أساليب الاعلام الحديثة ، فأسقط من حسابه المبالغات فى خسائر العدو والالتزام بالحقيقة مجردة من التزييف أو التزوير أو التهويل فى نغمة هادئة رزينة نفذت الى قلوب المواطنين وأحدثت أثرا طيبا فى العالم الخارجى ، فهزم اعلام العدو رغم رسوخ قدمه وعلو كعبه فى حمله على الاعتراف بنجاح الاعلام المصرى فى المعركة ، وأطلقت أجهزة الاعلام العربية والاجنبية على الدكتور حاتم لقب « أبو الاعلام المصرى » ولما انقطع عن الاعلام فى أواخر الستينيات وعاد اليه فى وائل السبعينيات استقبله الاعلاميون استقبالا حافلا وأفردت الصحف والاذاعات العربية والاجبية له مساحات واسعة تتحدث عنه وعن تاريخه الاعلامى ٠

على أن عبد القادر حاتم لم يصل الى هذه الدرجة من التقدير بسهولة ، فكم من مرة تعرض الهجوم والايقاع به ولكن ايمـــان عبد الناصر بمقدرته وقدرته حماه من هذا الهجوم ،فبالرغم من أنه أدى رسالته الاعلاميـــة بأمانة واخلاص كانت الوشايات تتبعـــه وتحاصره حتى ترك هيئـــة الاستعلامات وعين مستشارا للرئيس ولكن هذه المدة لم تطل ، وأذكر أنه عين بعد هذه الأزمة نائبا لوزير

شئون رياسة الجمهورية ونحن فى طريقنا من القاهرة الى بور سعيد لنحتفل بالنصر بعدكسر العدوان الثلاثى ، وكان القطار ينهب الطريق نهبا ، وكل فى مكانه الذى حدده له البروتوكول حسب وظيفته ، فكان الوزراء ونواب الوزراء فى مكان وحدهم ، كما كان المستشارون أيضا فى مكان مخصص لهم ، وكان عبد القادر حاتم بوصفه مستشارا يجلس بين المستشارين ، وفجأة استدعاه عبد الناصر فى مقصورته واستغرق لقاؤه به بعض الوقت ، انصرف بعده عبد القادر حاتم منفرج الأسارير بادى الفرح والسرور ، وعرفنا أن عبد الناصر عينه فى منصب ما ، ولكننا لم نعرفه بالتحديد ولكننا لمحنا ان عبد القادر حاتم جلس فى المكان المخصص للوزراء ، وظل المستشارون ينتظرون قلقين يريدون أن يعرفوا ماذا حدث ، وأخيرا عرفنا أن حاتم عين نائب وزير شئون الرياسة ومختصا بالاذاعة ووسائل الاعلام ٠

وحدث أيضا أن أبعدته مراكز القوى عن مناصب الاعلام قبل وخلال هزيمة ٥ يونيو التى فشل فيها الاعلام فشلا ذريعا واستمر الحال على ما هو عليه الى أن توفى عبد الناصر وكان قد توالى على الاعلام أكثر من وزير ، ولما تولى أنور السادات الحكم وكان عبد القادر حاتم يعمل برياسة الجمهورية مستشارا أيضا ومعه عدد آخر من كبار الشخصيات التى شاركت عبد الناصر المسئولية وانتهى بهم المقام الى العمل فى الظل بعد ان كانوا يعملون فى الاضواء ، وحدث أن دعاهم السادات للاجتماع معه والقى حاتم

كلمة فى هذه المناسبة بوصفه أقدم هؤلاء وأكبرهم رتبة ووظيفة ، وبعد أيام تولى حاتم شئون الاعلام مرة أخرى ودبت فيه الحيـــاة من جديد بفضل نشاطه وكفاءته واخلاصه ٠

ربما يعتبر هذا استطرادا فلنتوقف عنه ونعود الى موضوعنا الأساسى وهو الصراع الذى كان يعانيه عبد الناصر لانهاء جلاء الانجليز والوقوف فى وجه أطماع الغرب الذى كان يعمـــل على ادخـــال مصر فى حلف بغـــداد كبديل عن الجلاء ، بينـــما كان عبد الناصر فى هذا الصراع الكبير كان هناك صراع من نوع آخر هو صراع المهنة بين الصحفيين ومندوبى الاذاعة ٠

- خاف عبد الناصر من الالتزام أمام الجماهير بانهاء فترة الانتقال فى عام ١٩٥٦ ٠

- من حوار مع الصحفيين اصبح عبد الناصر يحرص على الاستماع للاذاعات الأجنبية يوميا ٠

- عندما أعطى عبد الناصر لمندوب الاذاعة الامان وأنقذه من الرفت والتشريد ٠

- قصة الصراع بين مندوبى الصحف ومندوبى الاذاعـــة وكيف انتهت ٠

— ١١ —

كنا فى أواخر مارس سنة ١٩٥٤ ، كان الجو رقيقا منعشا فيه النسمة الباردة المتبقية من الشتاء المنقضى والنسمة المنعشة القادمة مع الربيع القادم ، ولكن الجو السياسى كان مشحونا ينذر بأحداث جسام ، الحرب دائرة فى قناة السويس بين المقاومة المصرية الباسلة والمعسكرات البريطانية المحتلة التى لا تريد الجلاء ، والصراع بين محمد نجيب وجمال عبد الناصر وصل ذروته وقمته وعنفوانه وأصبح محتوما أن يصل الى نهاية اما الى جانب عبد الناصر واما الى جانب نجيب ، والقوى المعادية للثورة تعد للانقضاض عليها ، وعبد الناصر ومجلس الثورة يواجهان كل هذه الظروف القاسية دفاعا عن وجودهم واستمرارهم .

وسط هذا الجو المضطرب كان هناك صراع وحرب من نوع آخر ، بين مندوبى الصحف ومندوبى الاذاعة الذين كانوا المصدر الوحيد لكل هذه الانباء الخطيرة المؤثرة فى تاريخ مصر وتاريخ منطقة الشرق الاوسط بأسرها ، فلم تكن وسائل الاتصال الأخرى قد استقرت وانتظمت ، فهيئة الاستعلامات لم تكن تدخلت بعد فى تنظيم الأنباء والسيطرة عليها ، ووكالة أنباء الشرق الأوسط لم تولد بعد ، والمكاتب الصحفية والعلاقات العامة فى الوزارات والمصالح لم يفكر فى انشائها بعد ، ووسط هذا المناخ كان مندوبو

الصحف أسياد الموقف ، ينتظرهم رؤساء التحرير بفـارغ الصبر ليعرفوا منهم دقائق الموقف السياسى ويقفوا على علامات مستقبل مصر وصورته ، وجاء مندوبو الاذاعة ليذيعوا الأنباء أولا بأول فى نشرات متعاقبة ، وخاف مندوبو الصحف على مناصبهم ومراكزهم المتميزة المرموقة لدى رؤساء التحرير ، فشنوا حربا لا هوادة فيها على مندوبو الاذاعة فى كافة مصادر الأنباء ومكانها ، وكان مندوب الاذاعة فى مجلس الثورة أكثر هؤلاء المندوبين تعرضا لهذه الحرب ، ولما لم تفلح هذه الحرب توجه مندوبو الصحف الى يحيى أبو بكر وكان مديرا لأخبار الاذاعة ، يطلبون منه عدم ايفاد مندوب للاذاعة فى مجلس الثورة ، الا أنه أفهمهم أن الاذاعة لا يمكن أن تكون حربا على الصحف أو منافسة لها اذ أن كلا منهما وسيلة من وسـائل الاعلام لكل منهما ميزاتها وخصائصها التى تميزها عن الأخرى ، والدول التى سبقتنا فى الحضارة ما زالت صحفها تصدر واذاعاتها تبث ارسالها دون أن تتأثر الصحف أو الاذاعة ، وكلاهما لا يمكن الاستغناء عنه •

المهم أن الحرب بين مندوبى الصحف ومندوب الاذاعة اشتدت الى حد تفكير مندوبى الصحف فى اعطاء منوم لمندوب الاذاعة حتى لا يحصل على الأنباء وتحرم الاذاعة منها ، وقد دبر مندوبو الصحف لمندوب الاذاعة مقلبا ، وهو المندوب النشيط الذى يحضر الى مجلس الثورة فى الصباح الباكر جدا ويستمر طوال اليوم حتى المسـاء المتأخر جدا يوافى الاذاعة بما لديه من الأنباء ، وقد حدث يوما أن

وصل الى مجلس الثورة متأخرا وفاته نبأ مزاد كان قد تقرر اقامته يوم ٨ مارس بالقصر الجمهورى بالقبة لبيع محتويات القصور ، وتسابق مندوبو الصحف لموافاته بالنبأ ولكن مع تغيير موعده من ٨ الى ١٢ مارس ، وألحوا عليه أن يرفع سماعة التليفون ويملى النبأ للاذاعة ، ولكنه تشكك فى الرضا المفاجىء عليه ، وخاف أن يكون الخبر مدسوسا عليه فلم يمليه للاذاعة ، وأراد الله أن ينقذه مما يدبر له ، حيث تلقى مكالمة تليفونية من أحد زملائه الاذاعيين يطلب منه معاونته لترتيب حضوره للمزاد لعمل برنامج عنه ، وفى سياق الحديث فهم أن موعد المزاد يوم ٨ مارس وليس يوم ١٢ منه وأن لديه خطابا رسميا بذلك وصله اليــوم ، ففطن الى أن المقلب كان محبوكا اذ أنه لو أذاع النبــأ بالموعد الذى حــددوه له ، لحضر المشتركون فى المزاد من الخارج بعد انتهاء المزاد ، وسارع لموافاة النبأ بالموعد الصحيح ، وتجمع الصحفيون حيث دب الخلاف بينهم حول من من بينهم الذى نقض الاتفاق والوعد ، وتطوع لمساعدته واطلعه على النبأ الحقيقى ، ولم يدر بخلدهم أبدا أن أحدا منهم لم ينقض الاتفاق والعهد ولم تحدث عملية خيانة منهم فيهم ٠

أعطى عبد الناصر الأمان لمندوب الاذاعة

منذ هذه الواقعة ازداد حرص مندوب الاذاعة على الا يستمع لكلام زملائه مندوبى الصحف مرة ثانية أبدا ، فلما أبلغوه أن جمال عبد الناصر لن يغــادر مجلس الثورة أثنــاء فترة الغداء ، وأنه سيواصل العمل بلا توقف وأنهم ذاهبون لتنــاول طعام الغــداء

والعودة ثانيا فى الخامسة مســاء . لم يصدقهم رغم انهم فعــلا كانوا صادقين هذه المرة ، وخرجوا من مجلس الثورة ، وبقى هو وحده وتوجه الى حرس عبد الناصر وقائد حرس المجلس ليستطلع منهم الامر ويقف على الحقيقة ، ووجدها هى كما سمعها من زملائه الصحفيين .

وبينما هو مستغرقا فى التفكير ، هل يلحق بهم ويتنــاول طعام الغداء معهم عله يخف من أبعاد الصراع القائم او يبقى فى المجلس حتى يغــادره عبد الناصر كعادته ، حدث ما لم يكن فى حســابه ولا حسابهم ولا حســاب حتى حرس عبد الناصر وقائد الحرس ، اذ دوت فى سمــاء المجلس الكلمة المعهودة « حرس » ومعنى ذلك الاستعداد لنزول عبد الناصر ... ونزل وكان وحده فى مواجهة عبد الناصر ، فحياه عبد الناصر وسأله عن زملائه ، وكان الهاما أن رد عليه بسرعة قائلا « لقد ذهبوا الى الغداء وأنابوه عنهم » ، وكانت المفاجأة الأخرى أن طلب منه عبد الناصر أن يسأل وأنه سيجيب على كل ما يسأل عنه ، ووجد نفسه تلقائيا يجيب بأنه لا يستطيع الســؤال خوفا من أن يطبق عليــه كل هؤلاء الضباط ويمنعوه « فضحك عبد الناصر ضحكة عالية ربما من سذاجته وربما من حرصه ، وقال له أعطيك الأمان واتسأل كما تريد وبصراحة ، فقال سمعت فى الاذاعات الخارجية انك تنوى اقامة امبراطورية عربية وانك ستتخلص من كل النظم العربية خاصة النظم القائمة فى الدول الملكية التى لا تنصاع لأمرك ... وســأله عبد الناصر « فى أى اذاعات سمعت هذا الكلام ؟ فأجاب فى صوت أمريكا والاذاعــة

البريطانية وغيرهما ... فقال عبد الناصر أين تسمعها وكيف ؟ وهنا لم يخف مندوب الاذاعة الحقيقة ، وقال أنه قرأ ما تذيعه هذه الاذاعات فى نشرات الاستماع السياسى فى الاذاعة ، وعلى الفور طلب عبد الناصر من محمود الجيار أن يطلب من الاذاعة ارسال هذه النشرات بنظام اليه ، وقال عبد الناصر لمندوب الاذاعة أنشر على لسانى أن زمن الامبراطوريات قد ولى الى غير رجعة وانني لست فى حاجة الى هذه الامبراطورية وانما أسعى الى وحدة عربية كاملة تحول البلاد العربية من التفرقة الى الاتحاد ومن الضعف الى القوة ، وأنه قد فات هـــذه الاذاعات أن مصر وحدها تمثل نصف البـــلاد العربية بأجمعها من ناحيـــة عدد السكان ، وأنها بحكم موقعهـــا الاستراتيجى وحضـــارتها وثقافتهـــا تأتى فى مقدمة هذه الدول جميعـــا .

وتوقف المندوب لحظات مرتبكا الا أنه تمالك نفسه وعاد يقول لعبد الناصر « قرأت فى تقرير يصدر عن وزارة الخارجية كل يوم أحد من كل أسبوع أن الانجليز سلموا بشروط مصر كاملة بشأن مفاوضات الجلاء بين البلدين من حيث الزى الذى يرتديه الفنيون البريطان فى القناة ومن حيث العدد ، وأنها تنازلت عن أهم شرط اشترطته وهو دخول مصر فى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط .. وبعد أن طلب عبد الناصر من حرسه كذلك ضرورة موافاته بهذا التقرير بانتظام ، قال فعلا لقد وافقت انجلترا على شروطنـــا وأن المفاوضات ستستأنف بيننا ، ووافاه بموعد استئناف المفاوضات

ومكانها وأسماء أعضاء الوفدين المصرى والبريطانى . فقال المندوب الا يتطلب كل هذا عقد اجتماع لمجلس الثورة ، وأعلن عبد الناصر أن المجلس سينعقد فى الساعة الخامسة من مساء اليوم نفسه ، وكان يوم سبت واستؤنفت المفاوضات يوم الاثنين الذى يليه .

كانت تصريحات خطيرة وجديدة لم يتوصل اليها أحد ، الا أن عبد الناصر لاحظ على مندوب الاذاعة أنه لم يدون كلمة واحدة مما قاله ، فاستفسر منه فى تعاطف وود ظاهرين قائلا أراك لم تكتب كلمة واحدة مما قلته فكيف ستوافى الاذاعة به وهى الأداة الرسمية للدولة وأى خطأ فيها مهما صغر حجمه يعتبر مخالفة كبيرة ؟... فقال المندوب والعرق بدأ يتصبب منه ، لم ترد بيانات أو احصاءات يخشى الخطأ فيها وقد استظهرت كل ما قيل وسأوافى به الاذاعة تماما وحرفيا ، وهنا ركب عبد الناصر سيارته وهو يقول للمندوب سأسمع الاذاعة وسأرى كيف تصرفت وكيف كتبت ؟

وانتهى الصراع بين الصحف والاذاعة

وانطلق مندوب الاذاعة مسرعا الى دار الاذاعة . يتملكه الفرح والزهو والفخر ، فقد وقف وحده مع عبد الناصر وحصل منه على نصر صحفى كبير يتوق اليه كبار رؤساء التحرير والصحفيين وهو الذى لم يمض فى هذه المهنة أكثر من عام ، وفى الاذاعة التقى بمحمد أمين حماد مدير الاذاعة وأطلعه على ما لديه من أنباء ، فنصحه

بمراعاة الدقة التامة وتمنى له التوفيق وقال « سأستمر قلقا عليك يا بنى الى أن تذاع هذه المادة ولا يحدث أى اعتراض عليها ، وفعلا أذيعت فى نشرة الساعة الخامسة ·

كان مندوب الاذاعة أول من توجه الى مجلس الثـورة من مندوبى الصحف ، فهو الوحيد الذى يعلم بموعد انعقاد المجلس ، وفى الساعة الخامسة والثلث وصل عبد الناصر مجلس الثورة ، واذا به يلتفت اليه قائلا « لقد نجحت فى الامتحان » وكان هـذا وساما علق على صدره وكان بداية علاقة وطيدة ربطت بينه وبين عبد الناصر ، عرف منه خلالها أنه ما زال يذكره يوم أن التقى به قبل عمله كمندوب للاذاعة فى مجلس الثورة وهو يقدم له برنامج السـودان الذى كان ضيفـه الدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق فى حكومة الوفد ·

لقد كان عبد النـاصر يتميز بذاكرة قوية وقوة ملاحظة لا ينافسه فيها أحد ، حديدى الارادة والأعصاب ، وقد ساعدته صحته على العمل ليل نهار ، يطلع على كل صغيرة وكبيرة ، يلم بدقائق الأمور الى أن دهمه المرض فقل نشاطه وقلت بالتالى أمجاد الثورة وهبط رسم بيانها ، وأتيحت الفرصة لميلاد مراكز القوى التى أخذت تقوى وتشتد ولا يستطيع عبد الناصر القضاء عليها ، فقد كانت صحته فى تدهور مستمر ،والغريب أن يدهمه المرض فى وقت كانت الثورة فى حاجة الى صحته للتغلب على المشاكل والعقبـات التى

نجمت عن انفراد مراكز القوى بأمـور الدولة ، وهو الذى كان جوزيب بروز تيتو يحسده لأنه تولى الحكم فى سن مبكرة ، واذا به وهو الشاب الملىء بالقوة والحماس توافيه المنية قبل جوزيب بروز تيتو الذى امتد به العمر الى حوالى سن الثمانين ٠

ولنعد لنستكمل قصتنـا ، فقد وصـل مندوبو الصحف الى مجلس الثورة بعد وصول عبد الناصر بربع ساعة ليجدوا مندوب الاذاعة ، ففهموا على الفور أنه مصدر كل ما أذيع فى الاذاعة ، واضطروا الى طلب نص حديث عبد الناصر منه ، وكان ذلك نهاية حرب مهنية لم يكن لها من داعِ ، ولكنها تكررت بظهور التليفزيون وساد الشعور بأنه سيقلل من قيمة الاذاعة أو يقضى عليها ، وأن مستقبل السينما أصبح فى الميزان ، ولم يحدث شيئا من هـذا ، فمازالت الأذاعة تقوم برسـالتها بخصائصهـا ومميزاتها وكذلك التليفزيون والسينما ، ودعم الجميع وسائل الاتصال الحديثة التى ساعدت على نشر أنباء أى حدث يقع فى أى بقعة من العالم الى بقية العالم فى فترة لا تتجاوز الدقائق ، وغدا الاعلام بوسائله المؤثرة فى صياغة الرأى العام الشغل الشاغل لجميع الحكام وخاصة فى دول العالم الثالث ٠

أنقذ عبد الناصر مندوب الاذاعة

ويبـدو أن مندوب الاذاعة تشجع على اجراء الحوار مـع عبد الناصر ، أو أنه استمرأ الحصول على سبق صحفى كل فترة

من الزمن ، فلم يمض على الواقعة السـابقة شهور حتى فكر فى كيفية الحصول على سبق صحفى جديد ، وكانت الفرصة متاحـة حيث تعددت اجتماعات مجلس الثورة دون اذاعة شيء عن هذه الاجتماعات سوى الاكليشيـه المحفوظ « بحث السياسة العـامة للدولة » والجماهير أصبحت قلقة حول مستقبلها ومستقبل بلدها ، وكان فى رأيها أن بحث السياسة العامة للدولة لا يحتاج الى هذه الاجتماعات الطويلة ، وسرى شعور خفى بينها بأن المجلس يعـد لاعتقالات جديدة وأن هـذه الاعتقالات ستكون فى هذه المرة من نصيب جماعة الاخوان المسلمين الذى كان نشاطها قد غطى مساحة واسعة فى عرض البلاد وطولها ، وبدا أن حربا لابد قائمة بينها وبين الثورة ، وكنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة تنتابنا هـذه المشاعر جميعها ، فلم يكن هناك بد من سؤال عبد الناصر عن فحوى هذه الاجتماعات وعن المبـادىء والأسس والقواعد التى توصلت اليها .

وتصدى مندوب الاذاعة لسـؤال عبد الناصر محمسا اياه بقوله « الناس بتسأل مجلس الثورة سيعمل ايه فى الاجتماعات الطويلة دى ... واجاب عبد الناصر بأن فترة الانتقال ستنتهى فى عام ١٩٥٦ وهذا يتطلب بحث صورة الحكم بعد هذه الفترة ... شكل الحياة النيابية فى البـلاد .. شكل الدستور الخ .. وأن مهمة المجلس دراسة كل دساتير العالم لوضع دستور يناسب البلاد ، ودراسة شكل الحياة النيابية فى جميع دول العالم ليختار الحياة السياسيـة التى يراها مناسبـة للبلاد وأن مجلس الثورة سيعقد

اجتماعا فى الساعة الخامسة من مساء اليوم نفسه بمقره فى الجزيرة ٠

ووافى مندوب الاذاعة الاذاعة بهذه الأنباء واعترضت الرقابة عليها ولم يذع منها فى نشرة الساعة الخامسة سوى اجتماع مجلس الثورة فقط ، ولكن الاذاعة أعادت عرض النبأ على صلاح سالم وزير الارشاد القومى الذى استغرب أن يدلى عبد الناصر بمثل هذه التصريحات ، الا أنه كان فى مكتبه بعض الصحفيين الذين استمعوا شخصيا الى تصريح عبد الناصر ، وقالوا لوزير الارشاد ان مندوب الاذاعة سأل عبد الناصر اذا كان موافقا على اذاعة التصريح أم لا وأشار له بالموافقة ، وهنا أمسك صلاح سالم القلم وكتب على النبأ يذاع على مسئولية المندوب ٠ وأذيع النبأ فى نشرة ٨½ وقامت دنيا الرقابة ولم تقعد ، واتصلت بمدير الاذاعة تطلب منه اجراء تحقيق فورى فى الموضوع ، اذ أن عبد الناصر لم يفض بهذا التصريح على الاطلاق ، وهنا تحولت التهمة الى ما هو اكبر وأعظم ، فقد اتهمت الرقابة الاذاعة بأن بها رجالا من العهد البائد ولا بد من استئصالهم وابعادهم ٠

وفى اليوم التالى ذهب مندوب الاذاعة الى مبناها الذى كان فى هذا الوقت فى شارع الشريفين خالى البال عما حدث ، فلم يستمع الى الاذاعة ولم يعرف مصير ما حصل عليه من سبق صحفى لانشغاله فى أمر عائلى فاذا به يجد من ينتظره على الباب ليبلغه بالتوجه فورا الى مكتب مدير الاذاعة ، وهناك عرف القصة كاملة وعرف

أيضا أنه مطلوب للتحقيق معه فى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم نفسه ، وكان رده والله اذا كان عبد الناصر أنكر نسبة التصريح اليه فلا داعى للتحقيق ولتسقطوا الجزاء على بلا تحقيق ». ويقول مندوب الاذاعة واصفا مشاعره لا أعرف مصدر الهدوء الذى هبط على .. هل هو ايمان عميق بأن مالك سوف يأتيك وأن الله معى وأنه لا بد وأن ينصرنى لأننى لا ناقة لى ولا جمل فى كل ما حدث ، فقد التزمت بكل ما قاله عبد الناصر ، وزدت وسألته فوافق على الاذاعة فما هو الذى يحدث الآن اذن ؟

وتوجه المندوب الى مقر مجلس الوزراء فى لاظوغلى عله يلتقى بعبد الناصر قبل التحقيق معه ، ولم يفض لأى من زملائه بما هو فيه ، وتوجه الى غرفة صلاح الشاهد الذى كان كبيرا للأمناء ليعرف منه عما اذا كان عبد الناصر سيحضر الى المجلس أم لا ، وبعد دقائق أبلغه صلاح الشاهد بأن عبد الناصر فى الطريق الى المجلس، وكنا نحن مندوبى الصحف والاذاعة — فى استقباله وحيانا ، على عادته ، وهنا اطمأن مندوب الاذاعة لأنه اذا كان مذنبا حقا ، لماذا لم يوجه عبد الناصر اليه الاتهام وهو الذى نفى نسب ما أذيع اليه كما قيل ؟ ولو كان متهما حقا لمنع من دخول المبنى أصلا ، وها هو لم يمنع وحياه عبد الناصر مع غيره .

ولدى خروج عبد الناصر بعد انتهاء الاجتماعات وكانت الساعة الثانية والنصف ، وجه عبد الناصر الحديث للمندوب بقوله

ماذا متجهم اليوم ، فأجاب سمعت سيادتك الاذاعة امبارح وسمعت نشرة الساعة ٨ر٣٠ بالذات وأجاب بالايجاب ، فقال هل لسيادتك اعتراض ؟ فقال عبد الناصر « كنت أود ألا تربطنى مع الجماهير بأن عام ١٩٥٦ هو نهاية فترة الانتقال ، لأنه فرضا — وهذا جائز — قامت ثورة فى البلد لا بد أن أمد فترة الانتقال ، فقال له وما ذنبى أنا وقد وافقت سيادتك على اذاعة النبأ ، ٠٠ فقال وماذا حدث ؟ وهنا روى المندوب لعبد الناصر القصة بتفاصيلها ، فاذا بالرجل يصدر أوامره فى حزم واصرار ويطلب من محمد أحمد الاتصال فورا بالرقابة والتحقيق معها لمعرفة من الذى افترى عليه ؟ والاتصال بمدير الاذاعة وابلاغه بأن الموضوع منتبه بالنسبة للمندوب ٠

وأشفقنا نحن على مندوب الاذاعة ، اذ كان هو دائما فى المواجهة ، كلامه يذاع على الهواء مباشرة ، ويتحمل هو جميع المؤاخذات ونحن مندوبى الصحف « نخذها » على الجاهز ، واذا بنا نفاجأ بمندوب الاذاعة يقول « ايه الشغلة المهببة دى » ، لكنى أهواها وأحبها تسرى فى عروقى مع دمى ، أسعد بالانتصار فيها ، ولا أخاف من الهزيمة ، وحبى لهذه المهنة انما جاء من شديد شبهها بالحياة ، تصل فيها الى أعلى الدرجات ، وفجأة وبلا مقدمات نهبط الى أدناها ، ومطلوب منك أن تتقبل النقيضين ٠

- فى عام ١٩٥٥ أعلن عبد الناصر ماخاف من اعلانه فى عام ١٩٥٤ ٠

- انذر عبد الناصر رئيس تحرير الأهرام وعـــزله وعين هيكل رئيسا لتحرير الأهرام ٠

- رفضت مصر الأحلاف حتى لا تدخل فى السباق الذرى بين روسيا وأمريكا ٠

- ظهور عملاق جديد على مسرح السياسة يسمى القومية العربية ٠

- فشل أمريكا وبريطانيا فى منع عبد الناصر منالهجوم على الاحلاف كان بداية التفكير فى العدوان ٠

- رفض عبد الناصر المســاعدات الأمريكيـــة العسكرية والسياسية اذا كانت مشروطة ٠

- ١٣ -

فى عام ١٩٥٥ تغيرت صورة الثورة المصرية تماما ، فالمقاومة الداخلية قد خفت تماما واحتمالات الانقضاض عليها قد انعدمت ، ولو كان الهجوم عليها خارجيا قد اشتد بطريقة محمومة ، وكنا حينما نروى لجمال عبد الناصر تفاصيل هذا الهجوم كان يجيبنا بقوله « دعوا الكلاب تنبح فالقافلة تسير ولا يمنعها النباح » ، وأيضا فى هذا العام اكتملت سيطرة عبد الناصر على أعضاء مجلس الثورة ، وأصبحوا يعاملوه كرئيس لهم وليس معاملة الند للند الذى عانى منها عبد الناصر فى سنوات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، فأطلقت يد عبد الناصر فى شئون الدولة كما لم تطلق من قبل ، طلباته أوامر وأفكاره دستور لا يقبل النقض ولا الابرام لذلك انتصر عبد الناصر فى كل المعارك التى واجهته ، انتصر فى معركة الأحلاف ومعركة اختيار السلاح ومعركة السد العالى . وكانت كلها لحظات حاسمة عاشتها الثورة وأثرت فى مسيرتها وتأثرت بما ترتب عليها بعد طوال فترة حكم عبد الناصر ومازال تأثيرها وأثرها باديا على توجيهات السياسة المصرية حتى يومنا هذا ، وقد تجلى تأثيرها سريعا جدا حيث كانت مقدمات لعدوان غادر على مصر شاركت فيه اسرائيل كل من بريطانيا وفرنسا فى أكتوبر عام ١٩٥٦ ، ولما لم يحقق هذا العدوان اهدافه من ابقاء مصر فى حظيرة الغرب ، عادت اسرائيل للهجوم على مصر بتواطؤ مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وكانت نكسة عام ١٩٦٧ واضطرار عبد الناصر الى

قبول مبادرة روجرز لتسوية النزاع العربى — الاسرائيلى ، ولكن المنية لم تمهله ليكمل المسيرة ، لنرى هل كان سيستكين للغرب أم سيعاود حربه كما فعل فى السنوات الاولى للثورة ؟

على أية حال بدأ عام ١٩٥٥ باجتماع لرؤساء الدول العربية فى القاهرة لبحث سياسة الأحلاف العسكرية ، وتخللها زيارتان لجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند اتفق فى الاولى على وجوب حل المشاكل الدولية بالمفاوضات السلمية وأن الأحلاف العسكرية لا تكفل السلام فى أية دولة ووجوب تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية بين الشعوب واستخدام الذرة فى الأغراض السلمية وتقييد الأسلحة ذات التدمير الواسع النطاق ، واتفق فى الثانية على دعوة الدول الكبرى الى اقرار أسس السلام واستنكار عقد حلف تركيا والعراق ، كما تخللها عقد مؤتمر باندونج الذى اشتركت فيه ٢٤ دولة افريقية وآسيوية ونادى عبد الناصر بالتمسك بسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، كما تخللها زيارة الرئيس الأندونيسى أحمد سوكارنو والرئيس جوزيب بروز تيتو رئيس يوغوسلافيا للقاهرة اللذين أكدا ضرورة وضع قرارات مؤتمر باندونج موضع التنفيذ والتمسك بسياسة عدم الانحياز والدعوة للتعايش السلمى بين الشعوب ، وتخللها أيضا تنفيذ المرحلة الأولى والثانية من اتفاقية جلاء بريطانيا ورحل عن مصر ٢١ ألف جندى بريطانى من قناة السويس وتسليم مصر عد من المنشآت البريطانية فى القناة ، وردت خلالها أيضا القوات المسلحة المصرية عدوانا على خمسة مواقع مصرية فى غزة ، وعدوانا آخر قامت به اسرائيل على

أحد المواقع المصرية فى الصبحة فى ذكرى الاحتفال بوعد بلفور فى نوفمبر منه ٠

كل هذه الانتصارات دعمت موقف عبد الناصر ومنحته الثقة والقوة للوقوف فى وجه الغرب فى معاركه الثلاث معه — معركة الأحلاف ومعركة احتكار السلاح ومعركة تمويل السد العالى — وأتاحت له الفرصة أن يعلن أن التحرير الكامل هو أساس مبادىء الثورة وأن مصر مصممة على تنظيم الدفاع عن نفسها وعن العرب بجهاز ينبثق من ارادتها وارادة الشعوب العربية ، ويعلن أن مصر تقبل عرضا سوفيتيا بتسليمها دفعة من صفقة أسلحة مع تشيكوسلوفاكيا فى ٢٧ سبتمبر من العام نفسه ، ويعلن أن صفقة الاسلحة اكدت أن شخصية مصر المستقلة فى المجال الدولى ويفضح فى هذه المناسبة أسطورة توازن القوى فى الشرق الاوسط ، ويرفض عرضا امريكيا بريطانيا لمساعدة مصر فى تيسير البدء فى تنفيذ مشروع السد العالى لأنه عرض يمس كرامة مصر واستقلالها وارادتها ٠

وعلى المستوى الداخلى شجعته هذه الانتصارات أن يعلن ما خاف من اعلانه فى مارس عام ١٩٥٤ وهو أن فترة الانتقال ستنتهى فى ١٦ يناير عام ١٩٥٦ كما تعهدت الثورة من قبل وأن حكما برلمانيا سيقوم بعد فترة الانتقال على أساس غير حزبى يعمل لمصلحة المواطنين جميعا ولا يعمل للسيطرة الرأسمالية أو الاقطاع أو أية قوة خارجية شرقية كانت أم غربية ، ويعمل من أجل اقامة مجتمع

أشتراكى ديمقراطى تعاونى من أجل تثبيت العدالة الاجتماعية ، وأن الثورة الاجتماعية قد بدأت للقضاء على الظلم الاجتماعى بعد أن قضت الثورة السياسية على الاستبداد السياسى والستعمار البريطانى ٠

معركة الأحلاف

لم تنطل على عبد الناصر خدعة أمريكا بأنها على استعداد للضغط على الانجليز للجلاء عن مصر فى مقابل اشتراك مصر فى حلف بغداد ، ورفض الحجة الامريكية بأن هـذا الحلف سيدافع عن المنطقة بصفة عامة ومصر بصفة خاصة فى حالة اعتداء الاتحاد السوفيتى على مصر ، وأعلنت مصر سياستها الخارجية على أساس مبادىء ثلاثة هى : العمل من أجل السلام وتحريم الاسلحة الذرية ونزع السلاح لصالح البشرية ٠

ومن أجل السلام نبذت مصر الاحلاف والكتل العسكرية وسلكت سياسة عدم الانحياز وحاربت الاستعمار فى الداخل والخارج ، حاربته بشتى صوره وألوانه ، حاربت الاستعمار السياسى والاستعمار الاقتصادى والاستعمار الثقافى والاجتماعى أيضا ، حاربته فى البلاد العربية التى ترتبط مع مصر برباط الأخوة واللغة والدين وحاربته فى دول العالم الثالث الذى يرتبط بمصر برباط المصلحة والأمل فى الخلاص من الاستعمار وأعوانه ،

حاربته فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية لأنه يقف فى وجه التطــور ويحكم على الشعوب بالتأخر والانحلال والتطور طبيعة وقهر الطبيعة عسير ومستحيل ، ولم يتخل عبد الناصر عن محاربة الاستعمار حتى فى أحلك المواقف وأعنف الظروف ، وكان كلما أمعن فى حربه ضد الاستعمار ازداد تأييد الشعب له وشد من أزره وضحى من أجله ، بحيث تحول عبد الناصر من زعيم مكروه شعبيا الى زعيم معبود من شعبه وشعوب الأمة العربية ·

احصائية لمساحة الاستعمار

وقد شاء الواقع التاريخى والجغرافى فى عصرنا أن يتركز الاستعمار فى القارتين الأسيوية والأفريقية التى تنتشر بين ربوعهما البلاد العربية ، فقد بلغ عدد سكان المستعمرات فيهما وقتذاك نحو ٧٣٠ مليون نسمــة · يقطنون فى مســاحة من الأرض تبلغ حــوالى ٣٦٫٧٠٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع ، وفى عام ١٩٥٧ بلغ عدد سكان المستعمرات نحو ١٤٥ مليون نسمة يقطنون مساحة من الأرض تبلغ ٢٣ مليون كيلو متر مربع ، بسبب دعوة الثورة المصرية لحرب الاستعمار واستجابة الشعوب لهذه الدعوة ، وانتشار حركات التحرر والاســتقلال فى العــديد من الدول الافريقيــة الاسيوية واللاتينية ، حتى انحسر الاستعمار واستقل حوالى ٨٠٪ من سكان المستعمرات فى كل من آسيا وأفريقيا خلال ١٢ عاما ·

واستمرت موجة الحرية تشتعل وتزداد ، وتتحرر الأرض

والشعوب تباعا فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بفضل الثورة المصرية ، وخاف الاستعمار على دولته من الانهيار ، فراح يغير من خططه ليواجه الواقع القائم ، ولكن التطور كان أسرع وأقوى من تحركاته •

لم يسلم الاستعمار بالأمر الواقع

ولم يشأ الاستعمار أن يسلم بالأمر الواقع ، ولكنه كان يحنى هامته للعاصفة تارة ويقف فى وجهها تارة أخرى وكان فى كلا الفترتين خاسرا المعركة أمام تصميم الشعوب على نيل حريتها ، واذا كان الاستعمار قد سلم بالجلاء عن قناة السويس مرغما أمام التصميم المصرى وثورة الشعب المصرى ضده ، فان بريطانيا يؤازرها كل من الولايات المتحدة وفرنسا — لم تهدأ متحينة الفرصة المتاحة لتنقض على مصر وتعيد نفوذها بين ربوعها ، وحاولت كل من انجلترا وأمريكا عبثا أن تثنيا مصر عن سياستها وترغمها على الاشتراك فى حلف بغداد ، ولما رفضت مصر عقد أى تحالف مع أى منهما أو الانتماء الى حلف من الاحلاف سوى حلف واحد هو حلف الدول العربية قام المستر جيفرسون كافرى سفير الولايات المتحدة فى مصر عام ١٩٥٤ بمحاولة الضغط على مصر للدخول فى حلف بغداد مشيرا الى أن انضمام مصر الى هذا الحلف يساعد على حل النزاع فى منطقة قناة السويس ويتيح لها فرصة الحصول على المساعدات العسكرية والاقتصادية التى تريدها من الحكومة الأمريكية ، ولكن مصرا رفضت المساعدات العسكرية والاقتصادية

الأمريكية المشروطة بدخولها حلف بغداد ، ولم تيأس بريطانيا والولايات المتحدة من مواصلة الضغط على مصر ·

ايدن يقابل عبد الناصر

وقامت انجلترا بمناورة شبيهة بمناورة أمريكا ، فقد جاء فى مذكرات ايدن أنه مر بالقاهرة وهو فى طريقه الى بانكوك للاشتراك فى اجتماع منظمة الدفاع عن جنوب شرقى آسيا ، وقضى ليلة فى السفارة البريطانية ، والتقى فى مأدبة العشاء التى أقامها السفير البريطانى مع عبد الناصر وأن المارشال جون هادنج رئيس أركان حرب القوات البريطانية كان حاضرا لهذه المأدبة ، وأن المارشال هاردنج تحدث عن الموقف الاستراتيجى فى الشرق الاوسط بوجه عام ، وأن عبد الناصر قد عارضه فى كل ما قاله وصمم على أن الحلف العراقى التركى يعد نكسة تحول دون تعاون الدول العربية تعاونا وثيقا ·

ويقول ايدن فى مذكراته ، كانت هذه الحجة مألوفة لى ، فالوقت غير ملائم بالنسبة لبعض القادة ،وقد لجأنا الى كل منطق ، وبذلنا كل ما فى وسعنا لاغراء عبد الناصر على أن يوقف على الأقل انتقاداته وهجومه على حلف بغداد ويكف عن معارضته له ، ولكننى — أى ايدن — لا أعتقد أننا وفقنا فى ذلك ، وقد أخبره عبد الناصر ان مصر تفضل التحالف بين الدول العربية فقط وأنه

اذا حدث اعتداء على مصر فانها ستطلب المساعدة ، واذا اعتدى السوفيت علينا فسنطلب مساعدتكم ، أما اذا اعتديتم علينا فسوف نطلب مساعدة السوفيت .

وسأل عبد الناصر ايدن عما اذا كانت بريطانيا تنوى الاعتداء على مصر فقال ان هذا لن يكون وأن اعتداء السوفيت وحده هو المحتمل الوقوع ، وكأن عبد الناصر كان يومىء الى المستقبل ، فقد صدقت نبوءته ولم يعتد السوفيت على مصر ، ولكن الذى اعتدى عليها بريطانيا التى جاءت تعقد معها حلفا للدفاع ضد اعتداء السوفيت .

ولسنا فى حاجة الى التأكد على أن بريطانيا والغرب فى سعيهما لم يكونوا راغبين مصلحة مصر وانما كانا يسعيان لعقد هذه الاحلاف لتكون بمثابة حزام يطوق الاتحاد السوفيتى من دول موالية لهم ، على أن ينشئوا فى هذه الدول قواعد ذرية تكون على أهبة الاستعداد لتدمير الاتحاد السوفيتى عند انطلاق أول شرارة الحرب .

ولذلك رفضت مصر وصممت على عدم الدخول فى هذه الاحلاف ، بل وهاجمتها بعنف شديد فى حملات مركزة نظمتها فى اذاعتها ووسائل الاعلام بها ، مفندة مزاعم الغرب عن طريق المنطق ، مصورة فداحة ما سيصيب الدول العربية جميعا اذا هى

انضمت أو انضم احداها الى هذا الحلف ، وبفضـــل يقظة مصر وبفضل الخطر الجديد الذى ظهر على مسرح السياسة وهو القومية العربية ، تجمد الحلف الى أن انهار معقله فى بغداد بقيام ثورة ١٤ يوليو — تموز — فى العراق تلك الثورة التى أطاحت بالملك وأعوانه فى بغداد ٠

عبد الناصر يوجه انذارا لرئيس تحرير الأهرام

هجوم عبد الناصر على حلف بغداد جمده ، ومنع أية دولة عربية من الانضمام اليـــه خوفا من العملاق الجديد الذى كان يطيح بأى رئيس عربى لا يتخذ موقفا وطنيا وهو القومية العربية ، حتى العراق لم ينضم الى الحلف بناء على رغبة الشعب العراقى ولكنه انضم اليه تنفيذا لرغبة نورى السعيد صوت الاستعمار ، وحينما انتهى نورى السعيد انتهى معه حلف بغداد ، وحار الغرب فى تسمية الحلف بعد أن خرجت العراق منه ، ولما حاولت بريطانيا أن ترغم الأردن على دخول حلف بغـــداد ، وقف الشعب الأردنى صفا واحدا ضد الرغبة البريطانية ، فأرسلت بريطانيا الى الأردن الجنرال تمبلر (جلاد الملايو) علة يقنع الحكومة الأردنية بدخول حلف بغداد ، ويجلد الشعب الأردنى — كما فعل فى الملايو — اذا رفض الانصياع الى أوامره ولكن تمبلر هرب من الأردن قبل أن يجلده الشعب الأردنى ٠

وحاولت أمريكا وبريطانيا عبثا تخفيف معارضة الشعوب العربية لحلف بغداد ، وخرجا بنظرية الفراغ السياسى فى الشرق الاوسط ، فقد كان من وجهة نظرهما أن خروج بريطانيا من مصر سيتخلف عنه فراغ سياسى لا بد من ملئه بالأحلاف قبل أن يملأه الاتحاد السوفيتى الذى بدأ بالتسلل الى المنطقة وعقد صفقات السلاح مع بعض دولها وكذلك مد هذه الدول بالمساعدات لكى ينفذ الى المياه الدافئة التى كان يحلم بالوصول اليها ، وبينما المعركة محتدمة بين عبد الناصر وأمريكا وبريطانيا قام عزيز ميرزا وكان رئيسا لتحرير الاهرام بكتابة سلسلة من المقالات تناول فيها بالتحليل نظرية الفراغ السياسى ، ومن سياق هذه المقالات كان يدافع عن هذه النظرية مستشهدا بالحجج والأدلة التى روجت لها أمريكا وبريطانيا لتخفيف معارضة الدول العربية للأحلاف الأجنبيه .

وبينما مندوبو الصحف والاذاعة يحاورون عبد الناصر ويسألون عن آخر الأخبار وآخر تطورات حرب الاحلاف اذا به يقطع الحديث ويتجه الى مندوب الاهرام قائلا « بلغ عزيز ميرزا أن الفراغ الذى يتحدث عنه موجود فى دماغه هو مش فى الشرق الاوسط » وتوقف عزيزميرزا عن اكمال هذه السلسلة من المقالات وتوقع أن الازمة انتهت ، ولكنها كانت قد بدأت ولم تنته الا بتنحيته عن رئاسة الهرام وتعيين محمد حسنين هيكل بدلا منه ، ودخل الاهرام مرحلة جديدة ، مرحلة تأييد الحكومة بعد أن كان مشهورا بالحياد ، وأكمل عبد الناصر حديثه لمندوب الاهرام فقال موجها الكلام اليه « لو أنت عايز تكتب حاجة مش موافق عليها شيل

تقدر تكتبها » فرد مندوب الاهرام « يا خبر يا افندم أترفد » وهنا أضاف عبد الناصر « احنا حنعملك تنظيم للصحافة يخليك نكتب اللى أنت عايز تكتبه حتى ولو كان ضد شميل ، كان هذا تفكير عبد الناصر ومفهومـــه عن تنظيم الصحافة والذى بسببــه مصر جريدة الاهـــرام وأخرج منها الشوام وعين مصريا رئيسا لتحريرها وان كان قد سبقه مصريون تولوا هذا المنصب الا أن الشوام كانوا أصحاب الكلمة العليا فى الاهرام وهما احمد الصاوى محمد ومحمد زكى عبد القادر .

- الصحافة الغربية تصف عبد الناصر بالدكتاتورية والفاشية لأنه كسر احتكار السلاح ·
- لم يثن عبد الناصر حصار الغرب له والتشكيك فى الاقتصاد المصرى فاتهمه الغرب بالشيوعية ·
- انقذ السد العالى مصر من القحط والمجاعة عام ١٩٧٤ فتوقف الهجوم على المشروع ·
- اشترط الغرب لتمويل السد العالى الصلح مع اسرائيل وانهاء الخلاف مع الغرب ·
- حاولت بريطانيا وأمريكا اثارة السودان على مصر بسبب السد العالى ·
- رفض جمال سالم تمويل المشروع من الروس واستقلال ·

- ١٣ -

لم يكن عبد الناصر يدرى أن معاركه ضد الاحلاف الاجنبية وكسره لاحتكار السلاح واعتناقه لمبدأ الحياد الايجابى والدعــوة اليه ، لم يكن يدرى أن هذه المعارك ستؤلب عليه الاستعمار وأنه سيقف ضده ويعمل على أن ينهى عهده بأى شكل من الاشكال ، والخطأ الذى وقع فيه عبد الناصر أنه لم يدخــل فى كل معركة وينتظر الى أن ينتهى منها ، وانما كان يفتح معركة وقبل أن يغلق ملفها يفتح ملف معركة أخرى ، فبينما معركته مع الاحلاف لم تصل الى نهاية ، دخل معركة كسر احتكار السلاح ، وفى الوقت الذى لم تنته آثارها ونتائجها فتح معركة السد العالى ٠

مصر حطمت احتكار السلاح

هزم الاستعمار حينما تجمد حلف بغداد ولم يستطع اغراء أية دولة أخرى غير العراق للانضمام اليه ، ولكنه فى الوقت نفسه لم يقتنع ولم يحاول أن يقتنع بخطورة ظهور القومية العربية على المسرح ، وانما استمر فى محاولة اقناع الحكومات العربية بتنفيذ مخططاته ، ولكن كل الحكومات العربية رفضت خوفا من الخطر الجديد خطر القومية العربية الذى انتض على كل حكومة موالية للاستعمار لتقوم حكومة أخرى تساير آمال وأحلام شعبها ، هل

استغل عبد الناصر صحوة القومية العربية وعنفوانها لادارة معاركه ؟ من غير شك كان عامل القومية العربية عاملا حاسما فى معارك عبد الناصر ، فهو الذى وقف حائلا دون دخول ايه دولة عربية فى حلف بغداد ، وهو الذى شد من أزره فى كل معاركه التى تلت معركة الاحلاف ومنها معركة كسر احتكار السلاح ٠

لقد كان من بين أهداف الثورة الستة هدف يقول اقامة جيش وطنى قوى ، ولذلك كانت مهمة تجهيز الجيش المصرى بالسلاح تشغل كل ضباط الثورة ، وأول ما تصدت الثورة لانجاز هذا الهدف قصدت الغرب ، لجأت الى بريطانيا فاشترطت سكوت عبد الناصر فى مؤتمر باندونج ووقف هجومه على حلف بغداد ورد عليها عبد الناصر بأننا لسنا على استعداد لدفع الثمن من شخصيتنا ومبادئنا ، ولجأت الى فرنسا وعقدت معها اتفاقا لتزويد مصر بالسلاح ولكنها عادت والغت هذا الاتفاق لما رفضت مصر تغيير سياستها فى شمال أفريقيا ووقف مساعدتها لثورة الجزائر ، ولجأت من قبل الى الولايات المتحدة ووعدها موظف كبير فى وزارة الخارجية الامريكية تلبية طلباتها وكان ذلك فى أكتوبر عام ١٩٥٢ ، مما يعطى الدليل على أن الثورة كانت تسعى غداة قيامها لتقوية الجيش وتزويده بالاسلحة المتطورة ، ولكنها أعدت القوائم بحاجتها منا لاسلحة وحملها وفد الى واشنطن ولكنه عاد بعد محادثات طويلة دون الحصول على شيء ٠

وفى تطور الاحداث زادت رغبة الثورة فى تحطيم احتكار السلاح

والحصول عليه بأية طريقة بشرط واحد هو عدم مساس سـيادة مصر وحريتها ، خاصة عندما أغارت اسرائيل على غزة فى فبراير عام ١٩٥٥ ، ودأبت صحف اسرائيل على نشر الانباء التى تفيـد انها حصلت على مزيد من السلاح ، وزاد هذا الشعور حينما أفصح بن جوريون وغيره من زعماء اسرائيل عن نياتهم العدوانية التى تهدف الى التوسـع والسيطرة على العرب ، الامـر الذى اضطر عبد الناصر الى عقد صفقة السلاح التشيكية ٠

تهديد امريكى لمصر

أثار عقد مصر لصفقة السلاح التشيكية قلقا شديدا فى كل من واشنطن ولندن وباريس ، ووجهت كل من أمريكا وبريطانيـا تحذيرا شديد اللهجة الى روسيا بشأن بيع الاسلحة ، وواجه الغرب السياسة السوفيتية الجديدة بالهجوم على مصر وعلى عبد الناصر حيث وصفته الصحافة الغربية بالدكتاتورية والفرعونية وقالت ان كتابة فلسفة الثورة « هو نسخة بالعربية لكتاب كفاحى لهتلر وقالت انه يبشر بالعنف والعدوان ، ولم يقف الامر عند حد هجوم وسائل الاعلام الغربية على مصر وعبد الناصر بل تعداه الى حد أن أرسلت أمريكا مستر آلن يحمل تهديدا للحكومة المصرية ، ولكن عبد الناصر رفض التهديد الامريكى وقال « أنا لست رئيس وزراء محترف ، ولكنى جئت رئيس وزراء عن طريق ثورة ، ولن أتردد اذا حضر مندوب أمريكا ليتكلم كلمة تهديد واحـدة ، فى أن أطرده وأعلن للشعب أن أمريكا أرادت اهانة عزته وكرامته وسنقاتل جميعـا

لآخر قطرة من دمائنا • وانى سأقاتل فى سبيل مصر الى آخر قطرة من دمى •

وجاء مستر آلن والتقى بالرئيس جمـــال عبد الناصر ولم يستطع أن يفصح عن أية كلمة من التهديد ، وانما عرض وجهة النظر الامريكية ، واستكبرت امريكا أن تحافظ مصر على كرامتها وعزتها أمام أكبر دولة غربية بل أكبر دولة فى العالم بأسره •

حرب مصر اقتصاديا

لا شك أن هدف الغرب من احكام الحصار على مصر واحتكار السلاح ومنعه عنها وعن العرب هو ارغام مصر والدول العربية على الصلح مع اسرائيل وتصفية قضيـــة فلسطين ، ولمـــا رفض عبد الناصر وكسر احتكار السلاح لجأ الغرب الى فرض الحصار الاقتصـــادى على مصر بهـــدف أن تركع وتطلب معونات الغرب ومساعدته بالشروط التى يفرضها ولكن فات الغرب أن مارد القومية العربية الذى أطلقته الثورة يرفض الخضوع لأية سيطرة وأن مصر أعدت لكل شىء عدته •

لقد كانت بداية الحرب الاقتصادية بين مصر والغرب امتناع بريطانيا عن شراء القطن المصرى وقيام أمريكا بمحاربة القطن المصرى فى أسواق العالم ، ولكن مصر وضعت سياسة لتوزيـــع الفائض من محصول القطن فى أسواق غير أسواق الغرب ، ففى

٢٧ ابريل عام ١٩٥٥ قبلت مصر العرض المقدم من روسيا ورومانيا لتوريد كيروسين وبترول بمبلغ ٣ مليون ومائة ألف جنيه مقابل تصدير القطن « كرنك » بنصف القيمة وغزل القطن بالنصف الآخر، وفى أغسطس من العام نفسه تعاقدت الصين الشعبية مع مصر على شراء صفقة من القطن المصرى تقدر بحوالى ٥ ملايين من الجنيهات وفى ٦ سبتمبر من العام نفسه تعاقدت مصر مع الاتحاد السوفيتى على تصدير ٦٠ ألف طن أرز مصرى الى روسيا واستيراد ٥٠٠ ألف طن من البترول،وعقدت صفقة الاسلحة التشيكية على أن يدفع ثمن هذه الاسلحة على أساس المقايضة بمنتجات مصرية كالقطن والأرز وغيرهما ، وبهذه الصفقة استطاعت مصر أن تحطم احتكار السلاح والحصار الاقتصادى معا وتستورد القمح من الاتحاد السوفيتى وتدفع ثمنه بالجنيه المصرى ٠

وهذا اتهم الغرب جمال عبد الناصر أنه يميل الى المعسكر الغربى ، لأن الغرب وأمريكا بالذات كانت تعتقد أن دعاة الحياد الايجابى انما هم اميل الى المعسكر الشرقى أكثر منه الى المعسكر الغربى، وبمعنى آخر أو على الأصح فان أمريكا لا تقتنع ولا تحاول أن تقتنع بسياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى ، ومنذ هذه اللحظة قررت أن تسير فى الشوط حتى نهايته لتسقط عبد الناصر ، واذاك لا يمكن أن نعفى أمريكا من المسئولية عند تقييم العدوان الثلاثى على مصر الذى اشتركت فيه اسرائيل وبريطانيا وفرنسا ولو أن أمريكا لم تشترك فيه ووجهت انذارا لكل من بريطانيا وفرنسا بالانسحاب من الاراضى المصرية ٠

تمويل السد العالى

لم يثر لغط حول مشروع قبل البدء فى انشائه وبعد الانتهاء من بنائه مثلما ثار حول مشروع السد العالى . فمنذ لحظة التفكير فيه واللغط بدأ يدور من حوله جدل كبير ، وكان مدار هذا اللغط أن المشروع لن يعود على البلاد بالفائدة التى تعادل تكاليفه الباهظة التى تبلغ حوالى ٢٤٠ مليون جنيه ، اذ أنه بمرور الزمن سيؤدى المشروع الى القضاء على الطمى الذى يعطى الارض الخصب والنماء ، وقال المختصون ان الارض ستطبل بمعنى أنها لن تغل بمحصول مثلما تغل به الآن ، خاصة وأن البلاد كانت ما تزال تعتمد على الزراعة كمورد أساسى للدخل القومى ، وأن المشروع سيؤثر على الثروة السمكية التى تنتج عن اختلاط مياه النيل بطميها بمياه البحر بملوحتها عند دمياط ورشيد ، وينتج عنها نمو السمك باطراد زائد مما يساعد على استخراج السردين وغيره من الثروة السمكية بأسعار زهيدة يقبل عليها عامة الشعب ، حتى أن تحويل الارض فى الصعيد من رى الحياض الى الرى المستديم سيقضى أيضا على محصول الفول والعدس والسمسم التى تكون الغذاء الرئيسى للشعب ، الذى قيل عنه أنه لولا الفول لجاع هذا الشعب ، كذلك بحيرة ناصر التى ستتخلف عن السد العالى ستضيف مرض الملاريا الى مرض البلهارسيا الذى ما زال عقبة كئود يعانى منها ملايين الفلاحين وذلك غير العيوب الاخرى العديدة التى تحدث عنها الفنيون وقتذاك ولم يستمع اليها قادة الثورة ، بل حرموا عليهم

الكلام والبحث وتعرضوا للتنكيل والفصل والتشريد ، ولو تركتهم الثورة يدلون بدلوهم من الناحية العلمية والفنية لربما عدل ذلك من المشروع بما يخفف من هذه المثالب ٠

وبعد وفاة عبد الناصر تضخمت هذه الاصوات وارتفعت من جديد تعارض المشروع بشدة وتمادت الى حد المطالبة بهدم السد العالى ، ولم ينه هذا التطرف وذلك الجدل سوى حقيقة ثابتة ناصعة وضحت فى عام ١٩٧٤ ، يوم هبط منسوب المياه فى النيل بسبب نضوب الفيضان الى حد تهديد المحاصيل الزراعية بالفناء ، ولولا المياه المخزونة أمام السد العالى فى هذا العام لحدث فى مصر مجاعة وأفناها القحط ٠

وهكذا اثار مشروع السد العالى النقاش من حوله بعد الانتهاء وقبل البدء فيه ، الا أن قصة تمويله وكانت بمثابة كشف للثقة المفقودة بين عبد الناصر والغرب من أثر معارك كسر احتكار السلاح والوقوف ضد الاحلاف الاجنبية واعتناق مبدأ سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى ، تلك الثقة التى أخذت تتضاءل الى أن تحولت الى عدوان مسلح على مصر بهدف هدم النظام كله ٠

وقد واجهت الثورة عند تفكيرها فى بناء السد العالى حقيقتين على جانب كبير من الاهمية أولها زيادة عدد السكان المطرد بمعدل ½ مليون كل عام ، وثانيها هبوط مستوى المعيشة فيها نتيجة هذه الزيادة المستمرة ونتيجة للعجز فى استثمار الموارد الطبيعية

بسبب الاستعمار الطويل الذى قضى على كل أمل فى الاستفادة من هذه الموارد ، ولم تجد الثورة سبيلا لتحقيق الهدف سوى زيادة رقعة الارض الزراعية وتحويل مصر من بلد زراعى يعتمـــد على انتاج القطن ليغذى مصانع ليفربول كل عام ، لذلك صممت الثورة على بناء السد العالى بلا أدنى تردد،ضاربة عرض الحائط بالاصوات التى نادت بالتريث فى تنفيذ المشروع الى أن يتم بحثه ٠

شروط الغرب لتمويل السد

لجأت الثورة أول ما لجأت الى الغرب لتمويل السد العالى ، وبدأت خطوتها الاولى بمباحثات مع البنك الدولى للانشاء والتعمير على أساس أن مصر احدى الدول المساهمة فيه . الا أن البنـــك الدولى بعد جلسة أو جلستين من المباحثات كشف عن نواياه وعن شروطه وكانت كلها شروط سياسية لا اقتصادية ومنها اشتراط الصلح مع اسرائيل وانهاء الخلاف مع بريطانيا واقامة نظام برلمانى للاستفتاء على المشروع . وكان طبيعيا أن ترفض مصر هذه الشروط. فمصر التى وقفت أمام الاستعمار فى معركة الاحلاف واحتـكار السلاح لا يمكن أن تدفن هذا الجهاد وتقبل صاغرة شروط البنك الدولى ٠

واتصلت مصر بالشركات الالمانية والفرنسية والانجليزية على أساس أن كل شركة منها تمنح مصر خمسة ملايين من الجنيهات

قرضا متوسط الاجل ، وسافر وزير المالية المصرى الى واشنطن فقررت أمريكا معونة لمصر قدرها ٤٠ مليون دولار ، وعاد البنك الدولى وعرض أن يدفع مليون دولار على أقساط واشترط أن يطمئن الى أن العملات الاجنبيـــة المطلوبة التى ستنالها مصر من المنح الامريكية والبريطانية لن تنقطع ٠ وأنه يجب أن يتفاهم مع الحكومة المصرية ويتفق معها من وقت لآخر حول برنامج الاستثمارات أى أنه يفرض نفسه وصيا على الحكومـــة المصرية ، واشترط أيضا اشتراكه فى ضبط المصروفات العامة فى الدولة والا تتحمل مصر أى دين خارجى ولا توقع اتفاقا الا بعد موافقته ، وفى هذه الاثناء عرض السفير الروسى على مصر استعداد السوفيت للاشتراك فى التمويل ، ولكن مصر طلبت منه تأجيل العرض لأنها بدأت المباحثات مع البنك الدولى ٠

حركة الروس الامريكان

حـــرك تلويح الروس بالاشتراك فى تمويل الســـد العـــالى الأمريكان ، فسارعوا بايفاد يوجين بلاك مدير البنك الدولى ليتفاوض مع مصر فى فبراير عام ١٩٥٦ ، ولكنـــه فاجأ مصر بطلب غريب آخر ، وهو ضرورة حل مشكلة الماء بينها وبين السودان قبل توقيع الاتفاق ، وأومأ بعدم ضمانه لامريكا وانجلترا فى دفع الـ ٧٠ مليون دولار التى وعدوا مصر بها ، فانكشفت المؤامرة ، وأرادت بريطانيا وأمريكا حبكها فأوفدت سلوين ليد وزير خارجية بريطانيا بعد ذلك

بأيام للتوسط بين مصر والسودان ، ولكن عبد الناصر واجهه بتصرفات انجلترا ، وأثبت له أن انجلترا تعقد الامور بيننا وبين السودان ، فالصحف والاذاعة البريطانية تشن حملة مركزة تثير بها السودان ضد السد العالى ، وتذيع تعليقات القصد منها الوقيعة بيننا وبين السودان ، والسفارة البريطانية فى الخرطوم تجمع كل ذلك وتطبعه فى كتاب توزعه على السودانيين ، فكيف يستقيم هذا مع عرض بريطانيا لتكون وسطا بين مصر والسودان ؟ وزار مصر شيبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفيتى ، وفى الوقت نفسه عاد اليها يوجين بلاك ، وعرض شيبيلوف تمويل روسيا للسد العالى دون قيد أو شرط ، وعرض مساعدة مصر فى جميع الميادين باعطائها قروضا طويلة الأجل ، وفى الوقت نفسه أكد يوجين بلاك أن البنك الدولى عند وعده وأنه مصمم على تمويل المشروع وأن الحكومتين البريطانية والامريكية عند وعدهما ٠

وفجأة وبدون مقدمات سحبت الولايات المتحدة وبريطانيا العروض التى تقدمت بها من قبل الى مصر للمساهمة فى تمويل المشروع فى ٢٠ يوليو سنة ١٩٥٦ ، وتبعها البنك الدولى وسحب هو الآخر العرض الذى كان قد تقدم به ، وأعلنت الشركات الانجليزية والفرنسية والالمانية انسحابها من المشروع كذلك ٠

التشكيك فى الاقتصاد المصرى

لم يكتف الغرب عند حد سحب عرضه لتمويل المشروع وانما

اصدرت وزارة الخارجية الامريكيـــة بيانا شككت فيه فى قـــدرة الاقتصاد المصرى وسلامته ، وضمنته حقدها الدفين الذى تخلف عن أربع سنوات عجاف دارت خلالها معارك عنيفة بينها وبين مصر ، وكشف هذا الحقد تصريح لسلوين لويد وزير خارجية بريطانيا قال فيـــه ان سحب العروض الخاصة بالسد العـــالى كانت بسبب توسع مصر فى أعمال الدفاع والتصنيع ، كما أن مزايا المشروع اذا أمكن تنفيذه يجب أن توزع بعدالة على شعوب النيـــل كلها ، وهى دعوة صريحة لقيام الصراع بين مصر وبين هذه الدول .

اما موقف روسيا فقد اتضح مما أذاعه راديو موسكو من أن أمريكا فشلت فى محاولاتها اخضاع مصر بقوة الدولار وفى تغيير سياستها المستقلة ، وأن مصر ستمضى فى تنفيذ السد العالى برغم سحب العروض الامريكية والبريطانية .

وكان لا بد أن يرد عبد الناصر كعادته على هـــذه الحملات بالطريق العملى ، وكان يحضر للاحتفال بعيد الثورة الرابع فى مدينة الاسكندرية ، ومن ميدان المنشية حيث كان يقام الاحتفـــال فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ فاجأ العالم كله بما لم يكن فى حسبانه وبما لم يدر بخلده بالمرة .

تحول الحوار الى شجار

لم تتضمن مبادىء الثورة الستة المعلنة طريق مصر فى سياستها

الخارجية ، ولكن كان هناك اتفاقين غير مكتوبين وانما كانا بمثابة تعهد أو وصية ينبغى الوفاء بهما ، الاول أن يتم بناء المجتمع على أساس الاهداف الستة التى أعلنت فى بداية الثورة وأن يتم تحديد السياسة الخارجية بعد الانتهاء من تطبيق تلك المبادىء الستة . والاتفاق الثانى كان أنه فى حالة الخلاف فيما بينهم الذى ينتهى باستقالة أو اقالة أحد ضباط الثورة أن تستمر مخصصاته كما هى كما كانت وهو يعمل فى السلطة ، واستمر هذا المبدأ ساريا يفى به عبد الناصر ولم يخرج عليه الا فى حالة واحدة هى حالة كمال الدين حسين عندما استقال وبعث الى عبد الناصر خطابه الشهير الذى كان عنوانه « اتق الله » الذى أشار فيه الى عمليات التعذيب الوحشية التى كان يتعرض لها الاخوان المسلمون فى المعتقل ، وأمر عبد الناصر باعتقاله هو وزوجته وأولاده فى استراحة صغيرة بالهرم ، لم يستطع كمال الدين حسين أن يغادرها ، وفى هذه الاثناء مرضت زوجته وحاول الاستنجاد بطبيب ليسعفها ولكن لم يلب أحد طلبه وتوفيت زوجته قبل أن يصلها الطبيب ، وأراد عبد الناصر أن يكفر عن ذنبه فسمح لكمال الدين حسين بمغادرة المعتقل للاشتراك فى تشييع الجنازة ، أما عن الاتفاق الاول فقد كان ينم عن عدم خبرة فى تسيير دفة الامور فى الدولة ، حيث كان ينبغى الاتفاق على الخط السياسى قبل أى شىء ، وقد أثر ذلك على تطورات الاحداث وعلى علاقة أعضاء مجلس الثورة ببعضهم البعض وعلاقتهم بعبد الناصر ، فقد أطل الخلاف بينهم فى الايام الاولى للثورة بسبب عدم الاتفاق على ثوابت يلتزم بها الجميع عند مواجهة

القضايا السياسية ، وكانت أول قضية واجهتهم مصير الملك فاروق وقصة الخلاف بينهم بشأنه معروفة ومشهورة فكانت مجموعة منهم يتزعمها جمال سـالم تطالب باعدامه ومجموعة أخرى يتزعمهـا عبد الناصر تطالب بنفيه حتى لا يثير اعدامه عواصف قد تقتلع الثورة من جذورها ، وقد أثنى نجيب على هذا الرأى وأيده ، وكانت القضية الثانية هى سياسة صلاح سالم تجاه السودان الذى وصل الخلاف فيها فيما بينهم فى مجلس الثورة الى تهجم صلاح سالم على عبد الناصر بالدواية بعد نقاش حاد دار بينه وبين عبد الناصر ٠

الطريق المسفلت والطريق المتعثر

وكان أول ضحية للخلاف حول تمويل السد العالى هو جمال سالم الذى استقال فور الموافقة على العرض الروسى ورفض العرض الغربى ، بعد نقاش حاد بينه وبين عبد الناصر فى احدى اجتماعات مجلس الثورة . تدخل بقية الاعضاء وفضوه . ولكن فى احـدى اجتماعات مجلس الوزراء التى عقدت بعد هذه الواقعة ، فوجئنا بخروج جمال سالم قبل انتهاء الاجتماع ليطرح لنا القضية على اثر سؤال منا عما تم فى تمويل السد العالى . فاذا به يجيبنا بقوله ٠ أمامكم طريقان ٠٠ الاول متعثر فى بدايته مسفلت فى نهايته والثانى بالعكس مسفلت فى بدايتـه ومتعثر فى نهايته ، فأى الطريقين تختارون ؟ واختلفنا بالطبيعة فى الاجابة على السؤال ، وانما شعرنا بحاستنا السادسة وهى الحاسة الصحفية أن هذين الطريقين يشيران

الى العرض السوفيتى والعرض الامريكى المشروع ، ولكننـــا لم نستطع أن نتبين أى الطريقين يشير الى العرض الاول وأيهما يشير الى العرض الثانى ، انما الامر الذى لم نختلف عليه هو أن هناك خلافا بين أعضاء مجلس الوزراء حول اختيار أى من العرضين وأن جمال سالم اختلف معهم لأنه يؤيد العرض الغربى ، وقد أنهى المقابلة قائلا طيب شوفوا مين يرضى يشتغل وزير ، وبعد هــذه الواقعة انطوى سجل جمال سالم كما انطوى سجل أخيه وغيره من أعضاء مجلس الثورة من قبل ٠

- خطاب عبد الناصر الذى أعلن فيه تأميم القناة اثار حفيظة العالم كله ٠

- متى قرر ايدن وبينو تصفية الحســاه مع عبد الناصر وخلعه ؟

- أمر عبد الناصر بالانسحاب فور علمــه بدخول انجلترا وفرنسا الحرب مع اسرائيل ٠

- لم تنحن قامة عبد الناصر رغم حرب الغرب له اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ٠

- القومية العربية وقفت مع عبد الناصر فمنعت الاستعمار عن اجبار العرب على الصلح مع اسرائيل ٠

- بدأ العدوان الثلاثى على مصر فى نفس موعد لقاء ممثلى مصر وبريطانيا وفرنسا فى جنيف ٠

ظن الغرب أنه بتراجعه عن تمويل السد العالى قد سدد إلى مصر ضربة قاصمة لن تستطيع الوقوف بعدها وانها ستطلب منه الصفح والغفران . ولكن خاب ظنه وطاش سهمه مرة أخرى ، حينما سمع عبد الناصر يعلن استقلال سياسة مصر الاقتصادية وأنها ستتجه للتصنيع . حتى لا يستطيع مستعمر أن يستبد بها لا بالقوة ولا بالدولار ، وحينما سمع عبد الناصر يعلن أن مصر ستعتمد فى بناء السد على سواعد أبنائها القوية ، وأنها ستحقق استقلالها الاقتصادى كما حققت استقلالها السياسى والعسكرى .

وبناء عليه انبعثت فكرة الاكتتاب الوطنى لتمويل المشروع ، وسرت الفكرة بين طوائف الشعب بسرعة مذهلة ، وتدافع وتزاحم المواطنون للاكتتاب الوطنى دفاعا عن حريتهم واستقلالهم ، تلك الحرية وهذ الاستقلال الذى أراد الغرب الاعتداء عليهما .

وتوجه عبد الناصر الى الاسكندرية ليحتفل بذكرى طرد الملك الرابعة ، وفى ميدان المنشية الذى اعتدى عليه فيه منذ أقل من سنتين ، والقى خطابا تاريخيا فى ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ اهتزت له أمواج الأثير من هول القرار الخطير الذى تضمنه ، فقد أعلن أن التاريخ لن يعيد نفسه ، بل على العكس سنبنى السد العالى

وسنحصل على حقوقنا المغتصبة . ٣٥ مليون جنيه تأخذها شركة القناة فلتأخذها مصر . مائة مليون دولار كل عام تحصلها شركة القناة اصلحة مصر ··· فلنحقق هـذا الكلام وتحصل مصر على المائة مليون دولار لمنفعتها أيضا — ولهذا فاننا اليوم أيها المواطنون حينما نبنى السد العالى انما نبنى ايضا سد العزة والحرية والكرامة ونقضى على سدود الذل والهوان • الى أن قال كل واحد من أبناء مصر سيكون مثل صلاح مصطفى ومثل مصطفى حافظ ·· كلنا سنقاتل الى آخر قطرة من دمائنا فى سبيل بناء بلدنا وفى سبيل بناء مصر ·· لن نمكن منا تجار الحروب ، ولن نمكن منا المستعمرين ·· لن نمكن منا تجار البشر ، وسنعتمد على سواعدنا وعلى دمائنـا ونحن أغنياء ··· لقد كنا متهاونين فى حقوقنـا ونحن نستردها ومعركتنا مستمرة سترد هـذه الحقوق خطوة خطوة ·· وسنبنى مصر لتكون قوية وسنبنى مصر لتكون عزيزة ··· ولهذا قد وقعت اليوم ووافقت الحكومة على قرار رئيس الجمهورية بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس باسم الأمة وسرد بنود القرار الستة التى التهبت لها الحناجر ودوت الأكف بالتصفيق الحاد والهتاف الحار بحياته وحياة مصر حرة مستقلة •

وفى لحظة اعلان عبد الناصر لقرار تأميم القناة كان محمد أبو نصير والمهندس محمود يونس يباشران عملهما فى قنـاة السويس ، وما أن حملت وكالات الأنباء القرار الى شتى أنحـاء العالم ·· استقبلته الاوساط السياسية فى كل العواصم العالمية

على أنه قرار عدا، ، فمصر صاحبة قناة السويس وقد استردت هذا الحق وتعهدت أمام العالم أجمع بأنها ستحافظ على حرية الملاحة فى قناة السويس ، وقد اقتنع العالم كله بجدارة مصر وكفاءتهـــا وقدرتها على القيام بما التزمت به الا انجلترا وفرنسا وساندتهـــا أمريكا فى عزمهما الاعتداء على مصر على الفور ·

ايدن وبينو يقرران خلع عبد الناصر

لقد كان خطاب عبد الناصر فى ميدان المنشيـــة الذى اعلن فيه تأميم قناة السويس نقطة تحول هامة فى تعامل الغرب مـــع عبد الناصر ، فالغرب ظل لديه أمـــل فى جذب عبد الناصر اليـــه واستقطابه الى أن أمم قناة السويس وألقى خطابه الذى لم تسلم من لسانه أية دولة من دول العالم ولكن الغرب كان نصيبه من هجوم عبد الناصر نصيب الاسد ، كان الخطاب ارتجاليا حماسيا فجاء ماسا بالعالم كله وألب عليه العالم كله ، لذلك سارع أنتونى ايدن فى صباح يوم ٢٧ يوليو بالاتصال تليفونيا بمسيو بينو وصمما على القيام باجراء عسكرى عاجل وفعال ضد مصر ، وقررا أنـــه يجب خلع عبد الناصر وأنه ليس هناك من طريقة أنجح وأســـلم سوى استعمال القوة أو التهديد باستعمالها ، ومن غير مشاورات أو تفكير فى نتيجة استخدام القوة ضد دولة لم ترتكب أى جرم ، اتخذ سير أنتونى ايدن ومسيو بينو قرار الاعتداء ولم يبق أمامهما الا الاعداد له وتغليف رغبة العدوان والانتقام بغلاف ينطلى على

الرأى العـــام العالمى ، يظهر أن مصر هى المعتدية وأن فرنســا وانجلترا لم يرتكبا أى عمل مخالف للقانون الدولى ٠

ولكن الرأى العام كشف المؤامرة الخسيسة ووقف بجانب مصر يدافع عن حقها فى استرداد قناة السويس ووصم انجلترا وفرنسا بالعدوان ، وبفضل الرأى العام العالمى وتصميم مصر على الدفاع عن حريتها واستقلالها كسبت مصر المعركة وخرجت منها أشد تصميما على حماية الاستقلال والحرية التى أرادت انجلترا وفرنسا ومن ورائهما اسرائيل حرمانها منها الى الأبد ٠

ودخل الغرب المعركة بتشويه اجراء تأميم القناة عن طريق التشكيك فى قدرة مصر على ادارة القناة ، مروجا لفرية أنه لم يكن هناك من داع الى استيلاء مصر على القناه بالقوة ، وأن مصر كان باستطاعتها وضع يدها على القناة بالطريق القانونى بعـــد الموعد الذى استولت فيه على القناة بثلاث سنوات فقط مشـــيرة الى امتياز القناة الذى كان سينتهى عام ١٩٥٩ ٠

تصفية الحساب مع عبد الناصر

اتضح من آثار قرار تأميم القناة على انجلترا وفرنسا أنهما قررتا الاستفادة من هذه الازمة وأصبح الاحساس لدى الجماهير المصرية والعربية من المحيط الى الخليج أن التاريخ يعيد نفسه ، فكما أن انجلترا دخلت مصر فى عام ١٨٨٢ بحجة أنهـــا تحمى

مصـــالح الدائنين وتحمى قناة الســـويس ، أرادت أن تعود الى احتلال منطقة القناة وباقى الاراضى المصرية عام ١٩٥٦ ٠

وكانت فرنسا تهدف من وراء تدخلها الى أبعد من مســـألة قناة السويس ، فكما ذكرت جريدة « لوموند » يوم ١١ أكتوبر فقد كان هدفها مزدوجا وهو ضمان السيطرة على قناة السويس والامر الثانى وهو الاهم التخلص من جمال عبـــد الناصر وسياسته التى أيقظت الشرق الاوسط ، وكانت تأمل كذلك فى أن انتصارها على مصر سيقضى تماما على مقاومة الجزائر للاحتلال الفرنسى بسبب توقف العون المادى والعسكرى الذى كانت تتلقاه هذه المقـــاومة من مصر ٠

جمدت بريطانيا ما لمصر من أرصدة استرلينية وحسابات جارية وما لشركة قناة السويس المؤممة من أموال وودائع فى ٢٨ يوليو ، وبعد ذلك جمدت أمريكا بصفة مؤقتة جميع أرصدة قنـــاة السويس والحكومة المصرية التى بلغت حوالى ٦٠ مليون جنيه ، ووجهت أمريكا وأيضا انجلترا الانذارات لمصر ورفضتها مصر ، وقد صاحب الحرب الاقتصادية على مصر استعدادات عســكرية للاعتداء على مصر ، ولم يرهب مصر اجتماعات الوزارات البريطانية والفرنسية المستمرة بحضور رؤساء أركان حرب الدولتين ، ولم يرهبها تحرك بعض وحدات البحرية البرطانية فى البحر الابيض والبحر الاحمر وهما البحران اللذان تصل بينهما قناة السويس ولا اجتمـــاع أيزنهاور بالوزراء الامريكيين ولا رحيـــل الرعايا

البريطانيين والامريكان عن القاهرة واعلان بريطانيا وفرنسا لحالة الطوارىء الخطيرة واستدعائهما للاحتياطى ٠

القومية العربية تحارب المعركة مع مصر

وقد تجلت القومية العربية فى ابهى صورها تأييدا لمصر ، فكان الايمان فى ليبيا . فقد رفضت زيادة القوات البريطانية المرابطة فى أراضيها وأنذرت امريكا بانه اذا هوجمت مصر تعرضت القاعدة الامريكية لأشد الأخطار ، وكان الايمان فى الاردن حينما أعلنت أن مطاراتها لن تكون نقطة وثوب على مصر ، وأعلن اتحاد عمالها أن مصر لن تكون وحدها فى المعركة ، وكان الايمان فى الكويت العربية حينما رفضت أن يحمى الجنود البريطانيون منشآت البترول ، وحينما جابت المظاهرات أرجاءها تهتف بحياة عبد الناصر وسقوط الاستعمار . وكان الايمان فى سورية حينما هددت بقطع البترول عن الغرب اذا اتخذت اجراءات عنيفة ضد مصر بعد التأميم ، وكان الايمان فى السودان حينما أعلن وزير الحكومات المحلية أن تأميم قناة السويس يعتبر درسا لدول الاستعمار لئلا تحتقر مشيئة الشعوب الصغيرة ، كان الايمان عاما فى الدول العربية والاسلامية وغالبية دول العالم بأحقية مصر فى القناة ورفضها عدوان انجلترا وفرنسا عليها ، واختتمت مظاهر القومية العربية باجتماع للجنة السياسية لجامعة الدول العربية تقرر فيه الموافقة على التأميم،وتجلى هذا التضامن عندما اضربت جميع البلدان

العربية يوم ١٦ اغسطس وهو يوم افتتاح مؤتمر لندن الذى تقرر فيه الموافقة على تدويل القناة ٠

اننا نتذكر هذه المواقف البطولية التضامنية الاتحادية من سائر الدول العربية ، ونرجو أن تتكرر هـــذه المواقف فى الوقت الراهن والامة العربية تجتاز أخطر الفترات فى تاريخها المعـــاصر للوقوف ضـــد اسرائيل فى مخططاتهـــا العدوانيـــة التوسعيـــة الاستيطانية ٠

هذه الاصوات المتعددة المصممة على عدم انتقاض السيادة وحقوق الانسان هى التى أحبطت مؤامرات الاســتعمار ، وفى محاولة لاسكات صوت القومية العربية أصدرت انجلترا وفرنسا وأمريكا البيان الثلاثى الذى طالبت فيه أن تكون لقناة السويس الصفة الدولية ٠

أساليب لتبرير العدوان

وبعد أن أعدت انجلترا وفرنسا بالتعاون مع اسرائيل حملة العدوان على مصر ، لجأت الى أساليب استفزازية لتبرير عدوانها أمام الرأى العـــام ، ومنها تحريض انجلترا وفرنسا المرشـــدين الاجانب على الاضراب لكى تتعطل الملاحة فى قناة السويس ولكنها لم تتعطل ، وشكلت لجنة غريبة حماسية هى لجنة منزيس للتفاوض مع مصر ولكنها فى حقيقة الامر كانت تحمل انذارا لمصر وطنها عبد الناصر ، وأخيرا سحبت انجلترا وفرنسا وبعض الدول الغربية

مرشديها من قناة السويس ، وعقدت بريطانيا مؤتمرا شكلت فيه جمعية المنتفعين بالقنــاة مهمتها ان ترسل سفن اختبــار مزودة بالمرشدين وتطلب المرور بالقناة ، وفشل المشروع بعد أن رفض العديد من الدول فكرته ، وقررت شركات الملاحة العالمية عــدم مقاطعة قناة السويس تلبية لنداء انجليزى فرنسى ، وأخيرا اتفقت انجلترا وفرنسا على ارسال قافلة سفن لعبور القناة بينها سفينة اسرائيلية للتحرش بمصر ، ولما لم تجد كل هذه الوسائل لايجاد سبب يبرر العدوان ، تقرر عقد اجتماع يوم ٢٩ أكتوبر فى جنيف تحت اشراف الامم المتحدة بين ممثلى كل من مصر وبريطانيــا وفرنسا والدول المهتمة بالملاحة فى قناة السويس ، وبتقرير هذا الاجتماع بدأ الجو الذى كان كله ينذر بالحرب يزول وأخــذت الســحب التى تراكمت فى الزوال ، وتلاشت رائحــة البارود ، عندما انتقــل النزاع بين مصر وكل من بريطانيا وفرنســا الى المجال الدولى للتشاور فى حل مسألة القناة على ضوء القرارات الست التى أصدرها مجلس الامن لتكوين أساسا لمفاوضات تكفل للعالم المهتم بالملاحة فى قناة السويس كل حقوقه ٠

العــدوان

وبينما كان العالم ينتظر أنباء هذا الاجتماع باهتمام وقلق بالغين على أمل أن تنتهى الازمة ، اذا به يفاجأ ومن غير مقدمات بأن اللقاء لم يتم فى جنيف ولكنه تم على أرض صحراء سيناء ، واستمع العالم الى دوى المدافع وأزيز الطائرات بدلا من الاستماع

الى أنباء الاجتماع الذى كان مقررا عقده لبحث موضوع القناة ، فوصم العالم بريطانيا وفرنسا وصنيعتهما اسرائيل بالغدر والخيانة وكسبت مصر الرأى العام العالمى الى جانب قضيتها العادلة وخرجت من المعركة منتصرة فخورة وتركت انجلترا وفرنسا تجران أذيال الخيبة ويجنيان ثمار الهزيمة والعار والخيانة والغدر .

وبينما كنا فى أخبار الاذاعة ننتظر أنباء مؤتمر جنيف اذا بنا نستطلع الامر . فاذا بوكالات الانباء تحمل أنباء العدوان الغاشم وتقول ان الجيش الاسرائيلى هاجم منطقة الكونتيلا جنوبى صحراء سيناء على الحدود المصرية وأن القوات الاسرائيلية دخلت الاراضى المصرية عن طريق القسيمة ورأس النقب والكونتيلا ، وكانت انجلترا وفرنسا قد حبكتا المسرحية واعلنتا أنهما لن يستغلا القتال الدائر بين مصر واسرائيل للتدخل ، الا أنهما فى اليوم التالى تدخلا فى القتال ، ولم تشعر القيادة المصرية بتدخلها الا عندما قامت قاذفات القنابل النفاثة بضرب مدينة القاهرة فى الساعة التاسعة من مساء يوم ٣١ أكتوبر عام ١٩٥٦ ، والقت قنابل محرقة وأخرى شديدة الانفجار أحدثت خسائر شديدة فى الارواح ، وكان عبد الناصر مجتمعا فى هذا الوقت مع السفير الاندونيسى فى منزله بمنشية البكرى ، وعرف من الازيز نوع الطائرات وجزم بأنها انجليزية ، وعرف أن الانجليز والفرنسيين قد نفذوا تهديداتهم ، وكان ذلك بعد بدء القتال بثلاثة أيام ، وعرف عبد الناصر أن الهدف من العدوان هو تدمير القوات

المساحة المصرية عن آخرها ، فتوجه على الفور الى القيادة العامة فى القبة التى تبعد عن منزله بكيلو متر واحد فوجد ضباط القيادة مجتمعين يتدارسون الموقف ، واعطى أوامره بضرورة الانسحاب وتجميع القوات على ضفة القناة الغربية خلال يومين ، بعد أن قامت الطائرات الانجليزية بتدمير الطائرات المصرية التى كانت متجمعة فى مطارات معروفة للانجليز تماما من حيث الموقع ومن حيث عدد الطائرات ٠

بررت اسرائيل عدوانها بأن هدفها تحطيم مراكز وقواعد الفدائيين ، وادعت انجلترا وفرنسا أن هدفها هو وقاية الممر المائى الدولى ٠٠ قناة السويس ٠٠ ولكن هدف المؤامرة لم يكن هذا ولا ذلك وانما كان القضاء على مصر وقوة مصر وعلى الحكم الحر المستقل القائم بين ربوعها وعلى جمال عبد الناصر باعث الوعى فى المنطقة باسرها وحامل مشعل الحرية والاستقلال ، وكان هدفها أيضا القضاء التام على القوات المسلحة المصرية التى أصبحت من القوة الى حد أن اعترف بقوتها مجلس العموم البريطانى فأخذت بريطانيا تعمل لها الف حساب ، وكما قال عبد الناصر لو كان الهدف هو ايجاد حل لمشكلة قناة السويس لتم اجتماع جنيف وانما الهدف كان أعمق وأشمل لأن الأمر أمر بلد يريد أن يستقل والاستعمار لا يريد له هذا الاستقلال ٠

بين أمس واليوم

ان الذى يقلب النظر حول ما يحدث على الساحة العربية

اليوم وبعد اكثر من اثنين وثلاثين عاما يجد أن تخطيط الاستعمار لم يتغير ، ونظرته لم تتبدل فاذا كان قد فشل فى عام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٦ فى فرض الصلح مع اسرائيل على الأمة العربية وتدويل الممرات العربية الاستراتيجية بفضل يقظة القومية العربية ووحدة الامة العربية وتضامنها ، فانه يحاول نفس المحاولة فى عـــام ١٩٨٤ مســتغلا انطفاء مشــعل هذه القوميــة وسط الخلافات والصراعات العربية التى مزقت الامة العربيـــة شيعا واحزابا وجماعات لا حول لها ولا قوة ، والدول العربية جميعا تقف فى وجهه ترفض الصلح مع اسرائيل الا اذا كان صلحا عادلا وشاملا ودائما وترفض أية صنيعة دولية تنتقص من سيادتها على مياهها الاقليمية وترابها المقدس ، ولكنها لن تستطيع التوصل الى أهدافها وتحقيق ذاتها الا اذا اشتعلت من جديد شعلة القومية وهاجة كما كانت فى عام ١٩٥٦ ، ولو استمرت القومية العربية فى عنفوانها لما تعرضنا للعدوان ولما احتلت أراضينا وضاعت حقوقنا وحقوق الشعب العربى الفلسطينى المعتدى على أرضه ووطنه ، وفى أيدينا نحن العرب الكرة فالملعب ملعبنـــا ونستطيع أن نخطط التخطيط الذى يقضى على كل آمال الذين يريدون اضعافنا وتفريقنا وابتلاعنا قطعة قطعة ، ويد واحدة لا تصفق فعبد الناصر مهما أوتى من قوة لا يستطيع أن يعدل الكون وحده ، ولكنه مع القومية العربية المشتعلة استطاع أن يوقف التدويل واستطاع أن يحجم اسرائيل ومن ورائها من المستعمرين ، فلم يفد معه الحصار الاقتصادى والحصار السياسى والحصـــار العسكرى ، ولم تستسلم مصر

أمام أمواج الطائرات وحشد الاساطيل ، ولم يتزعزع ايمانها بل كان أقوى من الاسلحة والمدافع والقذائف التى هدمت البيــوت وقتلت من قتلت ولكنها لم تستطع أن تدك القلوب أو تنزع الايمان من الصدور ، بل حمت بور سعيد مصر كلها وفدت العروبة بدماء أبنــائها وحمت شرف الوطن العــربى كله ودافعت عن حريتـــه واستقلاله .

بالقومية العربيــة عاشت مصر عشرة أيــام مجيدة أثبت فيها شعب النيل أن الحرية قبر لكل من يعتدى عليها وان الشعب الذى ذاق طعم الحرية لا يمكن أن يعود الى الاستعباد والاذلال الا اذا فنى الشعب بأكمله ، وهل يستطيع الاستعمار افناء الشعوب فى سبيل تحقيق أطماعه وأغراضه ؟

لقد عاشت مصر أياما خالدة حاول فيها المعتدون اقتحام أراضيها والقضاء على زعيمها جمال عبد الناصر والقومية العربية ولكنهم قضــوا على أنفسهم وقوى جمال عبد النــاصر وتدعمت القومية العربية واشتدت .

ومنذ ذلك التاريخ والاستعمار يعد لقتل العملاق الجــديد عملاق القومية العربية ، وقد أعطيناه الفرصة بخلافنا وصراعنا وعدم تضامننا كما كنا ، وكان ما كان من هبوط الرسم البيانى واتساع الجزر وضيق المد ، فوصلنا الى الحال الذى نحن فيــه الذى لا يسر عدو ولا حبيب ، وأصبح لن يكون لنا وجود الا بعودة القومية والتضــامن والوحدة بين دول الوطن العربى من المحيط الى الخليج .

- الدكتور محمود فوزى يغير قرار مجلس الثورة ·
- أكاذيب انطونى ايدن لتبرير عدوانه أمام مجلس العموم ·
- ثقة الشعب فى عبد الناصر كانت خطيئة فاحشة فى نظر الاستعمار ·
- فى كل محنة كانت تمر بها الثورة كان يتجدد أمل الملك فاروق فى العودة ·
- خططت انجلترا وفرنسا واسرائيل للقاء فى السويس ولكن بور سعيد هدمت التخطيط ·
- لماذا تدخل الاتحاد السوفيتى فى المعركة وأرســـل انذاره الشهير ؟

- ١٥ -

أخطر اللحظات الحاسمة التى تعرضت لها الثورة المصرية جاءت اليها من الخارج ، فمعركة الاحلاف وكسر احتكار السلاح ومعركة تمويل مشروع الســد العالى ، وخروج مصر من دائرة الغرب وحظيرته واعتناقها لمبدأ عدم الانحياز والحياد الايجابى ، كادت أية معركة منها أن تعصف بالثورة ويعود الملك فاروق الى حكم مصر من جديد ، فقد ظل يهدد الثورة فى كل معركة تخوضها ما دام حيا ، سواء أكانت هذه المعركة داخلية أو خارجية ، وفى كل معركة كان يتجدد لديه الامل ، خاصة وأن الذين يديرون هذه المعارك هم أصدقاؤه القدامى من الانجليز والامريكان والفرنسيين ، واذا كان أمله لم يتحقق بعد ، رغم المعارك العديدة التى تعرضت لها الثورة ، فانه كان على يقين تام أن معركة العدوان الثــلاثى لا بد أنها ستجهز على الثورة ونظامها الجمهورى نهائيا ، اذ أنه كان على علم بالتخطيط والحبكة الموضوعة ليؤتى العدوان أكله .

المــؤامرة

أعدت انجلترا وفرنسا واسرائيل للمؤامرة كل الاحتمالات ، وأعدت لها ١٦٠ ألف جندى وطائراتهم وسفنهم ومؤنهم وخبرائهم للتدخل السريع المفاجىء ، وكانت المؤامرة أن يهجم جيش اسرائيل

على مصر من الشرق وهى منطقة خالية أن يجد فيها مقاومة ، ويتقدم بسرعة نحو القناة ، فتقذف مصر بقواتها المسلحة الرئيسية لملاقاة جيش اسرائيل عند الحدود الشرقية ، وهنا ترسل فرنسا وبريطانيا انذارا لمصر بوقف القتـال ، وتترك لقوات دولتيهمـا احتلال بور سعيد والاسماعيلية والسويس للمحافظة على القناة من خطر الغزو الاسرائيلى ، ويتم بهذا الغزو عزل قوات مصر الرئيسية الضاربة نحـو الشرق ، فيسهل ابادتها ابادة كاملة فى الارض الجرداء العارية ، وبذلك يمكن أن تلتقى جيوش الحلفاء فى السويس فى ميعاد أقصاه ٧ نوفمبر •

هـذه هى خيوط المؤامرة التى اجتمعت من أجلها انجلترا وفرنسا واسرائيل ، وكانت تؤمن بأنها ناجحة ١٠٠٪ ، فقد أعدت اعدادات ضخمة يمكن أن تواجه أسوأ الاحتمالات ، فقد درست دراسة دقيقة من ناحية التموين والميزانية والتكنيك الحربى والفنى ، واحيطت الحملة بسرية تامـة حتى أن ممثلى بريطانيا وفرنسـا واسرائيل أخفوا نبأ الحملة عن ممثل الولايات المتحدة الذى خامره الشك والريبة حول تصرفاتهم ، فلم يخبر ايدن الولايات المتحدة ولا الكومنولث ، ولا أعضاء مجلس العموم ولا أعضاء حزبه — حزب المحافظين — ولا لجنة الشئون الخارجية ، ولم يكن يعلم نبأ المؤامرة فى بريطانيا سـوى ثلاثة تشرشـل أستاذ ايدن فى علم السياسة ، وسلوين لويد وزير الخارجية البريطانية وايدن رئيس الوزارة البريطانية •

الحرب النفسية

حتى العامل النفسى أعد له ، فأنشأ الاستعمار الاذاعات فى قبرص وغيرها ، وقد وجهت هـــذه الاذاعات سمومها الى الشعب المصرى المكافح المناضل وكل الشعوب العربية علها تؤثر على كفاحه ونضاله . ولما نشات لجأت الى التهديد والوعيد وتقول « سنضطر الى ضربكم بالقنـــابل حيثما تكونون ولتتخيلوا قراكم وقـــد ضربت بالقنابل ، ولتتخيلوا زوجاتكم وأطفالكم وأمهاتكم وآباءكم وهـــم يفرون من ديارهم تاركين أمتعتهم وراءهم ··· انكم ما لم تجلو فلن يكون هناك أى شك فى أن دياركم ســـتدمر ··· لقد ارتكبتم خطيئة فاحشة وهى أنكم وضعتم ثقتكم فى عبد الناصر·· !!

وتعود هذه الاذاعات فتقول « نحن لا نريد الا أن نخلصكم من حكم عبد الناصر البغيض ··· ووصلت هذه الاذاعات الى حد من التفاؤل بعيد ·· فتخيلت أنها قضت على عبد الناصر ولم يبق سوى تأليف الحكومة الجديدة التى تتولى مقاليد الامور فى مصر·· وراحت ترشح بعض أسماء الزعماء القدامى لمنصب الوزارة ···

مساكين هؤلاء ·· لقد ظنوا بناء على التقارير الخاطئة التى وصلت اليهم عن طريق سفرائهم فى الشرق الاوسط انهم حينما يطرقون أبواب مصر ستقوم ثورة داخلية ضد عبد الناصر وستسلم مصر من غير أدنى مقاومة ·· مساكين هؤلاء مرة أخرى ·· فلو شاهدوا عبد الناصر وهو يجتاز الطريق الى الازهر الشريف ليؤدى فريضة الجمعة ، وكان ذلك فى اليوم الثالث أو الرابع للاعتداء··

وشاهدوا الكتل البشرية التى التفت حوله لتعلن فى بساطة الشعب المصرى المعهودة « نحن معك يا ريس » « نحن وراك يا ريس » ولو شاهدوا هذا المنظر الفريد عند عودته من الازهر حيث لم يستطع أن يشق طريقه وسط المواطنين من أبناء شعبه الذين اسلموا له القيادة وأحاطوه بالتأييد المادى والمعنوى والروحى وبأرواحهم دفاعا عن كرامة وطنهم وحريته ، لأدركوا أن أصواتهم القبيحة ذهبت أدراج الرياح ولم تؤثر قيد انملة فى روح هذا الشعب العظيم .

ليذهب ايدن أو يستقيل

ولما هدم عبد الناصر تخطيط انجلترا وفرنسا واسرائيل ، وأصدر أوامره للقوات المسلحة المصرية بالانسحاب ، ولما لم يتحقق أملهم فى تدمير هذه القوات والالتقاء فى السويس بسبب بسالة مدينة بورسعيد ، دارت الدائرة عليهم ففى الوقت الذى كان عبد الناصر يستمد العزم والقوة من شعبه وشعوب الامة العربية، كان ايدن مجرم الحرب يتعرض لحملة واسعة من الهجوم والتانيب .. فقد طلب منه مجلس العموم البريطانى الاستقالة حينما اعلن أمام سيل من الاسئلة المنهمر من الاعضاء — أنه ليس لديه اى استعداد ليذكر للمجلس أية تفصيلات عن الاعتداء على مصر ، وانهالت برقيات الاحتجاج من الجامعات والمدارس والمصانع والمؤسسات على « داوننج ستريت » يعبر فيها مرسلوها عن سخطهم على سياسة الحكومة ، ووزعت الكتيبات ولصقت الاعلانات وعقدت الاجتماعات وحاولت الحكومة البريطانية فرض الرقابة على الاذاعة ،

وكان من نتيجة ذلك أن شهدت بريطانيا أكبر مظاهرة سياسية منذ عام ١٩٣٠ وهتف المتظاهرون ليذهب ايدن أو يستقيل ، وفشلت قوة من البوليس البريطانى قوامها أكثر من ٧٠٠ كونستابل و ٦٠ من رجال البوليس الذين يمتطون الخيل فى حماية قصر الحكومة أكثر من ٤ ساعات وأسفرت المعارك بين البوليس والشعب البريطانى عن جرح حوالى ٤٠ مواطنا و ٦ من رجال البوليس .

وفى داخل مجلس الوزراء كان ايدن ووزراؤه يناقشون الموقف العسكرى فى جو مشوب بالهستيريا والقلق والاضطراب وكان مسيو بينو مجرم الحرب الآخر — حاضرا هذا الاجتماع ، بينما كان المجلس على هذه الحال تيلم ايدن تحذيرا من المعارضة قدمه انورين بيفان جاء فيه « اذا كانت الحكومة تريد اعادة فرض قانون الغابة فيجب عليها أن تتذكر أن بريطانيا وفرنسا ليستا أقوى الحيوانات فى الغابة ، فهناك حيوانات أشد خطرا بكثير تتحرش بها » وكان أنورين بيفان يقصد من تحذيره الاتحاد السوفيتى وتدخله فى المعركة .

ولكن يبدو أن ايدن لم يكن يتخيل أن الاتحاد السوفيتى سيتدخل فى المعركة ، اعتمادا على الاجتماع الدولى الذى تم بينه وبين زعماء السوفييت فى ابريل من عام ١٩٥٦ ، وتناول الحديث الموقف فى الشرق الاوسط وساده اتفاق « جنتلمان » بعد أن أوضح انتونى ايدن للزعماء السوفيت ان اعتماد بريطانيا على بترول الشرق الاوسط وصل الى حد يجعل كل محاولة مباشرة أو غير مباشرة للتدخل فى هذه الموارد تهديدا لأهم مصالحها القومية .

ولكن فان رئيس وزراء بريطانيا أن الزعماء السوفييت ولو أنهم استمعوا الى وجهة النظر هذه الا أنه لا يمكن بأى حـال من الاحوال أن يصل الدفاع عن مصالح الغرب الى حد تقتيل الآمنين من غير ذنب جنوه ، سوى أنهم دافعوا عن حقهم فى قطعة أرض من وطنهم أرادوا أن يستردوها من الاستعمار لتكمل لهم سيادتهم على أراضيهم ، وفاته أيضا أن الاتحاد السوفيتى لا يمكن أن يكف عن دعايته ضد الاستعمار البريطانى فى منطقة الشرق الاوسط ، بل ضد الاستعمار عامة فى المنطقة بأسرها ٠

لماذا تدخل الاتحاد السوفيتى ؟

لذلك كان لا بد أن يتدخل الاتحاد السوفيتى ، لأنه لولم يتدخل فى هذا العدوان ، لخسر الرصيد الذى نجح فى الحصول عليه نتيجة لسياسته قبل العدوان الغادر ٠٠ ولو لم يتدخل الاتحـاد السوفيتى فى هذه المعركة لأتاح الفرصة لبريطانيا ولغيرها من دول الاستعمار الى تصفية جميع المشاكل بينها وبين الدول الساعية الى الحصول على حريتها عن طريق الحديد والنار ، وبذلك يعطى الاتحاد السوفيتى الفرصة للدول الغربيـة للسيطرة على المنطقـة بأسرها ، ولو لم يتدخل الاتحاد السوفيتى فى المعركة لكان ذلك بمثابة موافقة ضمنية على العدوان ، وعلى الرجوع بالعالم الى عهد الغابة الذى تكون الغلبة فيه للأقوى ، ولأدى ذلك الى انهيـار المبادىء التى سعت الدول جميعا الى تأييدها عن طريق هيئة الامم، ولذلك انتهز السوفييت الفرصة ووجهوا انذارهم الشهير بضرب

بريطانيا وفرنسا بالقذائف الصاروخية وباحتلال أوروبا ، وأنذرت بأنها سترسل متطوعين الى مصر اذا لم تسارع القوات المعتدية بالانسحاب .

أكاذيب ايـــدن

ولكى يحمى ايدن ماء وجهه لجأ خلال أيام العوان الى بعض الأكاذيب علها تنطلى على الشعب البريطانى فتعيد الى مجرم الحرب الثقة التى فقدها .. فحينما نزلت قوات الباراشوت البريطانية فى بور سعيد ، ذهب ايدن الى مجلس العموم وأعلن أن هذه القوات احتلت مدينة بور سعيد ، ولم يكن يعلم أن هذه القوات قد أبيدت عن آخرها ، وان حاولت المنزول مرة ومرة ولكن الشعب البورسعيدى كان لها بالمرصاد ، فأبادها فى كل مرة ، ووصلت أكاذيب رئيس الوزراء البريطانى الى حد أنه أعلن أن حاكم بور سعيد يتفاوض حول تســليم المدينة وان الطريق من بورسعيد الى الاسماعيلية أصبح خاليا ، وأنه يمكن الاستيلاء على بور سعيد والاسماعيلية والسويس فى نزهة حربية لا تكلف المملكة المتحدة قليلا و كثيرا من التكاليف .

وفى الوقت الذى كان يعلن فيه مجرم الحرب هذه الانباء فى مجلس العموم كانت قواته فى بور سعيد لا تستطيع الصمود أمام المقاومة الهائلة التى بذلها أبنـــاء بور سعيد ضد أســلحة الدمار والخراب ، هذا ما حدث فى لندن أثناء أيام العدوان ، فماذا حدث فى مصر المعتدى عليها ؟

الميج انتصر

لن ندخل فى تفاصيل المعركة فهى معروفة تماما ، ولكننا سنلتقط منها لقطات لها دلالتها ومغزاها . فقد كانت أول معركة اشترك فيها السـلاح الجوى المصرى مـع اسرائيل قبل تدمير بريطانيا لطائراته فى أول أيام المعركة ، عندما تصدت تسع طائرات ميج لـ ١٢ طائرة ميستير اسقطت منها ثلاث طائرات واصيبت واحدة بعطب ، وحضر عبد الناصر وعبد الحكيم عامر الى مجلس الوزراء بمبلابس الميدان فور الانتهاء من هذه المعركة وهما يرددان عبارة « الميج انتصر » وكان السرور باديا عليهما ، مفعمين بالامل ، فخورين بالسلاح الجوى المصرى ، يحملان خرائط لارض المعركة مليئة بالاسهم التى تشير الى الاماكن المحتمل أن تشتعل فيها المعارك ، وقد استدعانا عبد الناصر نحن مندوبى الصحف والاذاعة واطلعنا على هذه الخرائط بحضور عبد الحكيم عامر وشرح لنا تفاصيل المعركة ، ولكن الامل سرعان ما تبدد ، وتحول السرور الى انقباض بسرعة مذهلة ، عندما تحول ميزان المعركة فى صالح اسرائيل وحليفتيها انجلترا وفرنسا ٠

وتوجه عبد الناصر الى الجامع الازهر وخطب وكان كلامه يقطر أسى ودما ، فيه بوادر استسلام عجيب لدرجة انه أعلن أن الموقف ميئوس منه ، ولكن كلامه تغير فى الاسبوع الثانى لخطبته فى خطبته الثانية التى القاها فى الجامع الازهر أيضا بعد توجيه الانذاران الامريكى والسوفيتى للقوات المعتدية وبدا أمامه بصيص

الامل فى النصر ، وكان الشعب وفيــا فى الحالتين التف حوله يهتف له بالنصر ٠

د٠ محمود فوزى يغير قرارا لمجلس الثورة

كان الدكتور محمود فوزى اقــدر المدنيين الذين شــاركوا عبد الناصر المسئولية تعبيرا عن رأيه ، ربما لتمرسه الطويل فى العمل السياسى ، وربما لحرصه على عدم اخفاء رأيه خاصة بشأن المسائل الجوهرية التى تمس مصير الوطن ٠

وقد حدث أن عقد مجلس الثورة اجتماعا فى الأيام الاولى من نوفمبر ، والقوات الانجليزية والفرنسية تندفع فى أعداد هائلة تريد احتلال بور سعيد ، واليأس مسيطر والمستقبل مظلم ، لبحث مخرج لهذه الازمة واستمر مجتمعا طوال اليوم من صباحه حتى ساعة متأخرة من مسائه ، وبينما نحن مندوبى الصحف والاذاعة مستغرقين فى تقليب الموقف على سائر وجوهه ، واذا برسول يقطع علينــا تفكيرنا فى الساعة الرابعة والنصف تقريبا يحمل نبأ سلمه الى مندوب الاذاعة ، وأبلغه مندوب الاذاعة ، وأبلغه بأن عبد الناصر يطلب اذاعته فى نشرة الساعة الخامسة ، والخبر مؤداه أن مصر قررت الانسحاب من الامم المتحدة احتجاجا على العدوان الانجليزى الفرنسى الصهيونى ٠

وبينما نحن فى انتظار انتهــاء اجتماع مجلس الثــورة ، فوجئنا بحضور الدكتور محمود فوزى الى مجلس الثورة بعد اذاعة

النبأ بأقل من ربع ساعة ، وهالنا حضوره ، وهرعنا نستفسر منه عن سبب حضوره المفاجىء وعن آخر تطورات الموقف بوصفه وزيرا للخارجية فأجابنا بقوله « اذا انسحبنا من الامم المتحدة فمن الذى سيعاوننا للخلاص من الاحتلال وأحب أن أشير هنا الى نقطة هامة جدا فى تاريخ الثورة ، تلك أن أعضاء مجلس الثورة كانوا يناقشون كل شىء ويصدرون القرار بشأنه حتى فى المسائل التى ليس لهم خبرة فيها واستعانوا بالمدنيين للقيام بها كالخارجية والعدل والصناعة والزراعة وغيرها وكثيرا ما سقطوا فى أخطاء كبيرة من جراء ذلك .

ولنعد الى الدكتور محمود فوزى الذى صعد الى الدور العلوى وانضم الى المجتمعين من أعضاء مجلس الثورة ، حيث عبر لهم عن وجهة نظره وقد أخذوا بها ، اذ فوجئنا فى الساعة الثامنة من مساء اليوم نفسه أن استدعى أحد المسئولين فى مجلس الثورة مندوب الاذاعة وطلب منه الغاء النبأ الذى أذيع فى نشرة الساعة الخامسة واستبداله بنبأ آخر مفاده أن مصر ستفكر فى الانسحاب من الامم المتحدة اذا استمر العدوان الانجليزى الفرنسى الصهيونى عليها وأنها تحمل الامم المتحدة النتائج التى ستترتب على هذا العدوان . وفعلا لم ينقذ مصر من العدوان الا الامم المتحدة خصوصا بعد الانذارين الامريكى والسوفيتى ، فقد قدم داج همرشيلد سكرتير الامم المتحدة استقالته احتجاجا على العدوان الفرنسى وطلبت الحكومة المصرية منه سحب استقالته من منصبه من أجل السلام ، وفى ٦ نوفمبر أصدر مجلس الامن والامم المتحدة قرارا بوقف اطلاق النار ، ووافقت الامم المتحدة على ارسال قوات طوارىء دولية حتى تم انسحاب المعتدين ، وفى ٢٣ من نوفمبر

انسحب آخر جندى من القوات البريطانية الفرنسية المعتدية من بور سعيد وتسلمتها القوات المصرية من البـوليس الدولى وحطم الاهالى تمثال دى لسبس ، وأصبح يوم ٢٣ من نوفمبر عيدا للنصر تحتفل به مصر كل عام ٠

ولعل ما حدث من الدكتور محمود فوزى ينفى ما قصده محمد حسنين هيكل من وراء ما رواه مرارا فى كتاباته من واقعة أن عبد الناصر استدعى الدكتور محمود فوزى وهو فى طريق عودته الى الاسكندرية من زيارة قام بها للمارشال تيتو فى جزيرة بريونى ، فور ابلاغه بانقلاب قام به عبد الكريم قاسم فى العراق يوم ١٤ يوليو لسنة ١٩٥٨ بعد أربعة أشهر فقط من اعلان دولة الوحدة بين مصر وسوريا ، وأن عبد الناصر فكر أن يسافر فجأة الى موسكو للحصول على تأييدها بعد أن سمع أن أمريكا تنـوى انزال بعض قواتها فى لبنان لضرب هذه الثورة وأن الخطر محيط بالجمهورية العربية المتحدة الوليدة حديثا ، وكان الجميع على الباخرة المحروسة ، وأن الدكتور فوزى — حسب رواية حسنين هيكل — طلب من عبد الناصر أن يمهله بعض الوقت للتفكير ، ووافق عبد الناصر وغـاب الدكتور فوزى حوالى نصف سـاعة أمضاها وحيدا يفكر فيما طلبه منه عبد الناصر ثم عاد اليه ليقول « لقد فكرت بكل طاقتى ولم أستطع أن أقرر رأيا ، وأرى أمانة أن القرار ينبغى أن يكون لك وحدك وأن تطيع فيه شعورك الداخلى الذى تستمده من قوة احساسك بثقة الناس فيك ٠

- الاتفاق بين عبد الناصر وأيزنهاور على اجلاء اسرائيل والانجليز والفرنسيين فى مقابل فتح خليج العقبة امام

- عبد الناصر يهاجم خروشوف والنظام الشيوعى ويحبط مشروع ايزنهاور لسد الفراغ فى الشرق الاوسط ٠

- خروشوف يصف عبد الناصر بالاندفاع والانفعال ونهرو يقول انه فى حاجة الى بعض الشعر الأبيض ٠

- لم يستطع عبد الناصر تنفيذ سياسة عدم الانحياز كما نفذها نهرو وتيتو ٠

- عبد الناصر يختبر رؤساء تحرير الصحف فى أول اجتماع مع أعضاء مجلس الأمة ٠

- ١٦ -

انطوى سجل العدوان الثلاثى على مصر بجلاء آخر جندى أجنبى عن أراضيها يوم ٢٣ ديسمبر عام ١٩٥٦ ، وأصبح هذا اليوم عيدا وطنيا ، يحتفل به كل عام ، وكان عبد الناصر يفجر فى الخطبة التى يلقيها فى بور سعيد بهذه المناسبة قنبلة سياسيــة ، وكانت الصحف ووسائل الاعلام تعد نفسها اذاك وها نحن اليوم قد مر على هذا العدوان ٣٠ عاما ، ولكن ما زال سجل العدوان يحمل بين صفحاته أسرارا وألغازا لم يكشف عنها بعد ، فما زال الاتفاق الذى تم على أجلاء القوات المعتدية الاجنبية من الاراضى المصرية غير معروفة تفاصيله ، وما زالت حقيقة الموقف الأمريكى والموقف السوفيتى من العدوان غير واضحة تماما ، هل كانت أمريكا لا تعلم حقــا بالعدوان وموعده أم كانت على علم به واتفقت مــع المعتدين وهم من حلفائها المقربين على أن تكون الورقة الأخيرة التى يمكن اللعب بها ؟ هل كان التحرك الأمريكى منفصلا عن التحرك الســوفيتى حقيقة فى مواجهـــة قرار وقف اطلاق النار ، أم كان منفصلا فى الظاهر وفى الخفاء كان هناك تنسيق بين الموقفين ؟ هل تضمن اتفاق وقف اطلاق النار بنودا سرية لم تعلن ومن بينها الاتفاق بين عبد الناصر وأيزنهاور على اخراج انجلترا وفرنســا من المنطقة وتسليم قناة السويس لمصر فى مقابل فتح خليج العقبة أمام اسرائيل كما أعلن فيما بعد ؟ هل كان العدوان الثلاثى بداية

التحالف بين اسرائيل والغرب والولايات المتحدة الامريكية لاستخدام اسرائيل رأس حربة للاستعمار فى المنطقة وهو التحالف الذى لم ينفصم حتى اليوم بل يزداد ويقوى على الرغم من سياسة اسرائيل العدوانية التوسعية الاستيطانية ؟ هل الذى أدى الى وقف اطلاق النار الانذار السوفيتى أم الانذار الأمريكى أم تحرك الأمم المتحدة أم هى جميعا ؟ كل هذه ما زالت أسئلة حائرة لا تجد جوابا مقنعا وما زالت محور نقاش وخلاف بين سائر المراقبين العرب والأجانب المهتمين بشئون الشرق الأوسط رغم الأعوام الطويلة والعديدة على حادث العدوان ٠

فشـــل العدوان الثلاثى

على أنه رغم الغموض الذى اكتنف نهاية العدوان الثلاثى ، كان الحقيقـــة الماثلة هى أن العـــدوان قد فشـــل وجلا الانجليز والفرنسيـــون ومعهما اسرائيـــل عن الأراضى المصرية ، وحمى عبد الناصر الجيش المصرى من الابادة بقرار الانسحـــاب الذى اصدره ، وقضى على أهداف العدوان تماما ، وحول المعركة الى ملحمة شعبية خالدة ، وأشعل فى المنطقة العربية ثورة على بريطانيا وفرنسا عميلتهما اسرائيل وحاميتهم الولايات المتحدة الامريكية ، وثار العالم كله مؤيدا عبد الناصر ، واخذ يشار اليه بالبنان ، ولقب بطل التحرير وحامى الحرية بوقفته ضد الاستعمار فى كل مكان من العالم فوقفت الدول المتحررة معه ضد الخيانة والغدر والطغيان ، وقفت معه دول العروبة ودول آسيا وافريقيا ودول الكتلة الشرقية وشعوب انجلترا وفرنسا وامريكا ، وقفت معه جميع دول باندونج

وفرنسا وأمريكا ، وقفت معه جميع دول باندونج وقف معه العالم كله يكذب مزاعم الاستعمار ، وقد زاد من مجد عبد الناصر سقوط ايدن ومولية فبعد شهر من الانسحاب قدم استقالته وبعد نحو ستة أشهر قدم موليه استقالته واختفيا الى الأبد من مسرح السياسة الدولية ، وأصبح يوم ٢٣ ديسمبر عيدا للنصر يذهب فيه عبد الناصر الى بور سعيد ، يخطب فى الجماهير مذكرا لهم ومشيدا بالمجد الذى صنعوه والنصر الذى أحرزه . وكيف أنهم حولوا انجلترا وفرنسا من دولتين عظميين الى دولتين من الصف الثالث والرابع .

عبد الناصر يهاجم خروشوف

ومما زاد من رصيد عبد الناصر الشعبى وجعله بطلا قوميا فى نظر جماهير الوطن العربى الكبير من المحيط الى الخليج مواقفه الوطنية ضد القوتين الأعظم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة عندما أحس بأنهما يحاولان استثمار ما قدماه اليه من تأييد أثناء العدوان لتدعيم مصالحهما فى المنطقة ، فقد هاجم الاتحاد السوفيتى وخروشوف علنا فى أول خطبة يلقيها فى بور سعيد بعد الجلاء ، ويعلن ملامح اشتراكيته التى ينوى تطبيقها فى المنطقة ويعلن أنه يخالف خروشوف ويقول « يجب ألا يبدر الى الذهن أن اشتراكيتنا مذهب وسط بين الرأسمالية والاشتراكية اللينينية ، وانما الذى حدث أن ثورتنا تسعى الى وضع الحلول للمشاكل التى واجهتها ، واستوحت فى هذه الحلول مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فى نطاق التضامن والتآزر والتكامل لأفراد المجتمع جميعا ....

ووسيلتها فى هذا اذابة الفوارق بين الطبقات والمساواة وتكافؤ الفرص بين الجميع . والفرق بين اشتراكيتنا والنظام الرأسمالى واضح بين انما اللبس قد يأتى عند مقارنتها بالاشتراكية اللينينية ولكن هناك فروقا بين الاشتراكيتين : —

أولا : نحن نؤمن بالله والدين والرسل ·· والشيوعية اللينينية تنكر الأديان والرسل ·

ثانيا : الشيوعية تنتقل من دكتاتورية الرجعية الى رجعية البروليتاريا ·

ثالثا الماركسية اللينينية تنص على تأميم الأرض ونحن نؤمن بالملكية الفردية ·

رابعا : الشيوعية لا تؤمن بالملكية الفردية ونحن نؤمن بالملكية الخاصة ولا نؤمن بالملكية المستغلة وهناك فرق جوهرى بين طريقتنا لتحقيق اشتراكيتنا وطريقة لينين لتحقيق اشتراكيته ·· فنحن لم نستخدم العنف ولم نحل الصراع الطبقى بالقوة ولا بحمامات الدم ··ولكن أردنا أن نحل هذا الصراع الطبقى فى اطار من الوطنية ·· ولكن الماركسية اللينينية استخدمت أقسى ألوان التعذيب والعنف لالقضاء على الصراع الطبقى والتمكين لنظامها الجديد ·

وطبيعى ألا يفوت خروشوف هجوم عبد الناصر عليه وعلى النظام الشيوعى ، فكشف النقاب عن أن هجوم عبد الناصر سببه أنه شاب مندفع انفعالى وأنه طلب منه ضرورة اقامة نوع من

الكيان الاقتصادى والنظام الحكومى يستهويان الأقطار العربية الأخرى اظهارا لمعارضته للنظام الاقتصادى الذى يحاول عبد الناصر اقامته فى المنطقة ٠

عبد الناصر يقف فى وجه أمريكا

ووقف عبد الناصر أيضا ضد أمريكا عندما عارض مبدأ أيزنهاور لسد الفراغ المزعوم فى الشرق الأوسط الذى قدمه للكونجرس الأمريكى فى يناير عام ١٩٥٧ الذى بين فيه سياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط وأعلن فى المشروع أن هناك فراغا فى منطقة الشرق الاوسط وطلب تخويله السلطات لاستخدام القوة لمنع سيطرة الشيوعية الدولية على المنطقة ، وأعلن عبد الناصر أن هذا المبدأ ليس الا امتدادا للروح الاستعمارية ، فوقفت دول المنطقة العربية جميعا ضد مشروع ايزنهاور ولم تستطع دولة ما أن تشذ على هذا الاجماع خوفا من عملاق القومية العربية المنتشر وقتذاك ، فقبر المشروع فى المهد وقضى عليه وعى الدول العربية ، كما قضى من قبل على حلف بغداد وعلى كافة المشروعات الاستعمارية التى حاول الاستعماريون وعملاؤهم أن يجروا بها المنطقة الى مناطق النفوذ الأجنبى ، ولم تتوقف حركة التضامن بين الشعوب الآسيوية والافريقية التى أسسها عبد الناصر الى أن نالت الغالبية العظمى من هذه الدول استقلالها وهذا يعنى مزيدا من الاندحار لقوى الاستعمار الآخذة فى التدهور أمام تصميم الشعوب لنيل حريتها وكرامتها ٠

عدم انحياز عبد الناصر

الى هذا التاريخ كان عبد الناصر قادرا على حفظ التوازن فى علاقاته مع الشرق والغرب ، ولكن أمريكا أرادت أن تحتوى الثورة ، لما وصل الى علمها أن مصر فى طريقها الى التحول الى الاشتراكية ، وأن أصواتا تلقى تأييدا شعبيا كبيرا — نادت بتحديد الملكية ، ، فأرادت — أى أمريكا — أن تجعل من الثورة المصرية نظاما عسكريا كالنظم التى سعت الى اقامتها فى الدول التى انتشر فيها الوعى الاشتراكى .. ولما فشلت فيما سعت اليه وضعت المتاريس والعقبات والأشواك فى طريق عبد الناصر ، مستهدفة الا تحقق الاشتراكية التى نادى بها أية فائدة للشعب المصرى حتى لا تنتقل عدواها الى البلاد العربية الأخرى ليكون ذلك نهاية لنفوذها فى المنطقة ، فرتبت الحرب الاقتصادية والاحصار الاقتصادى وسحب تمويل السد العالى ومؤامرة العدوان ، ولو أنها لم تظهر فى الصورة العيان لأنها لم تكن قد فقدت ثقتها بعد نهائيا فى احتواء عبد الناصر وثورته ، ثم التآمر على الوحـــدة التى قامت بين مصر وسوريا ، وفتح جبهة حرب اليمن ثم العدوان فى عام ١٩٦٧ ، كل هذا رتبته لتستنفد موارد مصر وتضعف اقتصادها ، وتضيع ثمار الاشتراكية حتى تصبح أمام الكثيرين أنها ليست الحل الأمثل لما يعانوه من مشاكل .

وللحقيقة فان عبد الناصر قاوم الضغط السوفيتى والضغط الأمريكي لاحتوائه ، واستمر في مقاومته هذه والتمسك بالحياد بين

القوتين العظميين الى أن جاءت نكسة ١٩٦٧ دهمه المرض أو قل اشتد عليه اذ أن موعد مرضه كان فى أعقاب الانفصال عام ١٩٦١ .
فلم يعد يحتمل الصراع وترك الحبل على الغارب لظهور شخصيات على السطح التى قيل عنها فيما بعد مراكز القوى واضطر الى ترك السوفييت كتغلغون فى شئون الدولة ويسيطرون على شئون الانتاج والسياسة والقوات المسلحة الى أن طلب من السوفييت الأسلحة الهجومية مع الأسلحة الدفاعية التى كانوا يمدونه بها ورفضوا طلبه ، أدرك عبد الناصر أبعاد المؤامرة ، وبدأ فى التخلص من النفوذ السوفيتى بقبوله مبادرة روجرز وهو يجرى مباحثات مع زعماء الكرملين فى موسكو ، وأعلمهم بذلك كنوع من الضغط والتهديد علهم يجيبوه الى طلبه ، ولكن المنية وافته وهو فى هذا الموقف الذى لا يحسد عليه على أن رفض السوفييت مد عبد الناصر بالأسلحة الهجومية يؤكد الراى القائل بأن العدوان الثلاثى على مصر غير مقطوع الصلة عن نكسة ٦٧ ، فكلاهما مؤامرة دولية على مصر لاخماد صوت الحرية الذى نادت به وهز أركان المستعمرين ، والا فكيف يمكن تفسير ذهاب السفير السوفيتى الى عبد الناصر فى ليلة ٥ يونيو عام ١٩٦٧ فى وقت متأخر وكذلك السفير الأمريكى يحذرانه من مغبة التورط فى حرب مع اسرائيل والاعتداء عليها !! وفى الصباح صباح ذات الليلة يفاجأ العالم بأن اسرائيل بدأت العدوان ودمرت سلاح الطيران المصرى ، لا تفسير لهذه الصورة الا أن مصر كانت هدفا لمؤامرة دولية ، وأن الروس والأمريكان كانوا على علم بموعد هجوم اسرائيل وأن الاتفاق تم بينهم على تدمير قوة مصر المسلحة وتدمير ارادتها التى ايقظت بها الشعوب وأقامت التحالف بينها للوقوف ضد الاعيب

القوتين الأعظم ، فنحن دائما نجزم بأن اسرائيل لا يمكن أن تتحرك الا اذا تلقت الضوء الأخضر من أمريكا لهذا التحرك ، وأكد ذلك توجه السفير الأمريكى الى عبد الناصر ليساعد الهجوم الاسرائيلى على تأدية المهمة التى قام من اجلها ، أما الاتحاد السوفيتى فقد كان يبـــدو أنه يقف فى صف مصر ضـــد تحركات الغرب ضدها وانكشف أمره فيما بعد بحيث أصبح فى نظر المصريين لا يقـــل ضراوة وخطورة من الولايات المتحدة •

أيا كان الأمر فمما لا شك فيه أن عبد الناصر لم يستطع السير بسياسة عدم الانحياز بكياسة وحكمة ، بالرغم من أنه كان دائما يستشير معلمه تيتو فى كل صغيرة وكبيرة يقدم عليها فى هـــذا الميدان ، وكان تيتو يحسده على أنه تولى الحكم وهو صغير السن وكان يتوقع له مستقبلا كبيرا فى عالم عدم الانحياز وفى العالم ، ولكن عبد الناصر لم يستطع أن يؤدى الدور كما أداه نهرو وتيتو شريكاه فى الدعوة لعدم الانحياز ، ربما بسبب حساسية المنطقـــة التى عاش فيها وأهميتها الاستراتيجية بالنسبـــة للعالم أجمع ، وربما بسبب وجود اتفـــاق مسبق حول مستقبل هذه المنطقة بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ، وربما بسبب قلة خبرته السياسية التى أشار اليها نهرو فى عبارة رقيقة وجهها اليه حينما قال له « انك فى حاجة الى بعض الشعر الابيض •

عبد الناصر يختبر رؤساء التحرير

المهم أن عبد الناصر أتى من الاصلاحات بعد فشل العدوان ما بهر الشعب والشعوب العربية فأصبح له مريدون ومؤيدون فى

سائر أنحاء العالم العربى أطلقوا على أنفسهم لقب « الناصريين » وصار عبد الناصر رمزا للأمل والقوة لا فى مصر فحسب وانما فى الوطن العربى الكبير من المحيط الى الخليج ، ففى أعقاب نجاحه فى صد العدوان أصدر القوانين التى حررت الاقتصاد الوطنى من السيطرة الاجنبيــة ومصر البنوك والشركات وأنشأ المؤسســات الاقتصادية لتنمية الانتاج القومى وأنشأ مجلس أعلى للتخطيط وأعلن برنامج الخمس سنوات للتصنيع فى الوقت الذى تفجر فيه البترول فى صحراء سيناء ، وأصدر قراره بدعوة الناخبين الى اجــراء انتخابات عامة معلنا انتهات فترة الانتقـــال وبداية فترة تحقيق المبدأ السادس من مبادىء الثورة وهو اقامة حيــاة ديمقراطية سليمة بعد أن حققت الثورة القضاء على الاستعمار وأعوانه والاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم واقامة عدالة اجتماعية بين المواطنين وجيش وطنى قوى .

وعقب تشكيل أول مجلس للأمة عام ١٩٥٧ التقى عبد الناصر بأعضاء هذا المجلس بالقصر الجمهورى بالقبة ، وحضر هذا اللقاء رؤساء تحرير الصحف ، وكان البروتوكول يفرض جلوس أعضاء كل محافظة فى مجلس الأمة على حدة ، ليتمكن عبد الناصر من الجلوس مع ممثلى كل محافظة ليسمع منهم كل شئـــون المحافظة وكيفية التغلب عليها ، وعرف رؤساء التحرير ذلك الأمر ، وتقدم مصطفى أمين وكان رئيسا لتحرير الأخبار وأخبار اليوم الى أعضاء كل محافظة ، وسلم واحدا فى كل محافظة بلوك نوت وقلم باركر ، وطلب منه تسجيل كل ما يدور من حديث بين أعضائها وعبد الناصر ،

على أن يحضر فى نهاية الاجتماع لتسلم البلوك نوت وترك القلم الباركر هدية من الجريدة الى العضــو الذى قام بتسجيــل وقائع اللقاء ، وتسلم مصطفى أمين ما كتبه الأعضاء ، وتوجه الى مكتبه وحرر كل ما جاء فى البلوك نوت ، وكون موضوعا مطولا أشبه بالتحقيق الصحفى عن مشاكل المحافظات وتوجيهات عبد الناصر بشأنها! ولكن رؤساء التحرير الآخرين توجهوا الى مكاتبهم وحرروا ما لديهم من أنباء فى خبر عام حول الاستقبال الحار الذى لقيه عبد الناصر من أعضاء مجلس الأمة ، وأنه أعطى توجيهاته فيما أثير من مشاكل فى محافظات الجمهورية ٠

وفى آخر الليل أجرى عبد الناصر اتصالا تليفونيا برؤساء التحرير ليطلع على ما كتبوه بشأن هذا الاجتماع أو ليقوم بدور الرقيب على ما كتب ، فلم يجد لديهم جديدا الا عندما اتصل بمصطفى أمين الذى فاجأه بتفاصيل ما دار بينه وبين أعضاء مجلس الأمة ، وطلب منه الاذن بنشره وأذن له ويومها خرجت الأخبار بســبق صحفى كبير بسبب حيلة مصطفى أمين وتفكيره ٠

ونحن نسرد وقائع هذه الحادثة لا بد وأن نشير الى تسلط الرقابة على الصحف الذى قتــل اجتهاد الصحف للحصــول على الأنباء ، لمــا تكرر أن الصحفى الذى يحصل على نبأ خاص به ، يفاجأ فى حالة السماح بنشره بأنه منشــور فى جميع الصحف بصيغة واحدة ، وحتى بطريقة واحــدة من حيث الاهتمام به من عدمه ، ووصل التحكم فى الصحف وقتذاك أن الأخبار الهامــة

كانت تملى على الصحف جميعا فى آخر الليـــل ، وكثيرا ما كان يطلب من الاذاعة عدم اذاعة هذه الانباء الا فى اليوم التالى نقلا عن الصحف ٠

وكان المقال الوحيد الذى تقوم الاذاعة باذاعته هو مقـــال محمد حسنين هيكل بعنوان « بصراحة » الذى كان يصدر كل يوم جمعة وفيما بعد تم اتفاق بين الأهرام وجريدة الأنوار فى بيروت أن تنشره مع الأهرام كل يوم جمعة ٠

وبهذا النظام أصبحت الجرائد اليومية نسخة مكررة ، بحيث كان القراء يكتفون بجريدة واحـــدة من الجرائد الثلاث اليوميـــة وأخذوا يتساءلون « اذا كان الأمر كذلك فما هو الداعى لاصدار الجرائد الثلاث ولماذا لا يكتفى بجريدة واحدة ؟

- لم يكن الدافع للوحدة بين مصر وســوريا قوميا صرفا وانما كان الدافع القومى واحدا من دوافع عديدة ٠

- كان عبد الناصر يسافر الى ســوريا سرا بسبب تهــديد اسرائيل طرق البر والبحر والجو اليها ٠

- اصطحاب عبد الناصر لهيكل وحده فى كل تحركاته اثار حفيظة رؤساء التحرير الآخرين ٠

- لم يحسن الســوريون الذين التفــوا حول عبد الناصر النصيحة وكان ذلك بداية المتاعب ٠

- حاول عبد الناصر تحويل المجتمع الســورى الى مجتمــع تحالف قوى الشعب العامل ولكنه فشل ٠

- عبد الناصر يقول لأكرم الحورانى : اذا كانت الديمقراطية تحتاج الى مثل هذا الحوار الطويل فلا يمكن ابدا اقامتها فى أى بلد ٠

- لم يعبــأ عبد الناصر وهو فى قمــة نشوة الاســتقبال بالتحذير من أن نكســة ثورته ستجىء من دمشق وليس من القاهرة ٠

١٧

انتصر عبد الناصر فى معركة العدوان سياسيا وعسكريا ، وجاء هذا الانتصار بمثابة تأكيد لمبادئه ونجاح لها ودفع جديد المد الثورى الذى أشعله فى أرجاء الوطن العربى الكبير وارجاء الدول النامية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا التينية ، وازداد شعور الاستعمار بخطر الثورة المصرية على وجوده وعلى مستقبله ، وجاءت الوحدة مع سـوريا تتويجا لانتصارات عبد الناصر ، وكانت فى الوقت نفسه سببا فى تشديد حصار الاستعمار من حوله ، ولذلك فلم يكد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية يصل الى مصر ليجرى مباحثات بشأن الوحدة بين مصر وسوريا ، التى كانت الحل الوحيد لانقاذ سوريا من مستقبل مظلم ينتظرها ، اذ أنهـا كانت نهبا لمذاهب سياسية عديدة ، من بعث الى شيوعية الى رأسمالية الى قومية عربية الى دعوة انفصالية وأخيرا سنة وشيعة وعلويين ودروز وصراع مرير بينهم ، جعل سوريا نهبا للانقلابات العسكرية، حتى قيـل أن الضابط الذى يستيقظ مبكرا يقوم بانقلاب عسكرى جديد ، وجعلها اما تقع تحت سيطرة الحكم الشيوعى السوفيتى أو الحكم الرجعى الأمريكى كمـا كان يطلق على كل حكم يـؤيد الأمريكان فى ذلك الوقت وكما كان يتم تصنيف الحكم فى البلاد العربية ، وقد رأى شكرى القوتلى فى الوحدة مع مصر خلاصـا لسوريا من أمراضها السياسية ، خاصة وأن الشعب السورى كان

يرى فى عبد الناصر بطلا قوميا لا يجد مثله بين أفراد الشعب ليلتف حوله ، أى أن الوحدة بين مصر وسوريا لم يكن الدافع لها قوميا صرفا وانما كان لها دوافع كثيرة من بينها الدافع القومى ٠

والاستعمار لم يكن غافلا عن خطر قيام الوحدة بين مصر وسوريا عليـــه ، فاستخدم ســـلاح الشائعات عله يوقف اندفاع الشعبين نحوها ، فلم يكد القوتلى يصل الى القاهرة حتى بدأت حرب الاشاعات فى الاذاعات الاستعمارية التى كانت تبث ارسالها من الأراضى العربية ، وسمعنا أن الوحدة الطبيعية لمصر مع السودان وليس مع سوريا ، وأن هـــذه الوحدة لن يقدر لها البقـــاء طويلا لاختلاف الشعبين وبعد المسافات بينهما ووقوع اسرائيل بينهما ، ومن سوريا سمعنا أنهم قبلوا الوحدة مع مصر بسبب عبد الناصر وأنه الرابطة الوحيـــدة بين البلدين ، ومعنى هـــذا أن استمرار الوحدة مرهون ببقاء عبد الناصر ، ظروف غريبة ومنطق أغرب ، ولكن على أية حال فقد نجحت المبـــاحثات وتم الاتفـــاق وأجرى الاستفتاء عليها وأقرها الشعبان ٠

سرية سفر عبد الناصر الى سوريا

بعد اقرار اتفاق الوحدة ، كان على عبد الناصر أن يتوجه الى ســـوريا ، ليخوض تجربة الوحدة معها ، وقد أطلعـــه شكرى القوتلى على مسار الأمور هناك تماما ، وأغلب الظن أنه وضع معه التخطيط للسير بالسفينة الى بر الأمان ، وكان عبد الناصر يحيط

بسفره الى سوريا بسرية وتكتم شديدين ، ذلك لأن اسرائيل كانت تهدد الطريق البرى الى سوريا ، وتعوق طريق البحر وطريق الجو ، واختار عبد الناصر طريق البحر على متن الحرية وهو اليخت الذى كان يطلق عليه لقب المحروسة أيام فاروق وكان يستخدمها فى رحلاته البحرية ، ولم يصحب عبد الناصر معه من رؤساء التحرير سوى محمد حسنين هيكل ، وأعطى أوامره بضرورة تواجد رؤساء التحرير الآخرين فى استقباله لدى وصوله الى ميناء اللاذقية ٠

وفى يوم وصول عبد الناصر الى اللاذقية أعدت طائرة حربية لتقل رؤساء التحرير مباشرة الى اللاذقية وقد اختارهم عبد الناصر بنفسه ، ولم يكن لديهم علم واضح بأنهم متوجهون الى سوريا والى اللاذقية بالذات وانما كانت التعليمات لديهم أن يتواجدوا فى مطار الماظة الحربى فى الساعة السابعة صباحا ، وتوجه كامل الشناوى وأحمد بهاء الدين وغيرهم فى الموعد المحدد ، وكانت التعليمات قد صدرت الى مندوب الاذاعة وحده من بين مندوبى الصحف فى مجلس الثورة بالتوجه الى مطار الماظة ٠

حديث بين حاتم وسامى شرف وحماد

وتوجه مندوب الاذاعة طبقا لتعليمات مدير الاذاعة محمد أمين حماد الى مطار الماظة ، وكان الفريق سعد الدين الشريف الذى أصبح فيما بعد كبيرا للياوران هو قائد الطائرة الحربية المسافرة الى سوريا ، وكان مندوب الاذاعة يعرفه معرفة وثيقة ، ولما أبلغه

أن مدير الاذاعة أبلغه بالتوجه الى المطار وهو أى مندوب الاذاعة لا يعرف التفاصيل ، أخرج سعد الدين الشريف من جيبه كشفـا بأسماء رؤساء التحرير المعتمدين ، وأضاف لا ضير عليه أن يضمه الى الكشف بسبب معرفته الوثيقة به ، وانما خوفه يجىء من أنه لو حدث — لا سمح الله — ما يمنع من الوصول سالمين فان دمه سيضيع هدرا ، وهنا سأله مندوب الاذاعة عن المسئول عن الركوب معه فى هذه الطائرة ، أجاب بأنه سامى شرف ، وأنه يمكنـه الاتصال به لبحث الأمر ، ولكن مندوب الاذاعة رأى الاتصال بمدير الاذاعة الذى كلفه بالمهمة ٠

واتصل مندوب الاذاعة بالمدير فى منزله فى الصباح الباكر ، فلم يجده وقيل له انه خرج للتريض وسيعود الى المنزل خلال ربع ساعة ، فترك رقم تليفونه وطلب ضرورة الاتصال به فى المطار ، وفى الساعة السابعة والنصف اتصل به عن طريق سويتش الاذاعة ، وطلب من عامل السـويتش الاتصـال بالدكتور حاتم فى منزله ، فاستيقظ من نومه وطلب من عامل السويش توصيله بسامى شرف ، وبذلك اصبح على التليفون حاتم وسامى شرف وحماد ومنـدوب الاذاعة ، وطلب حماد من سامى شرف ادراج اسم المنـدوب فى كشف رؤساء التحرير ، فرد عليـه بأن هـذه الأسماء اختـارها عبد الناصر شخصيا ، وهنا تدخل حاتم وسأل سامى شرف عمن أعطاه الكشف فأجاب بقوله « سيادتك » وهنـا أضاف حاتم أن عبد الناصر ضم مندوب الاذاعة الى الكشف ، فما كان من سامى شرف الا أن أصدر أوامره لاتخاذ اجراءات سفر مندوب الاذاعة ٠

ويروى مندوب الاذاعة فيقول ، وصلنا اللاذقية ، ولم يكن مطارا بالمعنى المعروف ، فلم يتعد أنه مكان فسيح تهبط فيه الطائرات وملحق به بوفيه صغير مع غرفة لبعض العاملين ، ولما هبط كامل الشناوى من الطائرة — وكان رحمه الله لا يتحمــل الجوع ولا يطيقه — طلب على الفور خبزا . ولم يكن فى المطار أى نوع من الخبز ، ولما أصر على طلبه توجه أحد المستقبلين من السوريين الى فلاح فى الحقل المجاور وأحضر منه رغيفين من الخبز ، ولم يجد كامل الشناوى بدا من أن يبتاع كمية من اللب وهو الصنف الوحيد الذى كان موجودا فى البوفيه الصغير وأكل الخبز مع اللب .

فى مينـــاء اللاذقية

وتوجهنا — والكلام لمندوب الاذاعة — الى ميناء اللاذقيـــة لنكون فى استقبال عبد الناصر ، فشهدنا استقبالا لم نر نظيرا له فى حياتنا ، وهالنا ما رأينا ، وأهل يخت الحرية ، وظهر فيه عبد الناصر وبجانبه محمد حسنين هيكل ، وكان رئيس التحرير الوحيـــد الذى يحظى بمرافقـــة عبد الناصر فى جميـــع تنقلاته وحركاته ، مرة واحدة يتيمـــة صحب فيها عبد الناصر رؤســـاء التحرير جميعا عندما حضر مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ .

محمد حسنين هيكل

وقـــد كثرت الأقاويل حول هـــذا الموضوع ، فمن قائل ان رؤســـاء التحرير فشـــلوا فى مهمتهم فى مؤتمر باندونج فعزف

عبد الناصر عن اصطحابهم ، ومن قائل أن هيكل هاجم جميع هؤلاء الرؤساء وشطب عليهم واستأثر بالأمر وحده ••• وأصبح هو الصحفى الوحيد الذى عايش أحداث الثورة من الداخل ، أعنى أنه كان شاهد عيان لكل هذه الأحداث بل وشارك فى معظمها بالرأى والمشورة ، فاستهدف الى حملة مركزة من سائر الصحفيين سواء فى مصر أو فى العالم العربى ، وفى بيروت بالذات هاجمته الصحف اللبنانية وأطلقت عليه لقب « ساعى البريد » لتجرده من فنه الصحفى ، ولكن لم تكن هذه الصحف محقة فيما ذهبت اليه ، فصحيح أن عبد الناصر كان يمده بمادة غزيرة وأسرار خطيرة ، ولكنه من ناحيته استطاع أن يصنف هذه المادة أحسن تصنيف فى قسم المعلومات فى الأهرام ، وأصبح أغنى هذه الأقسام فى الصحف بالوثائق والمستندات ، واستطاع هو أن يستخدم هذه المادة كلما أراد معالجة موضوع من الموضوعات الهامة ، وكثيرا ما أدهش عبد الناصر والقراء بما تحويه مقالاته من عرض وتحليل وتعليق ، ومن الناحية الفنية الصحفية فان محمد حسنين هيكل استطاع أن يمزج بين مهمة الريبورتر وهى المهمة التى نبغ فيها فى بدء حياته الصحفية ومهمة الكاتب ، فغدا صحفيا من الطراز الأول ، يشد القارىء شدا ، ويستحوز على تفكيره تماما ، وهذا جل ما يصبو اليه الكاتب الصحفى •

فعل عبد الناصر ما فعله فى مصر

لعلنا قد استطردنا ولنعد الى الموضوع ، لقد شدت عبد الناصر

الاستقبالات الرائعة التى شهدها وأذهلته ، فأعلن أنه سيمضى فى مصر ستة شهور وفى سوريا الستة شهور الأخرى من العـــام ، وزار عبد الناصر جميع المدن السورية تقريبا ، وانتهى به المطاف فى دمشق ليبدأ عملا مضنيا شاقا لتثبيت دعائم الوحدة بين مصر وسوريا كى تصلح أن تكون نواة لوحدة عربية شاملة ، فأقدم على اصلاح المجتمع فى ســـوريا وأحدث فيه ما أحدثه فى مصر ، على اصلاح المجتمع فى سوريا وأحدث فيه ما أحدثه فى مصر ، الا أنه لم يستطع أن يجمع من حوله المخلصين المؤمنين بالوحدة وحتميتها، وانما التف حوله الانتهازيون والنفعيون ، فلم يقدموا له الدراسات الصحيحة للمجتمع الســـورى وما ينبغى تعديله من التجربة التى تمت فى مصر ، على ضوء ما يختلف فيه المجتمع الســـورى عن المجتمع المصرى من حيث التاريخ والعادات والتقاليد والطباع ، فوقعت التغييرات عليهم موقع الصاعقة ، وكانت عداوتهم لها أكثر من عداوة المصريين لها ، ذلك لأن المجتمع السورى عصبه التجارة يعيش عليها وهى السمة التى يتميز بها ، وكل ما حدث من تغيير أصابها فى الصميم ، وأخذ الاستقبال لعبد الناصر يفتر عاما بعد عام الى أن تحول الى نقمة عامة ، وتآمر على الوحدة وعليه معظم الشعب السورى ، ووجدت دعايات الاستعمار ضد الوحدة أرضا خصبة فى سوريا بسبب تكوين المجتمع الســـورى المعقد تعقيـــدا شديدا ، فهو يضم طوائف عديدة وكل طائفة لها مطالب تختلف عن مطالب الطائفة الأخرى والتوفيق بين هذه المطالب من الصعوبة بمكان ، فمطالب السنيين الحاكمين تختلف عن مطالب الشيعة وعن

مطـالب العلويين والـدروز وغيرهم ، وكان الجميـع يعملون بالسياسة ٠٠ آراؤهم مختلفة وأهدافهم متباينـة لا يجتمعون على رأى ولا يتحمسون لهدف ، ولعل القوتلى عبر عن ذلك تعبيرا دقيقا عندما قال له اننى أقدم لك ثلاثة ملايين سياسى هم قوام الشعب السورى ٠

لقد رأينا نحن مندوبى الصحف ونحن نتابع أنباء أحد الوفود السورية المجتمعة مع عبد الناصر فى القصر الجمهرى بالقبـة ، ودق جرس التليفون فى الصالة الكبرى فى القصر التى تجمـع الصحفيين والحرس وكانت دمشـق تطلب أحـد ضبـاط الحرس السوريين وأبلغناه بأن دمشق على التليفون بادرنا بقوله لقد أصبحت دمشق اقليما من أقاليم مصر ، ونحن فى قصر الضيافة فى دمشق كيف ضاق أحد الضباط السوريين بنا وكنا نتحدث مع مصر من تليفون فى غرفته وقام ونقل التليفون من غرفته ووضع العراقيل أمام اتصالنا بالقاهرة فى عصبية ظاهرة وعدم رضا عن الوحدة وسمعنا من ضابط ثالث قوله لقد تخلصنـا من الفرنسيين فمتى نتخلص من المصريين ٠

هؤلاء كانوا من أقرب المقربين وألمع العاملين مع المسئولين فى الأيام الأولى لبدء الوحدة بين مصر وسوريا فماذا كان شأن هؤلاء البعيدين عن هؤلاء المسئولين ، بالقطع لم يكونوا من أنصار الوحدة وهذا يؤكد أن تيار الوحدة كما حمل فى الظاهر الحماس والتأييد كان يحمل فى القـاع المستتر الدعـوة للاقليميـة والخلاص من الوحدة ٠

البعث والوحدة

كان على عبد الناصر أن يطور المجتمع السـوري المتناقض المعقد الى مجتمع تحالف قوى الشعب العامل ، وكانت معركته مع حزب البعث الذى كان يعتبر نفسه أول من نادى بالوحدة وأول من عمل للقومية العربيـة ، وينبغى أن يكون له الولاية على البـلاد والريادة على البلاد العربيـة وأنه ينبغى أن يحل محل الاتحـاد الاشتراكى العربى فى الاقليمين الشمالى والجنوبى جناحى الجمهورية العربية المتحدة ، على أساس أن تنظيماته منتشرة فى سائر الوطن العربى تدعو الى الوحدة والحرية والاشتراكية ، وهذا الخلاف وحده كان كافيا لفصم الوحدة ، وحاول عبد الناصر جاهدا اقناع زعماء البعث فى سوريا بأنه ليس المهم من كان أول من دعا الى الوحـدة والتضامن ولكن المهم أن تقوم هذه للوحدة ولكن البعث كان يهمه الشكل والمظهر قبل أن يهمه الجوهر على الاطلاق ٠٠ ثم ان الشعب السورى كان ينظر الى عمليـة الوحدة ليس بمنظور قومى خالص ولكن بمنظور الربح والخسارة ، وهذه النظرة لا يمكن أن تبقى على أية وحدة حتى ولو كانت مكاسبها أكثر من خسارتها ٠

نقاش حاد بين عبد الناصر والحورانى

وقد بدأت طلائع الخلاف فى أوائل أيام الوحـدة ، فبعد أن قام عبد الناصر بجولته انطلاقا من اللاذقية الى دير الزور الى حلب وعاد الى دمشق مارا بكل مدن سوريا الهامة واسـتقر فى قصر

الضيافة ، والتفت جموع الشعب السورى وغيره من الشعب اللبنانى والفسلطنيين والاردنيين وأمضت الليالى لا تبارحه ، وألقى شكرى القوتلى كلمته المشهورة من فوق سطح القصر التى استهلها بقوله « هذا يوم مشهود من أيام العمر وأعقبه عبد الناصر وألقى خطبة حماسية مؤثرة وسط تلك الجموع الفرحة المستبشرة بلغت العواطف فيها قمتها وتقدمت اليه احدى الفلسطينيات وتطلب ترك منديلها معه كوديعة يردها اليها يوم تحرير فلسطين ، كانت هذه صورة بينما على الطرف الآخر صورة أخرى حيث دار نقاش بين بعض المصريين وبعض السوريين غير الرسميين ، انتهى فيها النقاش بقول أحد السوريين « لا يغرنكم هـذا الاستقبال الرائع ، فقد حدث مثله للشيشكلى والحناوى وأين هما الآن ؟ ان الشعب السورى يصل الى قمة الفرح فجأة ويصل الى قمة الغضب فجأة ، وهنا أدرك المصريون أن نكسة ثورتهم لن تجيء من القاهرة وانما ستجيء من دمشق ، وتطوع من أبلغ عبد الناصر هذه المشاعر أو أشار اليها بطريقة مستترة فلم يعبأ بها وهو يرى هذا التأييد الجارف له ولسياسته الذى لم ير مثله فى القاهرة .

وعبد الناصر فى هذه النشوة من ذلك الاستقبال الرائع ، بدأت المناقشات حول الخطوات التنفيذية للوحدة ، وكان الاجتماع يضم خيرة القيادة السورية وخيرة القيادة المصرية ، واتفق فيه على منح شكرى القوتلى لقب المواطن العربى الأول دون نقاش ، الا أن النقاش الحاد بدأ حول صورة الديمقراطية المطلوب اقامتها فى البلاد ، وكان طرفا المناقشة عبد الناصر من الجانب المصرى

وأكرم الحوراني من الجانب السوري وامتد الحوار الى ثمـانى ساعات دون الاتفاق على شيء ، واضطر عبد الناصر الى أن ينهى الاجتمـاع قائلا وموجهـا كلامه الى الحـوراني : اننى لم أفهم ديمقراطيتك بعد هذا الحوار الطويل وانه كنت الديمقراطيـة تحتاج الى مثل هذا الحوار فلا يمكن أبدا اقامتها فى أى بلد ٠

وسار قطار الوحدة وأصبح لمصر وزراء تنفيذيون ولسوريا وزراء تنفيذيون تضمهم وزارة اتحادية كان مقرها فى القاهرة فى مكان فندق هيليوبولس الذى أعد لهذا الغرض تضم وزراء سوريين ووزراء مصريين ، ومنذ الوهلة الأولى كان الاتفاق والتعاون بينهم نوعا من المستحيلات ، وبدأت شكوى الوزراء السوريين من الأجهزة المصرية وكثيرا ما كرر هذه الشكوى صلاح البيطار وغيره من الوزراء السوريين ، وأخذت هذه الشكوى تكبر وتكبر يوما بعد يوم الى أن كان يوم الانفصال ٠

- من دمشق هاجم عبد الناصر الحكم الملكي في العراق ولم يمض أيام حتى سقطت الملكية وقامت الجمهورية ٠

- انتصر عبد النــاصر على الانجليز والأمريكان في الأردن ولبنان كما انتصر عليهما في مصر ٠

- خطط الغرب والشرق للخلاص من عبد الناصر بعــد خطابه الذي أعلن فيه تأميم القناة ٠

- تخبط الثورة في تحديد أهدافها ضيع الشباب ولم يخلق جيلا مؤمنا بها ٠

- أين تقع القومية العربية في الصراع بين السراج وعامر في دمشق ؟ ٠

- السراج شجع التآمر على الوحدة عندما أعلن أنه سيقدم استقالته هذه المرة ولن يرضخ لضغوط عبد الناصر ٠

- ١٨ -

بلغ عبد الناصر من قوة التأثير على الرأى العام العربى والرأى العام العالمى بعد نجاح الوحدة بين مصر وسوريا حدا وصل الى أن ما يفعله عبد الناصر فى القاهرة أو دمشق يصل اثره على بعد آلاف الأميال بين شعوب دول العالم الثالث على حد أقوال أحد الصحفيين الاجانب ا وقد حدث بالفعل ما يؤكد صدق هذه الأقوال ، فقد كنا مع عبد الناصر فى سوريا فى أوائل شهر يوليو عام ١٩٥٨ ، وكان الموقف فى العراق قد بدأ يضطرب وكان يتولى رئاسة الوزارة مرجان وقد هاجم عبد الناصر ، ومن شرفة قصر الضيافة فى دمشق رد عليه عبد الناصر وقال فى رده أنزل يا مرجان ، ولم يمض على قول عبد الناصر يوم أو يومان حتى حملت الانباء الينا اقالة أو استقالة مرجان ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد أخذ الموقف يسوء ضد عبد الاله ونورى السعيد ركائز الاستعمار فى المنطقة ، ونشبت الثورة الشعبية فى العراق وقام الجيش العراقى بانقلاب عسكرى أطاح فيه بالنظام الملكى وأعلن قيام الجمهورية فى العراق وانسحاب العراق من الاتحاد الهاشمى والاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة ، وسارعت القوات الأمريكية واحتلت لبنــان كما سارعت القوات البريطانية واحتلت الأردن ، علها توقف مد القومية العربية وتأثير عبد الناصر المتزايد الذى أخذ يقلب موازين القوى فى المنطقة ، ولكن عبد الناصر أنذر بأن

أى اعتداء على الجمهورية العراقيـــة يعتبر اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة التى تساند شعب العراق . وكان عبد الناصر قد عاد لتوه من زيارة ليوغوسلافيا وأجرى مباحثات مع السوفييت وهو فى طريق عودته من يوغوسلافيا تركزت فى وجوب العمل على وقف العـــدوان على الوطن العـــربى محافظة على ســـلامة البلاد واستقلالها والمحافظة على السلام العالمى ، وكان ذلك بمثابة تحذير للقوات الأمريكية والانجليزية التى احتلت لبنان والأردن والتى جلت دون أن تستطيع حماية العـــراق وبذلك انتصر عبد الناصر على الانجليز والأمريكان فى لبنان والأردن كما انتصر عليهم من قبل فى القاهرة .

القومية العربية

بعد كل هذه الانتصارات التى حسبت على القومية العربية التى قال عنها عبد الناصر فى فبراير عام ١٩٥٧ أنها هى التى جمعتنـــا عندما ثار علينـــا المستعمرون وجندوا جنودهم ضدنا ، وأشار الى الانتصارات التى حققها فى المجـــال الدولى فى خطابه الذى ألقاه فى حفل افتتاح مجلس اتحاد الدول العربية فى سبتمبر عام ١٩٥٨ ، وأكد على أن القومية العربية ستمضى فى طريقهـــا وستنتصر رغم مؤامرات الاستعمار ، وهنا لابد من وقفة مع هذه لمعرفة سحرها الذى تحدث عنه عبد الناصر أكثر من مرة .

لقد أطلق على عبد الناصر فى هذه الفترة ألقابا عديدة منها باعث القومية العربيـــة ورائد القومية العربيـــة ، والحقيقـــة أن

عبد الناصر كان له ما يشبه تأثير السحر على الشعوب العربية ، ولو أنه استخدم هذا التأثير بشىء من التأنى والتروى والدراسة لتمكن من تحقيق وحدة العرب ، الا أنه استعجل الأمور فشن الهجوم على الحكام العــرب بالجملة ، من غيــر تمييز بين الوطنى وغير الوطنى ، بل وصل الى حد محاولة الخلاص من بعضهم بالتــآمر واحداث الانقلابات ، فتكهرب الجو بين الدول العربية جميعــا ، وتكهرب كذلك بين شعوبها وحكامها ، فبادلوه التــآمر والتخطيط لقلب نظام حكمه ، وربما تعاونوا مع الاستعمار عليه ، او اخذوا الاعيبه ضده ، فكانت محاولة الملك ســعود التخلص منه ، وهى المؤامرة التى كشفهــا عبد الحميــد السراج وسلم عبد الناصر تفاصيلها أمام الجماهير المتحمسة ، ومن قبل المؤامرة التى دبرتها مخابرات الدول الغربية لاحداث فتنة بين القوات المسلحة المصرية وعمل انقلاب ضد عبد الناصر وجندت أحد الضباط نظــير آلاف الجنيهات ولكن الضابط سلم المبلغ الى عبد الناصر الذى أضاف اليه ليصبح نصف مليون جنيه قدمها هدية لأهالى بور سعيد فى اعلان مفتوح أمام الجماهير فى بور سعيد فى الاحتفال الأول بتحرير ونصر بور سعيد عام ١٩٥٧ ، ولكن الأمل لاح أمام عبد الناصر فلم يعمل حسابا لكل هذه المؤامرات يوم حضر اليه شكرى القوتلى ليقدم له الوحدة بين مصر وسوريا على طبق من فضة ويوم سقط حكم عبد الاله فى العراق فى يوليو عام ١٩٥٨ ، الا أن هجومه على الحكام العرب فى خطبه وأحاديثه بطريقة لم يألفها العالم بين الملوك والرؤساء والحكام ، أوغرت الصــدور ، وحركت الحقــد

والضغينة ، ووضعت فى طريق الوحدة ألف عقبة وعقبة ، وأعطت الفرصة للاستعمار أن يلعب لعبته ، فيؤلب عليه الحكام العرب ، ويوحدهم ضده ، خاصة وأن عبد الناصر لم يكن يقبل الحلول على أمد طويل ، وانما أخذ السياسة مأخذ القوة والعنف ، ولم يستخدم الأسلوب الدبلوماسى الهادىء لتحقيق أهدافه ، وتمادى فى هذا الطريق الى ان هيىء اليه أنه ليس هناك حاكم يطاوله ، وأنه الحاكم الوحيد المنزه عن الخطأ ، كل ما يشير به هو الصواب ، ومن يشير بغير ما يشير به فهو خائن استعمارى متواطىء مع الأعداء ، ولم يقف استخدامه لهذا الأسلوب على الدول العربية فحسب بل تعداه الى سائر دول العالم .

وقد وضح هذا الرأى وضوح الشمس فى خطابه الذى القاه فى الاسكندرية فى ٢٦ يوليو عام ١٩٥٦ وأعلن فيه تأميم القناة ، فكل من استمع الى هذا الخطاب أو قرأه ، يلمح أول ما يلمح هجوم عبد الناصر على جميع الدول العربية والاجنبية،لم يترك دولة صديقة أو دولة معادية الا صوب لها سهام الهجوم ، فهل يمكن أن تسير أمور بلد على هذا النهج ؟ فى يقيننا أن نجم عبد الناصر أخذ فى الأفول منذ ذلك التاريخ ، ففيه خطط للخلاص منه ، وخطط كذلك لاسقاط تجربة الاشتراكية التى حاول أن يقيمها ، الاشتراكية التى أعلن أنها تنبع من بيئة المنطقة وعاداتها وتقاليدها ، ليست مستوردة من الشرق أو الغرب ، الاشتراكية التى تأخر فى تحديد ملامحها فأعطى الفرصة لنجاح المخطط الذى وضع للخلاص منه .

ضياع الشباب

وأخطر خطأ وقع فيه عبد الناصر هو ضياع الشباب فى هذه الفترة ، فلم تكن هناك أهداف واضحة يقبل عليها ، ويقتنها ويدافع عنها ويفنى فى سبيلها ، وانما الأهداف كانت متغيرة مضطربة ، حتى التنظيم السياسى الذى أنشأه لم يثبت على حال ، فمن هيئة التحرير الى الاتحاد القومى الى الاتحاد الاشتراكى الى الاتحـــاد الاشتراكى العربى ، وكان للتغيير فى كل مرة يستلزم تغيير القائمين عليه وتبديلهم ، حتى أن منظمة الشبـــاب تعرضت لهـــذا التغيير والتبديل أكثر من مرة ، فبهتت الصورة واختلطت أمام الشبـــاب وهو يضع قدمه على عتبة الحياة فى ظل الثورة ، وكان ذلك سببا جوهريا وأساسيا فى أن الثورة لم تستطع أن تربى جيلا مؤمنا بها وبمبادئها ، مدافعا عنها ومضحيا فى سبيلها ضد المؤامرات التى تحاك ضدها ، جيلا سواء من الشباب أو ممن تعدوا مرحلة الشباب بقليل ولم تؤثر فيهم مفاهيم ما قبل الثورة ، فرغم السنوات الطويلة التى عاشتها الثورة من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٧٠ الذى توفى فيـــه عبد الناصر لم تستطع خلق جيـــل من الكتاب والصحفيين والشباب يطلق عليـــه جيل الثورة ، وبسبب كبت الحريات وخنق حرية التعبير لم يظهر أيضا جيل من المحامين والمهندسين والاطباء وغيرهم نبغوا فى فنهم وحازوا شهرة من سبقوهم فى جيل ما قبل الثورة .

اعجاب عبد الناصر بالتنظيم الغينى والسوفيتى

قصور التنظيم السياسى المصرى جعل عبد الناصر يعجب باى تنظيم سياسى حتى زار كان اقل من التنظيم المصرى واضعف. فقد أعجب بالتنظيم الغينى رغم انه لم يكن على درجة كبيرة من الديناميكية والحركة . ولكنه اعجب به واصدر اوامره — وهو فى زيارة لغينيا — بتسجيل كل ما يتصل به . تعليماته تنظيماته اناشيده كادراته لتكون امام التنظيم المصرى ليسير على هديه ويخطو خطاه . وقد أصدر أوامره هذه على اثر حادثة شاهدها بنفسه ، فقد كان فى لقاء مع الرئيس سيكوتورى فى قصر اقامته فى غينيا ، وامتد الى ما بعد منتصف الليل . وتطرق الحديث فيما تطرق الى التنظيمات السياسية ودورها فى تثبيت الثورات وتحسين صورتها امام الجماهير . وبينما كان سيكوتورى منهمكا فى شرح كيفية اقامته لتنظيمه السياسى . وكيف انه تغلغل فى داخل نفوس الشعب الغينى وآمن به ودافع عنه . بينما هو — اى سيكوتورى — كان يشيد ويفخر ويختال بهذا التنظيم . دق التليفون ليبلغه المتحدث بنبا مؤامرة دبرت لاغتياله وقد تم اكتشافها بسرعة مذهلة وقبض على الجناة . وافضى لعبد الناصر بالخبر وذكر له ان الذى اكتشفها سائق تاكسى عضو بارز فى التنظيم .

قبل هذه الواقعة بايام نمى الى علم عبد الناصر حادث آخر بشأن التنظيمات السياسية بينما كان فى زيارة لمالى قبل غينيـا عندما رفض القائمون على التنفيذ الذى يقوم به افراد البعثة المصرية

المرافقة له أن يعدوا طعام العشاء لأفراد البعثة احتجاجا على تصرف غير مقصود من أحد أفرادها فى فترة الغداء بسبب القصور فى التعبير باللغة الفرنسية مع أحد الجرسونات الذى ظن أن عضو البعثة يقلل من قيمة بلاده ويصفها بالتخلف ، وأصر القائمون على شئون الفندق على موقفهم رغم تقديم الاعتذارات لهم ، ولم يتنازلوا عن هذا الموقف الا بعد تدخل مديبوكيتا شخصيا وكان رئيسا لمالى فى هذا الوقت ٠

وفى زيارات عبد الناصر المتكررة للاتحاد السوفيتى كان يهتم بدراسة التنظيم الشيوعى المحبوك وان معجبا به بحركته المستمرة التى لا تتوقف والاتصال الدائم بين القاعدة والقيادة على أحدث الطرق وبأسرع الوسائل . تنتقل التعليمات والتوجيهات من القيادة الى القاعدة بسرعة البرق بطريقة مبسطة وسهلة ومقنعة وكان هذا سر قوته ونفوذه ، حتى روى عبد الناصر أحد المرافقين له أن اكرام الوفود الرسمية يزداد وينقص طبقا لما يجرى فى المحادثات بين هذا الوفد وقيادات للسوفييت فى الكرملين ، فاذا كانت هذه المباحثات ناجحة ازداد الكرم فى الفنادق التى يقيمون بها والعكس صحيح ٠

ورغم اهتمام عبد الناصر بالتنظيم السياسى واشرافه بنفسه عليه ورصده الأموال الطائلة للانفاق عليه ، الا أنه لم يستطع اداء مهمته فى أوساط الجماهير العريضة فى أماكن تجمعها فى الجامعات والمصانع والنوادى ومراكز الشباب ، بسبب عدم وضوح الخط

الذى تسير عليه الثورة ، فلم يستطع مثلا مواجهة ما كان يطلب منه أثناء المحنات والأزمات والخلافات التى واجهتها الثورة ، لم يستطع أن ينقل للجماهير مثلا أهداف وأسباب اقصاء محمد نجيب أو اقالته واستقالته ، ولم يستطع أن يشفى غليل هذه الجماهير فى مسائل أخرى مثل اغتيالات الاخوان المسلمين وغلق جريدة المصرى وضرب الأحزاب والاستقالات التى تعددت من ضباط الثورة وكادت تجهز عليها ، لم يســتطع أن يوضح للقــاعدة برنامج الثــورة الاقتصادى والاشتراكى ، وكان هذا هو الموقف على مستوى التنظيم فى القاهرة وفى المدن الكبرى عواصم المحافظات ، أما فى الريف فقد كان الانفصال أكبر بين التنظيم وقياداته وقواعده ، فلم يكن هناك اتصال بيهنا الا عندما يكون هناك استقبال شعبى لعبد الناصر لاحدى القرى والنجوع ، يجمع الجماهير بأية وسيلة من الوسائل ، بالاغراء أو بالارهاب المهم أن ينجح فى تجميعهم ، وكثيرا ما كان التنظيم يسعى الى تجميع المواطنين من شتى المحافظات ليحضروا الاحتفال بالمناسبات الوطنية التى كانت تقام فى القاهرة ، وكان أغلبها لا تكاد تطأ أقدامها العاصمة حتى تذوب فى أضواء القاهرة الساحرة المتلألئة والقلة القليلة هى التى كانت تلتزم بالاوامر وتتوجه الى السرادق أو الى الشوارع لتستمع الى خطاب عبد الناصر وتهتف بحياته وحياة مصر .

وقد ظهر قصور هذه التنظيمات السياسية جليا عندما فقدت الثورة الحماس والتأييد الشعبى لها تدريجيا ، وانعدمت الثقة بين القيادة والقاعدة ، وكان ذلك فى مناسبات عديدة عندما تخلى كل

أعضاء مجلس الثـورة عن عبد الناصر وتركوه وحده ، وعندما انفصمت الوحدة بين مصر وسوريا وعند الهزيمة فى حرب اليمن وفى نكسة يونيو ١٩٦٧ وغيرها من الأزمات العديدة التى صادفت مسيرة الثورة ٠

كيف نخلق تنظيما قويا ؟

من المقطوع به أن الايجابية والقوة لأى تنظيم سيـاسى لن تتوفر له ما دام لا رأى لأعضائه فيما يصدر من قرارات وقوانين ، وما دامت مهمته لم تتعد حد التصفيق والتأييد لمصدر القرار أو القانون ، حيث لم يشترك فى مناقشته لابداء الرأى فيه ، لا ينبع منه ولا يصدر عنه ، وهو الممثل للقاعدة الجماهيرية العريضة ، الممثل للشعب سيد السلطات ومصدرها ، وهو بهذا الوضـع لن يكون الا واجهة للسلطـة الحاكمة ، تقتصر مهمتـه على ترويض الجماهير على تقبل ما تصدره السلطة من أوامر وقوانين وليس اصدار ما يتفق مع رغبات الشعب ــ الذى يمثله ــ من القرارات والقوانين لذلك بدت صورة هـذه التنظيمات مقلوبة ، فالسلطـة التنفيذية هى التى لها الولاية والريادة والقيادة ، ترفع من أعضاء التنظيم من يتحمس ويتمـادى فى تأييدها ، وتخفض وترفت كل صاحب رأى أو فكر ، فغدت هذه التنظيمات جثة هامدة لا روح فيها ولا حياة فلم يشعر الشعب بفاعليتها ووجودها وكينونتها ٠

وكثيرا ما كنا نشهد الحماس الشديد بين أعضـاء التنظيم تأييدا لفكرة أو رأى أو اجراء معين فنستبشر خيرا وانما ما أسرع

ما كنا نصاب بالاحباط عندما نرى الحماس يفتر ويتحول الى رأى آخر أو فكر مختلف لمجرد اشارة من مسئول فى السلطة التنفيذية ، فقد شهـــدنا التصدى والحماس ضـــد محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام واتهامه بالانتهازية واستخدامه لصلته بعبد الناصر فى الوصول بجريدة الأهرام الى ازدهار لم تصل اليه من قبل ، ولولا حصول الجريدة على العملة الصعبة والاعلانات بسبب هذه الصلة لما استطاعت أن تقيم ما أقامت من مشروعات للطبع والتوزيع ، وأنه لو أتيحت الفرصة التى أتيحت للأهرام لأى صحيفة أخـــرى لحققت أرباحا ومنجزات تفوق الأربـــاح والمنجزات التى حققتهـــا الأهرام .

ولكن هذا الحماس الزائد والنقاش الحاد تلاشى تماما لمـــا طرحت القضية على اللجنة المركزية بحضور عبد الناصر ، واختفت الأصوات التى كانت متحمسة حينما أعلن عبد الناصر أن المؤسسات الصحفية الأخرى تخسر ولا تربح كالأهرام وأن هيكل هو الصحفى الوحيد الذى يستطيع ترجمة أفكاره تماما من غير تحريف ، فاذا كان هذا هو موقف التنظيم فى مسألة لا ترقى الى جسامة وخطورة المسائل التى تتعلق بمصير مصر ومستقبلها ، فهل يمكن أن ننتظر خيرا من وراء مثل هذه التنظيمات .

الصراع بين السراج وعامر

هل يمكن لمثل هذا التنظيم أن يتصرف فى أمر خطير كالذى حدث ابان الوحدة وهو الصراع بين عبد الحكيم عامر وعبد الحميد

السراج الذى عين وزيرا للداخليـــة عقب اكتشـــافه مؤامرة الملك سعود . بعد أن اختار عبد الناصر عامر للاقامة الدائمة فى دمشق ، وما استهدف اليه هذا الاجراء من حملة شعواء غذاها الاستعمار واستغلها أيما استغلال ، فعامر حاكم مصرى لسوريا ، والوحدة تحولت الى احتلال مصرى لســوريا والمصريون حســب دعايات الاستعمار — يعيثون فى البــلاد فسادا — ويسنون القوانين على هــواهم ويطوعوها لتطلق أيديهم لحكم البــلاد حكما دكتــاتوريا استعماريا ، هل يملك تنظيما مثل هذا التنظيم القدرة على نزع هذه السموم التى شوهت صورة المصريين ؟ لقد نجحت دعايات الاستعمار بسبب ضعف التنظيمات السياسيـــة أو غيابها فى تخفيف تحمس السوريين وتأييدهم للوحدة ، وأصبحوا ينتظرون على أحر من الجمر نهايتها ، وقد سنحت الفرصة عندما اشتــد الصراع بين السراج وعامــر ، فكم من مرة قــدم السراج اســتقالته ، وتحت ضغط عبد الناصر كان يتراجع عنها ، الى أن أوحى السراج قبل الانفصال بيومين لرجال الامن فى سوريا أنه ذاهب الى مصر ليقدم استقالته ، وأنه لن يتراجع عنها هذه المرة أبدا ، وكان تصريح السراج هذا بمثابة اذن لرجال الأمن لتخفيف قبضتهم على البلاد ، وأحس أصحاب المصلحة فى هدم الوحدة بهذا الاضطراب فى الأمن ، فأقدموا على تنفيذ مؤامرتهم ، وكان عامر فى دمشق وتم الانفصال بثمانى دبابات حاصرت قصر الضيافة ووقفت لعى مشارف طريق دمشق — بغداد ، ولو كان السراج بقى فى سوريا لما تم الانفصال ، ولتحولت الأمور تحولا آخر ولاقتنع الشعب السورى بقيمة الوحدة وفاعليتها ، ولأصبح الشعب العربى الذى وضع نواة الوحدة العربية الشاملة رغم تآمر الاستعمار عليها وشوقه للخلاص منها .

- الخطأ الذى كاد أن يودى بحيـــاة عبد الناصر وهو فى طريقه الى سوريا .

- من مفارقات الزمن أن يموت باعث الوحدة فى نفس يوم انفصالها بعد تسع سنوات .

- الصحفيون الســـوريون يتقدمون بطلب الى عبد النـــاصر لاخراج الصحفيين المصريين من الضيافة فى دمشق .

- القوانين الاشتراكية عجلت بالانفصال وكان عبد الناصر يامل أن تثبت الوحدة .

- فى الانفصال أطلق عبد الناصر شعارا ما زال يتردد حتى اليوم « العربى لا يمكن أن يرفع السلاح فى وجه أخيـــه العربى » .

- أمر عبد الناصر بوقف كل العمليـــات العسكريـــة وعودة جنود المظلات والاسطول لتظل الوحدة ارادة شعبية .

- مع انفصـــال تسرب المرض الى جسم عبد الناصر واشتد عليه المرض بعد نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ .

-١٩-

كان عبد الناصر مؤمنا بحتمية الوحدة بين الدول العربية ، وكان دائما يردد أن الحكام العرب مختلفون ولكن الشعوب العربية متحدة ، وكان يأمل أن تتغلب رغبات الشعوب على ألاعيب الحكام ، لذلك التفت الى سوريا ، يدير عجلة الاصلاح بسرعة ، ليظهر للعالم العربى مزايا الوحدة بين مصر وسوريا ، ووجه كل جهده وطاقته الى احداث التغيير فى صورة المجتمع السورى ليصبح مجتمعـــا اشتراكيا تعاونيا بدلا من المجتمع الراسمالى الذى كان قائما ، فتم تطبيق قانون الاصلاح الزراعى دفعة واحدة وليس على مراحل كما حدث فى مصر ، فصـــدر قرار تحديد الملكية بـــ ١٠٠ فدان أى ١٠٠ دونم وهو المقياس الذى كان سائدا ، والدونم ⅓ الفدان أى أن تحديد الملكية فى سوريا أصبح ثلاثة وثلاثين فدانا بينما فى مصر كان خمسين فدانا ، وهو أمر أحدث ثـــورة بين أفراد الشـــعب السورى ، وتم تحديد الدخل العام للفرد ، ووضعت التشريعات والقوانين وتكرر سفر عبد الناصر الى سوريا لدفع عجلة العمـــل هناك ، وتعددت اللقاءات بينه وبين الزعماء السوريين الذين لم يكونوا مخلصين فى مشورتهم ، فزاد تذمر الشعب السورى الى حد رفض المحلات التجارية بيع بضاعتهم للمصريين ، واختفت البسمة العريضة التى كان يستقبل بها المصريون أينما حلوا فى أنحـــاء دمشق الفيحاء وحلب الشهباء وبقية المدن السورية ، وزاد الانفصال

بين الشعبين ، واتسعت الهوة بينهما ، وبدا أنه من المستحيل رأب الصدع الحادث بينهما ، ونقلت الصورة الى عبد الناصر ، وكان شهر فبراير قد حل وهو موعد الاحتفال بعيد الوحدة عام ١٩٦١ وهو العام الذى حدث فيه الانفصال فى شهر سبتمبر ، ولم تزعج الصورة عبد الناصر فما حدث فى سوريا من تذمر حدث من قبل فى مصر . واستطاع عبد الناصر التغلب عليه ، وهو باستطاعته أيضا تحويل التذمر فى سوريا من الوحدة الى رغبة للابقاء عليها ، وتكتم سفره كعادته ولكن فى هذه المرة حدث خطأ كاد أن يودى بحياته وهو فى طريقه الى سوريا بطريق البحر .

المسألة متعلقة بأمن عبد الناصر

طلب محمد أمين حماد مدير الاذاعة من مندوبه فى مجلس الثورة ورياسة الجمهورية موافاته بالأنباء الهامة حتى يكون فى الصورة حتى ولو كانت هذه الانباء غير صالحة للاذاعة ، وتنفيذا لرغبة المدير لما علم المندوب بسفر عبد الناصر الى سوريا بطريق غير مشروع ، توجه على الفور الى المدير وأفضى اليه بالنبأ المعلم وليس للاذاعة ، ولم يستفسر منه المدير عن وسيلة السفر ، وخرج المندوب من مكتب المدير وهو نشــوان بنصره ، فلم يكن يدرى ما يجره عليه هذا النصر من متاعب ، وبعد أن سمع المدير النبأ أراد أن ينظم استقبالات عبد الناصر هذه المرة واذاعتها على الهواء مباشرة فى كل من مصر وســوريا ، فاتصل بالاذاعة الســورية وأعطى تعليماته اليها فى هذا الشأن وتسرب عن هذا الطريق نبأ

سـفر عبد الناصر الى سوريا هـذه المرة ، ونمى الى علم محمد عبد القادر حاتم ما حدث وكان وزيرا للاعلام ، فاتصل على الفور بمدير الاذاعة ليسأله عن مصدر نبأ سفر عبد الناصر ، وأبلغـه بأن مصدره مندوب الاذاعة ٠

ولم يكد المندوب أن يصـل الى منزله حتى فوجىء باتصال تليفونى يطلب منه التوجه فورا الى مكتب مدير الاذاعة ولعب الفار فى عبه ، واستولت عليه الهواجس والخوف من مغبة هذا الطلب العاجل وتأكد أنه ليس خيرا على الاطلاق ٠ وارتدى ملابسه على جناح السرعة ، وبعد نصف ساعة على الاكثر كان فى مكتب المدير يتصبب عرقا رغم أن الجو كان شتويا باردا ، ولشـد ما كانت دهشته عندما وجد مع[1] المدير محمد عبد القادر حاتم وزير الاعلام الذى سبقه فى الحضور ، وكان الاثنان مقطبين الجبين متجهمين بما يوحى بأن أمـرا خطيرا قد حدث ، وقبـل أن يحييهما المندوب ابتدره وزير الاعلام بسؤاله عن مصدره بشأن سفر عبد الناصر الى سـوريا ، وكان الشك قد دار حـول حسن دياب رئيس قسم التصوير بمنزل الرئيس عبد الناصر بمنشية البكرى ، ولما ووجه المندوب بالأمر نفى نفيا قاطعا أن يكون حسن دياب ، فأضاف حاتم قوله فى حسم واصرار لاحظ أن المسألة تتعلق بأمن الرئيس وطلب منه أن يكشف عن المصـدر الحقيقى للنبأ ، وهنا طلب المنـدوب شرطا لكى يفضى بمصدره ألا يناله أى ضرر ووعده حاتم بذلك ، شرطا لكى يفضى بمصـدره وهو ألا ينـاله أى ضرر ووعـده وكان قصد المندوب المصدر أيضا ووافق وزير الاعلام .

وهنا تكلم المندوب فى صراحة وحرية ، وقال انه لم يتلق النبأ من أحد ، وانما الذى حدث أنه كان فى مكتب صلاح الشاهد كبير الامناء وسمع اتصالا تليفونيا بين القاهرة والاسكندرية فهم منه أن يخت الحرية المقل لعبد الناصر قد غادر ميناء الاسكندرية فى طريقه الى سوريا وكان الوقت مساء أو بعد الظهر ، ولما علم وزير الاعلام بهذه الحقيقة طلب من المندوب التوجه الى منزله على الا يتصل بأحد أو يفضى بهذا النبأ لأحد ، وأن يرفع سماعة تليفونه حتى لا يتلقى مكالمات من الخارج بأية صورة وكانت الساعة السابعة مساء ، ونبه الوزير عليه أن يستمر فى رفع سماعة التليفون طوال الليل وحتى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالى ليكون يخت عبد الناصر قد اجتاز منطقة الخطر ودخل فى المياه الاقليمية السورية ٠

وبالطبيعة عاش المندوب على أعصابه وعاش المدير والوزير على أعصابهما خوفا من أن يمس عبد الناصر سوءا من جراء تسرب نبأ سفره ، وبعد نصف ساعة دق جرس التليفون فى منزل المندوب أى فى الساعة الواحدة والنصف وكان المتحدث من رياسة الجمهورية يطلب احضار حقيبته الى الحكومة المركزية فى هليوبولس بمصر الجديدة للسفر فى مهمة تستغرق أسبوعا ، وعرف المندوب أنه لم يكن وحده المستدعى بهذه الطريقة وانما استدعى معه كل المندوبين زملائه فى مجلس الثورة ورياسة الجمهورية ، وكلهم فى حيرة عن الوجهة التى سيتوجهون اليها ، وكان هو وحده الذى يعلم أن البعثة متوجهة الى سوريا ، ولكنه لم يستطع أن يبح بالسر الا بعد أن اقلعت الطائرة وحلقت فى الجو ٠

وتغير الصورة

ووصلنا الى اللاذقية ككل مرة ونقلنا الى الميناء لنكون فى استقبال عبد الناصر ، ولكن الصورة قد تغيرت تماما ، الاستقبالات باهتة ، حماس الجماهير قد خف ، وتأييدها للوحدة قد تلاشى أو كاد ، وكان عبد الناصر كمن ينفخ فى قربة متطوعة ، وأدى جولته المعتادة من اللاذقية الى حلب ومنها الى دمشق مرورا بالعديد من المدن السورية ، وبدأت الاجتماعات والمناقشات واللقاءات ولكنها كانت اجتماعات ولقاءات ومناقشات مختلفة فى طبيعتها عن تلك التى حدثت فى السنوات السابقة ، كان الخلاف باديا فى وجهات النظر ، وكان الجو ينذر بشىء ما ، وتبين فيما بعد أن أعداء الوحدة قد تغلبوا على مؤيدوها ، وأنهم تحركوا تحركات مريبة ، وظهرت التكتلات بين القوات المسلحة السورية التى كان يطلق عليها الجيش الاول ، وكان أعداء الوحدة لا حديث لهم سوى الصراع القائم بين السراج وعبد الحكيم عامر وتقييم الوحدة من حيث المكسب والخسارة ، حدث كل هذا همسا فى بادىء الأمر وليس علنا . ولكن رائحته كانت قد فاحت ، واستغل أعداء الوحدة من غير السوريين الموقف وألقت عليه الزيت ، عله يشتعل فيقضى على الوحدة التى قوت من مركز عبد الناصر فى المنطقة خاصة وأن حكم نورى السعيد فى العراق كان قد انهار ، وبدا أن نظما أخرى فى سبيلها الى الانهيار أمام ضربات عبد الناصر وخطاباته الملتهبة التى هاجمت الاستعمار بلا هوادة خاصة بعد فشل العدوان عليه رغم اشتراك انجلترا وفرنسا مع اسرائيل وكان عبد الناصر قد

اطلق الشعارات التى حركت الدول النامية ضد الاستعمار ومنها أفريقيا للافريقيين ووجه كل جهده لمساعدة الجزائر فى ثورتهـــا التحريرية ضد الاستعمار الفرنسى وقوى الجيش المصرى ورفض الضغط الشديد عليه للسماح لاسرائيل بالمرور فى قناة السويس وأحبط مناورة صهيونيـــة ترمى الى رفض عمال الشحن والتفريغ الأمريكان تفريغ وشحن السفن المصرية عندما قاطع العمال العرب السفن الأمريكية بالمثـــل حتى أن بن جوريون أعلن أن اسرائيـــل تعيش فى خـــوف دائم من قـــوة الجمهورية العربيـــة وأن جيش الجمهورية العربية يمتاز بقوة السلاح وبالضباط المدربين ، وطلبت اسرائيل معونة أمريكا لمواجهة القوة العربية المتزايدة من حولها ٠

نقد الصحافة السورية للصحافة المصرية

ودخلت الصحـــافة فى المعـــركة ، فاعترض الصحفيـــون السوريون على نزول الصحفيين المصريين فى الضيافة أثناء زيارات عبد الناصر لسوريا ، وتقدموا بعريضة اليه ، ذكروا فيها أن انتقال الصحفيين المصريين من مصر الى سوريا لا يعنى أنهم انتقلوا الى خـــارج مصر ، فمصر وســـوريا تضمهما جمهوريـــة واحدة هى الجمهورية العربية المتحدة ، وعليه فليس هناك داع لنزول الصحفيين المصريين فى الضيافة ، ولما وصلت هذه العريضة الى عبد الناصر استبشر خيرا ، حيث نظر اليها نظرة تؤكد أن الوحدة ما زالت بخير ، ولكن سرعان ما تغيرت هذه النظرة عندما وجد الصحف السورية تتسقط أخطاء المصريين أثناء اقامتهم فى سوريا ويتناقلونها

فى مجالسهم فى تندر واستهزاء والصحف السورية تنشرها فى أماكن بارزة بقصد الاثارة والتشهير والنقد ، ومع ذلك نفذ عبد الناصر رغبة الصحفيين السوريين وأصدر أوامره الى الصحفيين المصريين بترك الضيافة وكانوا يقيمون فى فندق سميراميس والنزول على حسابهم الخاص ، اذ أن ضيافتهم على حساب الحكومة قد انتهت ، ولبى عبد الناصر طلبا آخر للصحفيين السوريين وهو ضرورة اشراكهم مع الصحفيين المصريين فى تغطية أنباء زياراته الخارجية، ونفذ رغبتهم على الفور وتشكل وفد من الصحفيين المصريين والسوريين لمرافقته فى أول زيارة له وكانت الزيارة ليوغوسلافيا لحضور مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز الذى عقد فى بلجراد فى أول سبتمبر عام ١٩٦١ أى قبل الانفصال بأيام .

القرارات الاشتراكية

وفى ١٩ يوليو عام ١٩٦١ أصدر عبد الناصر خمسة قرارات جمهورية بقوانين كونت الثورة الاشتراكية بهدف نقل الثورة حقيقة من مرحلة الثورة السياسية الى مرحلة الثورة الاجتماعية ، وليثبت عبد الناصر بالطريق العملى أن الثورة لم تكن — ولا يمكن أن تكون — تغييرا فى شكل الحكم ووسيلة للحصول على السلطة دون أن تتجاوز ذلك الحد لتصبح معنى اجتماعيا بعيد الأثر عميق الجذور .

ففى القانون الأول اشراك العمال والفلاحين — لأول مرة

فى تاريخ البلاد ـ اشراكهم فى الأرباح ، وفى القانون الثانى قضاء على الاثراء على حساب المواطنين عن طريق الأداة الحكومية فحدد المرتبات بخمسة آلاف جنيه فى السنة ، وحددت هذه القوانين كذلك مدة العمل للعامل بـ ٧ ساعات ، وقررت اشراك العمال والموظفين فى كل منشأة ومؤسسة فى مجلس ادارتها ، عن طريق عضوين يجرى انتخابهما بالاقتراع السرى العام بينهم ، على ألا يزيد عدد أعضاء مجلس الادارة عن سبعة لتكون قوة العمال فيه فعالة ومؤثرة ، وترتب على هذه القرارات تأميم بعض الشركات وتأميم مصادر الانتاج والخدمات وحرم على أى شخص أن يشغل أكثر من وظيفة واحدة بقصد منع تركيز السلطة وتوزيع المسئوليات على كل قادر على تحمل مهامها بجدارة وشرف .

ورغم أن عبد الناصر قام بحملة اعلامية واسعة النطاق لشرح أهداف تلك القوانين وأنها لمصلحة الغالبية العظمى من قوى الشعب الكادحة أصحاب الدخول المحدودة ، وأنه لا يريد الانتقام من الطبقات الغنية وانما يقصد من ورائها اقامة العدل وتقريب الفوارق بين الطبقات ، وكان يختم دائما أحاديثه عن هذه القوانين بأنه يضع تجربة جديدة تضيف الى التراث الانسانى ثورة من نوع جديد ، الا أن كل هذه الأحاديث والمناقشات والحوار لم تخف من نقمة الجماهير على هذه القوانين خاصة فى الاقليم الشمالى «سوريا» الى أن كان يوم ٢٨ سبتمبر من العام نفسه حيث قامت وحدة من معسكر قطنة فى دمشق واحتلت الاذاعة والقيادة العامة وأعلن القائمون على الثورة انفصال الوحدة بين مصر وسوريا ، وقد وقع

هذا القرار على عبد الناصر وقع الصاعقـة ، فقد انهارت آماله العريضة فى اقامة وحدة شاملة بين دول الأمة العربية تصون كيانها وتحرر قرارها وتؤكد استقلالها وتقف سدا منيعا أمام أية أخطار تتهددها ، ومن مفارقات القدر العجيبـة أن يموت باعث الوحدة فى نفس يوم الانفصال بعد تسع سنوات ·

المهم أن عبد الناصر سما فوق الكارثة واجتر آلامه الا أنه استمر يطلق على الحركة السورية حركة عصيان ، ووجه الى الشعب خطابا فور حدوث هذه الثورة أنهاه — بما كان يحلم به دائما — بقوله أن أعلام القومية العربيـة لن تنكس ، فالشعب العربى لن يقبل أبدا أن تنتكس ثورته والجيش العـربى لن يقبل أن تنتكس ثورته ، وعاد فى مساء اليوم نفسه يعلن أنه لا يمكن أن يتخلى عن الذين أيدوا الوحدة فى هذا اليوم وفى هذه الظروف ، ويبدو أنه لجأ الى هذا القول فى الوقت الذى فكرَ فيه وقف التمرد كما كان يسميه حتى هذه اللحظة بالقوة العسكرية ، وفى الوقت الذى فكر فى النزول على حماس كمال الدين حسين الذى كان يريد أن يقود حملة لوقف الثورة فى سوريا ·

وامتثل عبد الناصر بالحكمة وتمسك بأهداب الصبر فكان خطابه الذى استهله بقوله بارك الله فى سوريا ·· بارك الله فى أعلام سوريا وطالب الأمة فيه بأن ترتفع على جراحها رغم علمه أن طعنة الصديق تمزق القلب وأعلن أنه أمر بوقف كل العمليات العسكرية وأمر جنود المظلات والأسطول بالعودة وأعلن الشـعار

الذى ما زال يتردد حتى اليوم وهو لا يمكن لعربى أن يرفع السلاح فى وجه أخيه العربى وأن الوحدة ارادة شعبية ولا يمكن أن يحولها من جنبه الى عملية عسكرية ٠

ولكن عبد الناصر لم يستطع تحمل الصدمة فمنذ الانفصال تسرب المرض الى جسمه وان كانت ثورة اليمن وسقوط الامام فى فى اليمن أنعشته الا أن التآمر عليه من الشرق والمغرب فى عدوان ١٩٦٧ أنعش المرض من جديد ووافته المنية فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، ومازالت وفاته لغزا لم يجد حلا وسيستمر كذلك الى أن تتكشف الحقائق بالأسانيد والأدلة لتخرس كل التكهنات والتخمينات التى ينقصها الدليل والبرهان ٠

- الانفصال بين مصر وسوريا كان نهاية للايجابيات وبداية للسلبيات .

- لو عاش عبد الناصر هل كان سيسير مـــع السوفيت الى النهاية أم سيعود الى الغرب ؟

- لم يستطع الانفصاليون تغيير ما أرساه عبد الناصر من مبادىء اشتراكية .

- على من تقع مسئولية الانفصال على عبد الناصر وادارته أم على الاحتلال وبعض الأنظمة العربية ؟

- لم يحمل عبد الناصر الشعب السورى مسئولية الانفصال وانما حملها على الاستعمار واسرائيل .

- سقطت الوحدة بأموال عربية وتواطؤ بعض الأنظمة العربية مع الغرب والاستعمار .

- ٢٠ -

انفصال الوحدة بين مصر وسوريا يمثل حدا فاصلا بين مرحلتين للثورة المصرية ، المرحلة الأولى من ٢٣ يوليو حتى ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١ مرحلة المنجزات العملاقة للثورة وتمكنها من الوقوف على الحيـــاد فى الصراع القـــائم بين القوتين الأعظم ، والمرحلة الثانية هى المرحلة التى غابت فيها القيادة الجماعيـــة للثورة وانفراد عبد الناصر بالسلطة حيث لم يستطع الاستمرار فى سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابى فزاد النفوذ السوفيتى واستشرى مما أثار حفيظة الغرب وأعد العدة لاخراج السوفييت من مصر ، مع أن السوفييت لم ينفذوا طلبات عبد الناصر كاملة ، فلم يسلحوا مصر بأسلحة هجومية كطلب عبد الناصر واقتصروا على مدها بالأسلحة الدفاعية ، ويبدو أن هذا كان اتفاقا أساسيا بين القـــوتين العظميين لا يمكن نقضـــه أو الخروج عليه ، وفى الاقتصاد لم يقدموا لمصر كل ما يعينها على بناء اقتصاد قوى ، وانما كانت كل الاتفاقيات التى عقدت فى هذه الفترة مع السوفييت تميزت برجحان كفة السوفييت ، ونتيجة لذلك لم تستطع مصر أن تنجز فى هذه الفترة ما أنجزته فى الفترة السابقة على الانفصال ، ولذلك سميت فترة السلبيات وان كانت لم تكن كلها سلبيات وانما

تخللها بعض الايجابيات ولكن حصيلتها لم تكن بنفس الحصيلة فى الفترة الأولى ··

على من تقع مسئولية الانفصال ؟

سؤال لم يجد جوابا مقنعا حتى اليوم بعد مرور اكثر من عشرين عاما على الانفصال ، وعبد الناصر نفسه لم يقدم الاجابة الكاملة عليه ، ولكنه كان دائما يعفى الشعب السورى من هـــذه المسئولية وينسب للادارة المصرية بعض الأخطاء ، ولم يحمل القومية العربية أى نوع من هـــذه المسئولية ، ولكنـــه حملها جميعا على الاستعمار عندما قال « استطاعت الرجعية أن تحتل رأس جسر فى دمشق كما تمكن الاستعمار من احتلال بورسعيد ٣ شهور عـــام ١٩٥٦ » وكان عبد الناصر يأمل الا ينجح التمرد فى دمشق أكثر من المدة التى قضاها الاستعمار فى بور سعيد ، لأنه كان مؤمنا بأن الانتكاسات فى الثورات والانتفاضات وحركات التحرير لا يمكن أنتدوم لأن الشعوب تبقى حية لا تموت ، وأن الجمهورية العربية ستظل دائما قلعة للقومية العربية وسندا للحرية العربية لن يؤثر فيها الغدر والخيانة ·

ونحن مع عبد الناصر أن الاستعمار واسرائيل معا كان لهم اليـــد الطولى فى تحقيق الانفصال ووقف تيـــار القومية العربيـــة المتزايد ، ولكن على أية حال كان الانفصـــال أول معركة يخسرها عبد الناصر مع الاستعمار ، وكان بداية لفقده معارك أخرى فيما

بعد بمعاونة بعض الأنظمة العربية التى ناصبت عبد الناصر العداء خوفا على نفسها منه ، وفى تصورنا أن هذه الأنظمة نفسها هى التى ساعدت الاستعمار على الانتصار على عبد الناصر ، كما أن وجود اسرائيل فى قلب الوطن العربى كان ركيزة هامة لتنفيـذ مؤامراته لا على الوحدة فحسب وانما على سائر الدول العربية ، ويسرى عن عبد الناصر أن المكاسب التى حصل عليها قوى تحالف الشعب العـامل من الفلاحين والعمال لم يسـتطع الذين قامـوا بالانفصال سلبها منهم وأن محاولاتهم لكى تسير العجلة الى الوراء باءت بالفشل ، ولم يستمر الانفصاليون فى الحكم أكثر من بضعة شهور لا تتعدى عدد أصابع اليد الواحدة ، ففى ٢٨ مارس عام ١٩٦٢ أسقط الجيش السورى هؤلاء الانفصاليين وقدمهم للمحاكمة بتهمة سلبهم حقوق الفلاحين وأراضيهم وحقوق العمال ومكاسبهم وقبول الرشاوى من دول أجنبية والشعب السورى يضغط لعودة الوحدة مع مصر ، وتكشف التحقيقات والمحاكمات عن الأموال السعودية التى تدفقت على الانفصاليين ليقوموا بحركتهم ، وكلها عوامل وأسباب تؤكد أن الاستعمار اذا كان هو العامل الأساسى لفصل الوحدة مـع مصر فان بعض الأنظمـة العربية كان لهـا — للأسف — دور لا يقل خطورة عن دور الاستعمار .

لمـاذا فشلت الوحدة

يخطىء كل الخطـأ من يقـول أن تصرفات المصريين كانت السبب الرئيسى لفصل الوحدة بين سوريا ومصر ، ذلك لأننا لو

قدرنا هــذه التصرفات قدرها الصحيح ، ووضعناها فى حجمها الحقيقى ، لا يمكن أن تأتى سببا جوهريا لانهاء الوحدة ، لأن أعداد المصريين الهائلة التى توجهت الى سوريا ابان سنوات الوحدة، والتى وصلت الى أعداد خيالية من العسكريين أو المدنيين ، اذا قيست هذه الأعداد بعدد من ارتكبوا هذه الأحداث كانت النسبة لا تذكر ، وبعبارة أخرى لو أن مثل هذه الأعداد من الســوريين توجهت إلى مصر ، لربما بدر منها من التصرفات أضعاف ما بدر من المصريين ، وهــذا لا يعفى الادارة المصرية من أنهــا لم تكن تدقق التدقيق الصحيح فيمن توفدهم الى سوريا ، ولكن هذه التصرفات لا يمكن اعتبارها سببا أساسيا للانفصال ، وانما السبب الهام هو الصراع الطبقى الذى كان قائما فى المجتمع السورى ، وأن أجهزة الاعلام لم تستطع فهم أبعاد هذا الصراع ولا الطبقــة التى تولت تسيير دفة الأمور ، فضلا عن أن المؤمنين بالوحدة وكانوا أغلبية لم تستطع التنظيمات السياسية تجميعهم فى داخلها ، أو استطاعت ولكنها لم تكون منهم فريقا متجانسا قادرا على مواجهة الذين وقفوا ضدها الذين كانوا منظمين غاية التنظيم ، يتلقون التوجيهات أولا بأول وتزود أفكارهم بما يمكهنم من اسكات صوت الذين ينادون بالوحدة ، فضلا عن أن هذه التنظيمات اعتمــدت على هؤلاء الذين لم يتعد اقتناعهم بالوحدة حد الشعارات فقط ، أى لم يصل ايمانهم الى حد التضحية فى سبيلها والعمل من أجلها حتى ولو أضرت بمصالحهم الفردية ، فلم يصلوا الى مرحلة تغليب المصلحة القومية على المصلحة الفردية ، فلم يستطيعوا تحطيم المؤامرات من حولها والوقوف فى وجه التيار المضاد لها ٠

ومن ناحيـــة أخرى لم يقدم الســـوريون الذين اشتركوا فى الحكم النصيحة المخلصة والدراسة الدقيقة لكافة مشاكل الجماهير وطرق رفع المعاناة عنهم ، ولم تتضمن تقاريرهم ودراساتهم الصورة الحقيقية لما يجرى فى سوريا ، فصدرت القوانين فى صورة هزيلة ، وكانت موضعا للمؤاخـــذة والطعن مليئة بالثغرات، ولذلك كثيرا ما كانت تصدر فى يوم وتعدل فى اليوم التالى مرة ومرة مما أفقد ثقة الجماهير فى الادارة الحاكمـــة ، وناهيك أن الاتصـــال بين مصر وسوريا لم يكن مؤمنـــا اذ كان الاستعمار يحيط بها ، والأنظمـــة العربية المعـــادية للوحدة تلتف من حوله ، تخطط مع الاســـتعمار للانقضاض عليها •

وربما كانت القوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو عام ١٩٦١ هى التى دفعت الرجعية فى سوريا أكثر من أى يوم مضى الى استخدام كل ما فى جعبتها للقضاء عليها لأنها خطر يتهددها ، خطر على الاستغلال الذى أقامته والاحتكار الذى هيأت له كل السبل الممكنة ، والانتهازية التى عاونتها على الاستغلال والاحتكار ، وهناك حقيقة لا يمكن انكارها وهى أنه لا بقاء لوحدة بين دولتين عربيتين أو بين عـــدد من الدول العربيـــة والاستعمار قابع فى غيرها من البلدان العربية والرجعية حاكمة فى البعض الآخر ، ومن ثم لا يمكن للاستعمار والرجعية أن يتركوا الوحدة بين مصر وسوريا التى استقر فيها الحكم أكثر من ثلاث سنوات بعد أن كانت سوريا نهبا للانقلابات ، لأن استتباب الأمن وهدوء الأحوال فى الوطن العربى أو فى أية بقعة فيه سيعطى الشعب العربى فرصة التفكير فى طرد

الاستعمار ، ولكى يبقى لابد أن يبقى عدم الاستقرار والاضطراب مسيطرا على معظم أرجاء الوطن العربى اذا لم يكن فى الامكان أن يسيطر على جميع البلاد العربية .

مسئولية عبد الناصر عن فشل الوحدة

تتحدد مسئولية عبد الناصر فى فشل الوحدة مع سوريا انه أراد أن يطبق فى سوريا ما طبقه فى مصر ، أراد أن يخلق مجتمعا يختلف فى مقوماته عن المجتمع القائم ، الا أنه لم يقم بدراسة وافية لمقومات هذا المجتمع حتى يستطيع بنـاء المجتمع الجديد من غير ما اضطراب أو عقاب ، أراد أن ينتقل بالمجتمع دفعة واحـدة ، دون أن يهيىء الشعب لها نفسيا . ولما أراد أن يهيىء الشعب لهـا نفسيا بالغ فى المزايا والآمال حتى يتقبل الشعب الوضع الجديد . وفاته ان مفهوم المخالفة قد يدمر التجربة تماما ، يشعر الشعب أن ما سمع منه من آمال وأحلام لم يتحقق منه شيئا . ربما كان ذلك بسبب قصر التطبيق او بسبب الأشخاص الذين قاموا بهذا التطبيق ، حيث أنهم لم يكونوا على مسـتوى المسئولية من ناحيـة الثقافة والخبرة وانما كانوا يتميزون فقط بأنهم موضع ثقة وتلك كانت مرحلة من المراحل الاولى للثورة ، ومع ذلك تسلل الى المناصب والقيادة عدد كبير ممن يطلق عليهم أنهم يأكلون على كل مائدة ، ومثلوا هؤلاء الخطر على مسيرة الوحدة .

ويمكن ان نرد فشل الوحدة الى أنهـا قامت فى وقت كانت

البلاد العربية بأسرها تدين بالولاء للغرب منذ مئات السنين ، مما ترتب عليه تفاعل مصالحها مع مصلحته تفاعلا محكما ، لم يترك للغالبية العظمى من هذه الشعوب حتى فرصة التفكير والتدقيق والبحث فيما يجرى على مسرح البلاد من أحداث ، حقيقة أن فئة قليلة أخذت على عاتقها التفكير فى هذه الأحداث وتقييمها من حيث فائدتها لمجموع هذه الشعوب ، واشتعلت المعارك بين الطبقـات الحاكمة وهذه الفئات . ولكنها لم تكن قد وصلت بعد الى حد اقناع هذه الجموع بأفكارهم ومبادئهم ٠

وأيا كان الأمر فأسـباب فشـل الوحدة متعددة ومتنوعـة ومتشابكة ومسئولية الشعب السورى فيها لا ترقى الى مسئوليـة عبد الناصر وادارته والاستعمار وأدواته وأعوانه وأنيابه ، ومع كل فانها كانت تجربة ثرية بالدروس والاستفادة منها فى صـنع الوحدة فى المستقبل ، فمنها وبسببها اشتد الحديث عن التضامن العربى وحتميته لمواجهة الأخطار التى تتربص بالأمة العربيـة ، واشتد الحديث عن فوائد التضامن العربى والوحدة بين شـعوب الأمة العربية ، وللحقيقة وللانصاف يجب الا نعفى النظم العربية التى كانت قائمة وقتذاك من مسئوليتها عن الانفصال بين الشعبين المصرى والسـورى ، بتعاونها مع الاستعمار لضرب الوحدة اما خوفا من نفوذ عبد الناصر أن يشتد ويقوى فيخترق هـذه النظم ويسقطها كما حدث فى العراق واما خوفا من انتشار الاشتراكية وانحسار النظام الرأسمالى الذى كانت هذه الأنظمة تعيش فى ظله وكنفه وداخل عباءته ، وهذا أمر يخفف من مسئولية عبد الناصر عن انفصال الوحدة بين مصر وسوريا ٠

لقد كان الانفصال أول معركة يخسرها عبد الناصر فى معاركه التى خاضها ضد الاستعمار وكان الانفصال بداية فترة من فترات الثورة تتالت فيها الهزائم وتعددت السلبيات ، ولكن تبقى أسئلة كثيرة ما زالت حائرة لا تجد جوابا حول فترة الايجابيات التى سبقت على الانفصال . فهل كانت الثورة انقلابا عسكريا من غير برنامج اقتصادى أو سياسى واضح ولما نجحت وضع هذا البرنامج ، أم أنها كانت ثورة بكل مقومات الثورة ؟ الثابت أن كتاب فلسفة الثورة الذى الفه عبد الناصر لم يذكر فيه كلمة الاشتراكية مرة واحدة وانما ذكر فى الدوائر الثلاث للسياسة المصرية وهى الدائرة العربية والدوائر الاسلامية والدائرة الافريقية ، فهل يمكن القول أن الثورة لم تكن انقلابا وانما كانت ثورة حقيقية بجناح واحد هو الجناح السياسى دون الأجنحة الأخرى لكل ثورة ؟ هل كانت سياسة عبد الناصر تعتمد على الفعل ورد الفعل كما قرر توفيق الحكيم فى كتابه عودة الوعى وأن عبد الناصر فى أوائل عهده كان قد أعد خطبه ليلقيها ، ويعلن فيها خطة أو رؤية للسلام فى المنطقة . غير انه سمع من السفير الأمريكى وقتئذ كلمة استقبله بها فى زيارة فلم تعجبه الكلمة . وانفعل وغير خطته واتجاهه فى الحل ، وكان لهذا المسلك الانفعالى تأثيره على مسير الوطن كله ، كما سارت الأمور كلها بعد ذلك فى شئون الدولة خارجها وداخلها على هذا المسلك وبهذا المحرك «انفعال ورد فعل » .

والسؤال الثانى هل أخل عبد الناصر بتعهداته للغرب بعد قيام الثورة وان الغرب عقابا له أعلن عليه الحرب الاقتصادية

وحرب التجويع والحرب المسلحة واستخدام كل نفوذه للاجهاز عليه وعلى ثورته ؟ هل حادث المنشية من صنع عبد الناصر نفسه كما قرر محمد نجيب فى مذكراته وأيده حسن التهامى — أحد الضباط الأحرار بما قرره فى مذكراته هو الآخر من أن خبيرا أمريكيا رسم ما تم فى المنشية بقصد تحويل حالة الامتعاض التى كان يقابل بها عبد الناصر من الشعب الى حالة اســتقبال الأبطال ؟ والقضيــة الأخرى الأكثر غرابة والمثيرة حقا ما جاء فى مذكرات بغدادى من أن أحــداث التخريب والحــرائق فى السينمات والمســارح فى الخمسينات من صنع عبد الناصر بقصد الاثارة واشعار الجماهير انهم بحاجة لمن يحميهم ·

الحقيقة أن القضايا والاسئلة حول الفترة التى تحدثنا عنها وهى فترة ما قبــل الانفصال عديدة ومتنوعة وغامضة ولا يمكن حصرها ، فحقيقة ما تم فى أزمة مارس بين عبد الناصر ومحمد نجيب لم تعرف تماما ، وحقيقة أسباب الخلاف بين عبد الناصر وكل من استقالوا أو أقيلوا من مجلس الثورة ما زالت وقائعهــا وملابساتها خافية ، فكيف يمكن تفسير ظاهرة أن مجلس الثورة الذى كان يتكون من عشرة نجوم كما أطلق على ضباط الثورة ، لم يبق منهم فى السلطة خلال سنوات قليلة سوى نجم أو نجمين ؟ من المذنب أو المصيب ؟ فى أمر يحتاج الى بحث وتدقيق ، لا دفاعا عمن خرجوا وادانة لعبد الناصر او العكس ، وانما رغبة فى معرفة ما كان يدور على مسرح السياسة المصرية ، حتى يمكن تقييم هذه

الفترة التقييم الصحيح الدقيق حتى لا يزيف التاريخ ويوضع كل حاكم فى موضعه الصحيح .

وســواء حرفت كل الروايات التى جاءت فى مذكرات من عايشوا عبد الناصر او كذبت وهى لا يمكن ان تكون الصدق كله او الكذب كله وانما قد يكون فيها العديد من المبالغات التى يريد بها كاتب المذكرات تصوير نفسه البطل فى كل المواقف التى تعرض لها وهو يعمل مــع عبد الناصر . فان التاريخ وحدة ودراســة الأحداث كوحدات مستقلة وكوحدات متفاعلة مع غيرها من الأحداث هو القادر على التوصل الى حقيقة ما كان يجرى على الساحة المصرية فى تلك الفترة الدسمة الغنية بالأحداث والمفاجآت . والتاريخ يكون صادقا عندما يكتب بعــد أن ينفض غبار هــذه الأحداث وتهدأ الأعصاب وتظهر الحقائق عارية دون تزييف او تزيين . فى هذه المرحلة يستطيع التاريخ ان يبين [illegible] والمخطط والمدبر والوطنى والقائد ويكشف النوايا والأهــداف ، ولذلك يتأخر التاريخ دائما لأن التاريخ لو كتب والأحداث ما زالت ساخنة والأشخاص أبطال هذه الأحداث ما زالت على قيد الحياة ، فانه لن يفى بالغرض المطلوب وسيأتى ملونا بالأغراض والأهواء مفندا ومظهرا الأحداث برؤية الحاكم وهى غالبا ما تكون رؤية غير دقيقة .

ونحن نستأذن القارىء فى أن نتوقف عند هذه المرحلة من

مراحل الثـــورة المصرية لأن ما تلاها من مراحل كانت جـــديدة بملامحها وتياراتها وتحتاج منا الى مجهود أكبر وجهد مضن مما يتطلب بعض الوقت لالتقاط الأنفاس واستيفاء الموضوع حقه من البحث والتحليل والعرض والاستنتاج بحثا عن الحقيقة والتزاما بمنهجها دائما ، منهج البحث عن كل ما يهم قراؤنا فى كل انحاء الوطن العربى الكبير ٠

تم بحمد الله

رقم الايداع بدار الكتب
٨٧/٨٨٣٠

ترقيم دولي
٩٧٧ — ١٣٣ — ٠٦٨ — ٣

دار النصر للطباعة



مؤلــف الكتــاب

- تخرج فى كلية الآداب عام ١٩٥١ وحصل على الماجستير فى التحرير والترجمة والصحافة عام ١٩٥٥.
- تدرج فى المناصب الاذاعية والاعلامية والصحفية إلى أن تولى منصب وكيل أول وزارة الاعلام.
- حصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى وعلى درع الاعلام.
- فاز بجائزة التأليف القومى عن كتابه «فى المعركة الفاصلة مع العدوان الثلاثى».
- عاصر الأحداث عن قرب بحكم المناصب التى تولاها ورافق الرؤساء المصريين فى جميع زياراتهم الخارجية وأسهم فى مؤتمرات القمة العربية والقمة الافريقية ودول عدم الانحياز والمؤتمرات الاعلامية المتخصصة وحصل على العديد من الأوسمة والنياشين وشهادات التقدير من رؤساء وملوك هذه الدول.
- تفاعل مع الأحداث وانفعل بها وانصهر كل ذلك فى بوتقة فكرة حتى أصبح واحداً من المراقبين والمعلقين السياسيين المشهود لهم بالتعمق فى مشاكل الشرق الأوسط وقضايا العالم.
- عضو نقابة الصحفيين العالميين ونقابة الصحفيين المصريين وعضو المجالس القومية المتخصصة واتحاد الصحفيين الافريقيين وله مؤلفات عديدة فى قضايا السياسة والاعلام والاجتماع.

مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ت : ٧٥٦٤٢١

تنفيذ : المطبعة الفنية ت : ٩١١٨٦٢